السِّيرَةُ العَسْكَرِيَّةُ

لِخَيْرِ البَرِيَّةِ ﷺ

(دِرَاسَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ مُعَاصِرَةٌ لِغَزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ)

إعداد

أبُو مُصْطَفَى الغَزَالِيّ

تحقيق

د. أبو طَلْحَةَ المُرابِطي

الطبعة الأولى

٢٠٢٠م-١٤٤٢هـ


محمد رسول الله

الكتاب: السِّيرَةُ العَسْكَرِيَّةُ لِخَيْرِ البَرِيَّةِﷺ (دِرَاسَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ مُعَاصِرَةٌ لِغَزَواتِ النَّبِيِّ ﷺ).

المؤلف: أبُو مُصْطَفَى الغَزَالِيّ.

المحقق: د أبو طلحة المرابطي.

دار النشر: دار الحكمة للطباعة والنشر–مؤسسة المرابطين لدعم الجهاد والمجاهدين.

الطبعة: الأولى.

تاريخ النشر: ٢٠٢٠م – ١٤٤٢ هـ.

المقاسات: ١٧,٦*٢٥.

عدد الصفحات: ٣٢٥.



إهداء

إلى القائد الأعلى لجيوش المسلمين

وأمير الموحدين

سيدنا وحبيبنا وقدوتنا

محمد رسول الله ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبْعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ. اللَّهُمَّ ابْسطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ المُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ العِيلَةِ، وَالأَمْنَ يَوْمَ الخَوْفِ. اللَّهُمَّ عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ مِنَّا. اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِين. اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ. اللَّهُمَّ قَاتِلْ الكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ. اللَّهُمَّ قَاتِلْ كَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ، إِلَهَ الحَقِّ.

وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى سَيِّدِنَا وَقَائِدِنَا وَأَمِيرِنَا رَسُولِ اللهِ «مُحَمَّدٍ» صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، نَاصِرِ الحَقِّ بالحق، وَنَاصِحِ الخَلْقِ، وَمُقَوِّمِ المِلَّةِ العَوْجَاء، وَالهَادِي إِلَى صِرَاطِ اللهِ القَيِّمِ. وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَعَلَى مَنْ كَانَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ.

أَمَّا بَعْدُ:

هذه هي الطبعة الأولى من كتاب السيرة العسكرية لخير البرية ﷺ، التي ﷺ بدأتها كدروس في الكتائب المجاهدة ومعسكرات الإعداد، قاصداً لفت النظر والانتباه إلى جانب عظيم، ورفيعٍ، وعالٍ، من جوانب شخصية المصطفى (الرسول الأعظم) ﷺ، ولكن هذا الجانبَ – و للأسف – جانبٌ مجهولٌ ومُتغافَلٌ عنه عند أكثر المسلمين وحتى القياديين ورؤساء الحراك الإسلامي!!

ألا وهو الجانب القيادي العسكري في السيرة النبوية، والذي يُعَد مدرسةً فريدةً بل ووحيدة في التكامل والجمال والجلال، حيث جمعت قيادته ﷺ بين الحرب والسلم، والملحمة

والمرحمة، وبين السـيف، والدعوة، والقدوة، بشـكل منقطع النظير، فكانت قيادته ﷺ كليةً حربيةً وأكاديمية عسـكرية رائدةً ومعصـومةً خرَّجت النقباء والعُمداء والعظماء الذين فتحوا البلاد ودَوَّخوا العباد، وما سيف الله خالد ﷺ إلا تلميذٌ ملازم في مدرسة محمد ﷺ.

وقد حاولت من خلال هذه الدروس الخروج عن الشكل التقليدي في السرد السيَّري، لأنه في أقصى غاياته كان يُرَكّز على التسلسل التاريخي أو على إبراز الجانب الوجداني والروحي والعاطفي أو المعجزي، وهذا الأسـلوب –مع مسـاس الحاجة إليه – إلا أنه لن يُقَدِّمَ جديداً لواقع الأمة اليوم وحاجة المرحلة.

فجئت بهذه الدروس متناسبةً مع طبيعة الجندية والعسكرية، لتكون:

مزوِّدةً للمقاتل والقائد بتكتيكات واسـتراتيجيات قتالية هي من صـلب العمل العسـكري النبوي.

ولِيَتيقن المسـلم اليوم وغداً أن قائده الأول رسـول الله محمد ﷺ لم تكن تنقصـه الخبرة العسكرية والأمنية الواجبة، بل كان واضعاً لقواعدها ومجدداً فيها.

وأنَّ الإسلام لم يكن يوماً مُفتقراً أو كَلّاً على العالم في فجره ولا في بياض نهاره لما يلزم الحضارة من مقومات!! فكان مبتكِراً في كل زمان، وسبَّاقاً في كل آن.

ومن ذلك أن أول مدفع في التاريخ كان من تصنيع المسلمين بإشراف السلطان العثماني محمد الفاتح ﷺ وأعلى مقامه[١] فكان المدفع الإسلامي نبراساً لكل مدفع وراجمة وقاذفة أتت بعد ذلك، وعليه عمدة ومدار القوة في الحرب الحديثة!!

فالذين يدَّعون السبق والتفرُّد في العلوم العسكرية، ثم يأتون ليتباهوا ويتعاظموا على الإسلام ناعتين له بالتخلف والبدائية، ثم لينبهر بهم من المسلمين من ينبهر بأنهم أصحاب

(١) مدفع الدردنيل: أول المدفع السلطاني وهو مدفع تم بناؤه خصيصاً لحصار القسطنطينية في الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الفاتح (أو محمد الثاني) ويعتبره بعض المؤرخون أول سلاح دمار شامل أو أول الأسلحة الخارقة، وفي عام ١٨٦٦، وبمناسبة زيارة السلطان العثماني عبد العزيز الأول، أهدى المدفع إلى الملكة فيكتوريا ملكة انجلترا، ليوضع في برج لندن ثم انتقل إلى مكانه الحالي في المتحف في قلعة نيلسون ببورت موث. وثق ذلك في موسوعة غينيس للأرقام القياسية.

كل جديد كما خَيَّلوا إليهم، فقد ظلموا وما عدلوا، وجحدوا وما اعترفوا، أو أنهم جهلوا وما علموا على أضعف تقدير.

وقد رجوت أن يكتمل هذا العمل بالصورة التي كنت أطمح إليها لأهميته وضرورته، وهو التقصي للفوائد والحلول والاستراتيجيات المستفادة من السيرة، والتي سبب التغاضي والتغافل والجهل بها خللاً كبيراً وخساراتٍ لنا في جهادنا الشامي، ولكن الوقت لم يتسع للزيادة والإطناب.

وخوفاً من أن تضيع بواكير هذا الجهد المقل لأي ظرف من ظروف الحرب، فقد آثرتُ طباعته وإخراجه للميدان على شكله الحالي.

وإنَّ أي استدراكٍ نافعٍ ستتم إضافته –إن شاء الله –لطبعات جديدة كما كانت السياسة فيما مضى اصداره من أعمال.

وفي الختام أسأل الله العلي العظيم، القبول، والعفو، والمغفرة.

الراجي عفو ربه

إِيَاد أَبُو مُصْطَفَى الغَزَالِيّ

البَابُ الأَوَّلُ

«حَرْبُ العِصَابَاتِ» فِي العَصْرِ النَّبَوِيِّ

❖ تَعْرِيفُهَا:

هِيَ شَكْلٌ مِنْ أَشْكَالِ القِتَالِ العَسْكَرِيَّةِ، يَلْجَأُ إِلَيْهِ الطَّرَفُ الأَضْعَفُ لِلتَّغَلُّبِ عَلَى خَصْمٍ قَوِيٍّ عِنْدَمَا يَجِدُ أَنَّ المُوَاجَهَةَ المُبَاشِرَةَ لَيْسَتْ فِي صَالِحِهِ؛ لِعَدَمِ تَكَافُؤِ الفُرَصِ. وَتَعْتَمِدُ عَلَى أُسْلُوبِ المُبَاغَتَةِ، وَتَكُونُ فِي شَكْلِ مَعَارِكَ صَغِيرَةٍ وَقَصِيرَةٍ، ذَاتَ أَهْدَافٍ اسْتِرَاتِيجِيَّةٍ.

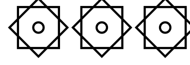
وَتُعْتَبَرُ حَرْبُ العِصَابَاتِ المُعْضِلَةَ الحَقِيقِيَّةَ لِلجُيُوشِ، وَهِيَ السَّبِيلُ الأَوْحَدُ لِهَزِيمَتِهِ، وَتُسَمَّى بِـ «سِلَاحِ الضَّعِيفِ الفَتَّاكِ».

وَقَدْ بَدَأَتْ القِيَادَةُ النَّبَوِيَّةُ بِاسْتِخْدَامِ هَذَا التَّكْتِيكِ فِي الحَرْبِ بَعْدَمَا أَذِنَ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ بِالقِتَالِ، وَذَلِكَ بِضَرَبَاتٍ مُوجِعَةٍ وَخَاطِفَةٍ لِعَدُوِّهِمْ الأَوَّلِ «قُرَيْشٍ».

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَأَصْحَابًا لَهُ، أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كُنَّا فِي عِزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ، فَلَمَّا آمَنَّا صِرْنَا أَذِلَّةً. فَقَالَ: «**إِنِّي أُمِرْتُ بِالْعَفْوِ، فَلَا تُقَاتِلُوا الْقَوْمَ**»، فَلَمَّا حَوَّلَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَمَرَهُ بِالْقِتَالِ، فَكَفُّوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ [سُورَةُ :٧٧].(١)

(١) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ (٣٠٨٦) كِتَابُ الجِهَادِ–بَابُ وُجُوبِ الجِهَادِ، وَفِي السُّنَنِ الكُبْرَى (٤٢٧٩) كِتَابُ الجِهَادِ–بَابُ وُجُوبِ الجِهَادِ، وَ (١١٠٤٧) كِتَابُ التَّفْسِيرِ–سُورَةُ النِّسَاءِ، وَكَذَا الحَاكِمُ فِي

وَكَانَتْ أَوَّلُ حَرْبٍ مِنْ هَذَا النَّوْعِ سَــرِيَّةَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فِي رَمَضَــانَ فِي السَّنَةِ الأُولَى لِلهِجْرَةِ.



❖ بَعْضُ السَّرَايَا الَّتِي اتُّبِعَ فِيهَا هَذَا التَّكْتِيكُ قَبْلَ «بَدْرٍ الكُبْرَى»:

١. سَرِيَّةُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه:

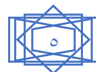
وَكَانت فِي رَمَضَانَ عَلَى رَأْسِ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ هُجرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وكان هُو أَوَّلَ لِوَاءٍ عَقَدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، بَعَثَهُ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا شَطْرَيْنِ خَمْسَةَ عَشَرَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَخَمْسَةَ عَشَرَ مِنَ الْأَنْصَارِ.

فَبَلَغُوا طَرَفَ الْبَحْرِ فاعتَرَضُــوا لِعِيرِ قُرَيْشٍ التي جَاءَتْ مِنْ الشَّــامِ تُرِيدُ مَكَّةَ، وكَانَ فِيهَا أَبُو جَهْلٍ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَاكِبٍ مِنْ أَهْلِ مَكّةَ. فَالْتَقَوْا حَتَّى اصْــطَفُّوا لِلْقِتَالِ فَمَشَــى بَيْنَهُمْ رَجُلٌ يُدعَى مَجْدِي بْنُ عَمْرٍو، وَكَانَ حَلِيفًا لِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا، فَلَمْ يَزَلْ يَمْشِي إِلَى هَؤُلَاءِ وَإِلَى هَؤُلَاءِ حَتَّى انْصَرَفَ الْقَوْمُ وَانْصَرَفَ حَمْزَةُ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ فِي أَصْحَابِهِ وَتَوَجَّهَ أَبُو جَهْلٍ فِي عِيرِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ.

وَلَمْ يُرسِلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَدًا مِنْ الْأَنْصَارِ بَعدَ هَذهِ السَرية حَتّى غَزَا بِنَفْسِهِ إِلَى «بَدْرٍ»(١).

«المُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ» (٢٣٧٧) كِتَابُ الجِهَادِ، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي التَّلْخِيصِ (٢/٧٦): «عَلَى شَرْطِ البُخَارِيِّ».

(١) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/٩-١٠).



سرية حمزة رضي الله عنه
إلى سيف البحر
من ناحيـة العيـص

(أول رمضان بعد الهجرة المباركة)

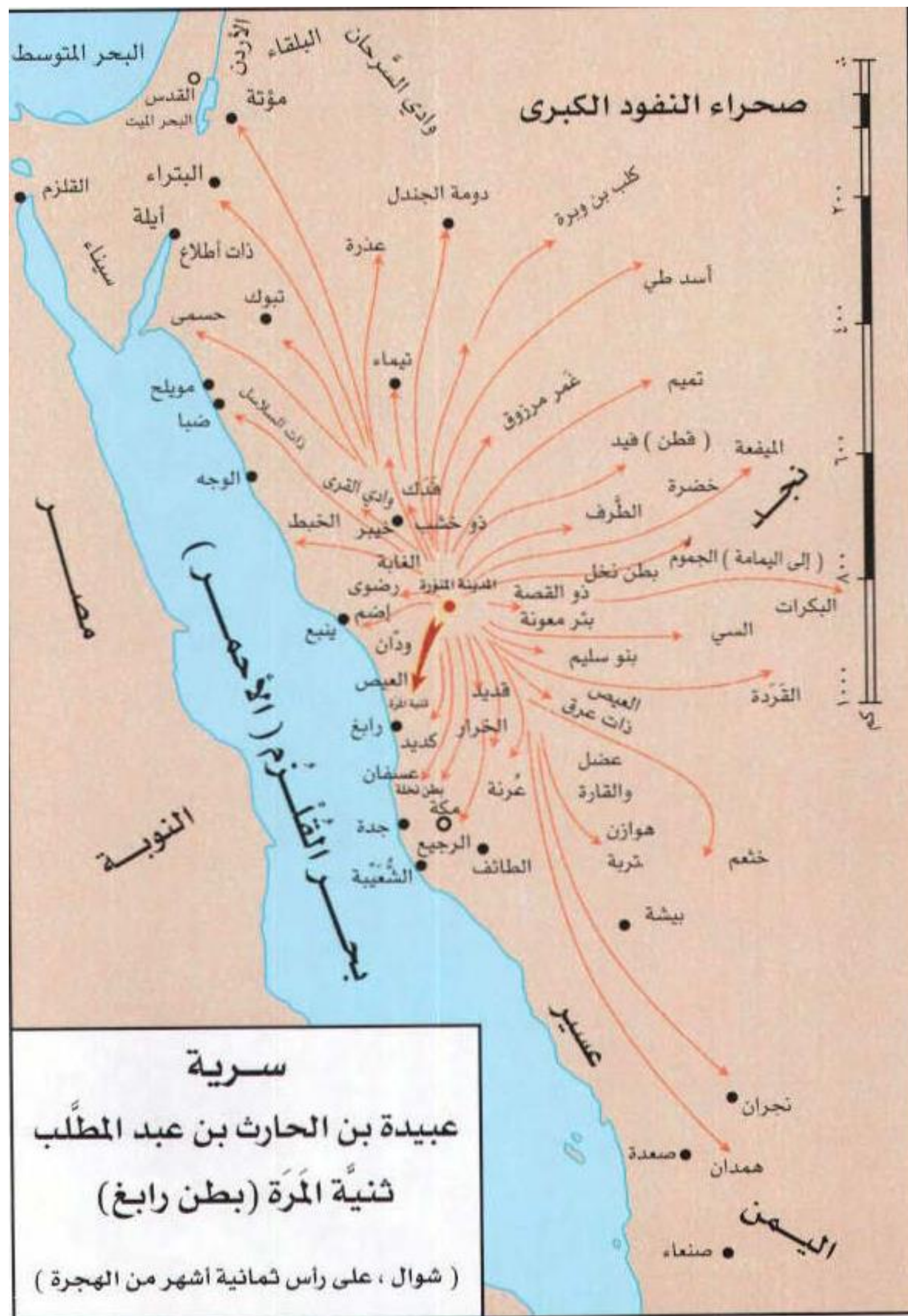
٢. سَرِيَّةُ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ رضي الله عنه إِلَى «رَابِغٍ»:

وَكَانت فِي شَوَّالٍ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ... فَخَرَجَ عُبَيْدَةُ فِي سِتِّينَ رَاكِبًا، فَلَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ فِي مِائَتَيْنِ بِقُرب مَاءٍ يُقَالُ لَهُ أَحْيَاءٌ مِنْ بَطْنِ رَابِغٍ، [فاستُخدِمَ فِيها سِلَاحُ القَنْصِ، أيْ الرَّمْيُ بِالنِّبَالِ بِشَكْلٍ دَقِيقٍ، والَّذي يُعَدُ مِنْ الأَسْلِحة الأَسَاسِيَّةِ فِيْ حَرْبِ العِصَابَات]، فَكَانَ أَوّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي الْإِسْلَامِ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، نَثَرَ كِنَانَتَهُ وَتَقَدّمَ أَمَامَ أَصْحَابِهِ وَتَرَّسَ أَصْحَابُهُ عَنْهُ، فَرَمَى بِمَا فِي كِنَانَتِهِ حَتَّى أنْهَاهَا، مَا فِيهَا سَهْمٌ إلّا يَقَعُ فَيَجْرَحُ إنْسَانًا أَوْ دَابّةً، و لَمْ يَسُلّوا السّيُوف وَلَمْ يَصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ ثُمَّ انْصَرَفَ هَؤُلَاءِ عَلَى حَامِيَتِهِمْ وَهَؤُلَاءِ عَلَى حَامِيَتِهِمْ[١].

وَتَمَّ اسْتِخْدَامُ هَذَا الأُسْلُوبِ فِي الحَرْبِ فِي أغْلَبِ الغَزَوَاتِ وَالسَّرَايَا الَّتِي وَقَعَتْ قَبْلَ «بَدْرٍ» كَـ «غَزْوَةِ الْأَبْوَاءِ» وَ «غَزْوَةِ بُوَاطَ» وَ «غَزْوَةِ ذِي الْعَشِيرَةِ».

---

(١) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/١٠).


سـرية
عبيدة بن الحارث بن عبد المطَّلب
ثنيَّة المَرَة (بطن رابغ)
(شوال ، على رأس ثمانية أشهر من الهجرة)
البحر المتوسط
صحراء النفود الكبرى
مؤتة
البلقاء
البتراء
القلزم
أيلة
دومة الجندل
تبوك
تيماء
خيبر
المدينة المنورة
ينبع
رابغ
مكة
جدة
الطائف
نجران
صنعاء
نجد
اليمن
عسير
النوبة
مصر

٣. سَرِيَّةُ نَخْلَةَ[١]:

وَقَعَتْ فِي رَجَبٍ، عَلَى رَأْسِ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا[٢].

- **أَسْبَابُ الغَزْوَةِ:**

رَصْدُ طَرِيقِ الإِمْدَادِ الاقْتِصَادِيِّ وَالتِّجَارِيِّ لِـ «قُرَيْشٍ»، وَتَهْدِيدُ أَهَمِّ طَرِيقٍ تِجَارِيَّةٍ لِلعَدُوِّ بَيْنَ «مَكَّةَ» وَالشَّامِ.

وَالرَّصْدُ: هُوَ المُلَاحَظَةُ المُنْتَظِمَةُ وَالتَّسْجِيلُ لِلمَعْلُومَاتِ بِشَكْلٍ دَقِيقٍ وَكَافٍ عَنْ العَدُوِّ وَتَحَرُّكَاتِهِ وَأَوْضَاعِهِ بِنُقْطَةٍ مُحَدَّدَةٍ أَوْ قِطَاعٍ مُعَيَّنٍ، إِضَافَةً إِلَى العَمَلِ عَلَى شَلِّ حَرَكَةِ العَدُوِّ فِيهِ عِنْدَ تَوَفُّرِ الإِمْكَانِيَّةِ لِذَلِكَ.

- **تَوْجِيهَاتُ القِيَادَةِ النَّبَوِيَّةِ:**

لَقَدْ امْتَازَ الأُسْلُوبُ العَسْكَرِيُّ النَّبَوِيُّ فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ بِـ:

أ. السِّرِّيَّةِ التَّامَّةِ مِنْ حَيْثُ العَدَدِ وَالأَشْخَاصِ[٣] وَطَبِيعَةِ المُهِمَّةِ وَنَوْعِهَا وَوُجْهَتِهَا.

---

(١) قَالَ الوَاقِدِيُّ فِي «المَغَازِي» (١٣/١): «وَنَخْلَةُ وَادِي بُسْتَانِ ابْنِ عَامِرٍ»، وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ البَكْرِيّ الأَنْدَلُسِيّ فِي «مُعْجَمُ مَا اسْتُعْجِمَ مِنْ أَسْمَاءِ البِلَادِ وَالمَوَاضِعِ» (): «وَقَالَ ابْنُ الأَعْرَابِيّ وَالأَصْمَعِيُّ: نَخْلَةُ اليَمَانِيَّةِ: هِيَ بُسْتَانُ ابْنِ عَامِرٍ عِنْدَ العَامَّةِ. وَالصَّحِيحُ أَنَّ نَخْلَةَ اليَمَانِيَّةِ هِيَ بُسْتَانُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ معمّرٍ».

(٢) وَتَأْخُذُ هَذِهِ السَّرِيَّةُ سِمَةَ حُرُوبِ العِصَابَاتِ، وَلَكِنَّنَا أَفْرَدْنَا لَهَا بَحْثًا خَاصًّا بِهَا لِلإِشَارَةِ إِلَى بَعْضِ الإِسْقَاطَاتِ العَسْكَرِيَّةِ وَالاسْتِرَاتِيجِيَّةِ الهَامَّةِ، وَالَّتِي اعْتَنَى بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

(٣) قَالَ الوَاقِدِيُّ فِي «المَغَازِي» (١٩/١): «تَسْمِيَةُ مَنْ خَرَجَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ فِي سَرِيَّتِهِ ثَمَانِيَةَ نَفَرٍ: عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ، وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التَّمِيمِيّ، وَعُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَن، وَخَالِدُ بْنُ أَبِي الْبَكِيرِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، وَلَمْ يَشْهَدَا الْوَاقِعَةَ. وَيُقَالُ كَانُوا اثْنَي عَشَرَ، وَيُقَالُ كَانُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ، وَالثَّابِتُ عِنْدَنَا ثَمَانِيَةٌ».

ب. ابْتِكَارِ أُسْلُوبٍ عَسْكَرِيٍّ فَرِيدٍ وَجَدِيدٍ فِي فَنِّ الحَرْبِ العَسْكَرِيَّةِ، وَهُوَ الرَّسَائِلُ المَكْتُومَةِ.

وَالرَّسَائِلُ المَكْتُومَةُ: هِيَ مُهِمَّةٌ مَخْفِيَّةُ المَضْمُونِ ضِمْنَ رِسَالَةٍ تُعْطِيهَا القِيَادَةُ لِأَحَدِ رُؤَسَاءِ المَجْمُوعَاتِ، كَبُرَتْ أَمْ صَغُرَتْ. وَيُحْظَرُ عَلَى حَامِلِهَا مَعْرِفَةُ مُحْتَوَاهَا إِلَّا بَعْدَ مُضِيِّ مُدَّةٍ مُحَدَّدَةٍ أَوْ الوُصُولِ لِنُقْطَةٍ مُعَيَّنَةٍ، يَتِمُّ تَعْيِينُهَا مِنْ قِبَلِ الجِهَةِ المَسْؤُولَةِ، وَمِنْ ثَمَّ القِيَامُ بِتَنْفِيذِ مُحْتَوَاهَا[١].

ت. الدِّقَّةُ فِي الأَوَامِرِ العَسْكَرِيَّةِ بِأَدَقِّ التَّفَاصِيلِ وَقْتًا وَزَمَانًا.

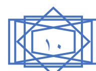
قَالَ «الوَاقِدِيُّ»: «قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ رضي الله عنه: دَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ صَلَّى الْعِشَاءَ فَقَالَ: «**وَافِ مَعَ الصُّبْحِ مَعَك سِلَاحُك؛ أَبْعَثُك وَجْهًا**»، قَالَ: فَوَافَيْت الصُّبْحَ وَعَلَيَّ سَيْفِي وَقَوْسِي وَجَعْبَتِي وَمَعِي دَرَقَتِي، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ بِالنَّاسِ الصُّبْحَ ثُمّ انْصَرَفَ فَيَجِدُنِي قَدْ سَبَقْته وَاقِفًا عِنْدَ بَابِهِ، وَأَجِدُ نَفَرًا مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ. فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَمَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَتَبَ كِتَابًا. ثُمَّ دَعَانِي فَأَعْطَانِي صَحِيفَةً مِنْ أَدِيمٍ خَوْلَانِيّ[٢]، فَقَالَ: «**قَدْ اسْتَعْمَلْتُك عَلَى هَؤُلَاءِ النَّفَرِ، فَامْضِ حَتَّى إذَا سِرْت لَيْلَتَيْنِ فَانْشُرْ كِتَابِي، ثُمّ امْضِ لِمَا فِيهِ**». قُلْت: يَا رَسُولَ اللهِ أَيّ نَاحِيَةٍ؟ فَقَالَ: «**اسْلُكْ النَّجْدِيّةَ، تَؤُمّ رَكِيّةَ**[٣]»، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى إذَا كَانَ بِبِئْرِ ابْن ضُمَيْرَةَ نَشَرَ الْكِتَابَ، فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ: «**سِرْ حَتَّى تَأْتِيَ بَطْنَ نَخْلَةَ عَلَى**

---

(١) ادَّعَى الأَلْمَانُ أَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ ابْتَكَرَ وَاسْتَخْدَمَ مَا يُسَمَّى بِـ «الرَّسَائِلِ المَكْتُومَةِ» فِي الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ (١٩٣٩م-١٩٤٥م)، وَهَذَا غَيْرُ دَقِيقٍ كَمَا رَأَيْنَا مِثَالَهُ، فَقَدْ اسْتَخْدَمَهَا النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا مِنَ الزَّمَانِ.

(٢) أَيْ صَحِيفَةٌ مَصْنُوعَةٌ مِنْ جِلْدٍ مِنْ قِبَلِ خَوْلَانِ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ بِاليَمَنِ.

(٣) الرَّكِيَّةُ هِيَ البِئْرُ.



اسْمِ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ، وَلَا تُكْرِهَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِك عَلَى الْمَسِيرِ مَعَك، وَامْضِ لِأَمْرِي فِيمَنْ تَبِعَكَ حَتَّى تَأْتِيَ بَطْنَ نَخْلَةَ فَتَرَصَّدْ بِهَا عِيرَ قُرَيْشٍ».

فَلَمّا قَرَأَ عَلَيْهِمْ الْكِتَابَ قَالَ: لَسْت مُسْتَكْرِهًا مِنْكُمْ أَحَدًا، فَمَنْ كَانَ يُرِيدُ الشّهَادَةَ فَلْيَمْضِ لِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَنْ أَرَادَ الرّجْعَةَ فَمِنْ الْآنِ. فَقَالُوا أَجْمَعُونَ: نَحْنُ سَامِعُونَ وَمُطِيعُونَ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَك، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ حَيْثُ شِئْت»(١).

عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ بَعَثَ رَهْطًا، وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْطَلِقَ بَكَى صَبَابَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسَ، فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ مَكَانَهُ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَقْرَأَ الْكِتَابَ حَتَّى يَبْلُغَ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَ: «**لَا تُكْرِهَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ عَلَى الْمَسِيرِ مَعَكَ**»(٢). فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ اسْتَرْجَعَ، وَقَالَ: سَمْعٌ وَطَاعَةٌ للهِ وَلِرَسُولِهِ، فَخَبَّرَهُمُ الْخَبَرَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ، فَرَجَعَ رَجُلَانِ وَمَضَى بَقِيَّتُهُمْ(٣).

- **النَّتَائِجُ:**

فَلَمَّا رَأَى الْمسلِمُونَ العِيرَ أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ وَأَخْذِ مَا مَعَهُمْ، فَرَمَى وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التّمِيمِيّ عَمْرَو بْنَ الْحَضْرَمِيّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ، وَاسْتَأْسَرَ عُثْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، وَالْحَكَمَ بْنَ كَيْسَانَ(٤)، وَأَفْلَتَ الْقَوْمَ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فَأَعْجَزَهُمْ. وَأَقْبَلَ

---

(١) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/١٣-١٤).

(٢) فِي المَهَامّ السَّرِيعَةِ وَالحَسَّاسَةِ، ذَاتِ الطَّبِيعَةِ الخَاصَّةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اخْتِيَارُ المُشَارِكِينَ تَبَعًا لِرَغْبَةِ المُقَاتِلِ فِي القِيَامِ بِالمُهِمَّةِ، إِضَافَةً وَزِيَادَةً عَلَى مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ مَهَارَاتٍ وَمُؤَهِّلَاتٍ.

(٣) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «المُعْجَمُ الكَبِيرُ» (١٦٧٠)، وَأَوْرَدَهُ الهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الفَوَائِدِ» (٦/١٩٨) وَقَالَ: «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ».

(٤) أَسْلَمَ وَقُتِلَ فِي «بِئْرِ مَعُونَةَ» شَهِيدًا.

عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ وَأَصْــحَابُهُ بِالْعِيرِ وَبِالْأَسِــيرَيْنِ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُــولِ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ(١).

فَكَانَ فِيْ هَذه الغَزْوَةِ أَوَّلَ قَتِيلٍ مِنَ المُشْــرِكِينَ وَأَوَّلَ غَنِيمَةٍ وَأَوَّلَ أَسِــيرَيْنِ، وَقَدْ فَادَى الرَّسُــولُ ﷺ هَذَيْنِ الأَسِــيرَيْنِ، فأَسْــلَمَ أَحَدُهُمَا وَعَادَ الثَّانِي أَدْرَاجَهُ إِلَى «مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ»(٢).

---

(١) السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ ()، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ العَظِيمِ (١/٤٣١).

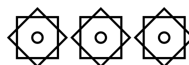
(٢) الرَّسُولُ القَائِدُ لِمَحْمُودِ شِيت خَطَّاب (ص٩٣).

سـريـة

عبد الله بن جَحْش

(بطـن نخـلـة)

رجب ٢ هـ



❖ بَعْضُ السَّرَايَا الَّتِي اتُّبِعَ فِيهَا هَذَا التِّكْتِيكُ بَعْدَ «بَدْرٍ الكُبْرَى»:

١. سَرِيّةِ الْقَرَدَةِ:

وَكَانَتْ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِلهِجْرَةِ، فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ.

- **أَسْبَابُ الغَزْوَةِ:**

ضَرْبُ الطَّرِيقِ التِّجَارِيِّ الجَدِيدِ لِـــ «قُرَيْشٍ»، وَهُوَ طَرِيقُ «مَكَّةَ–العِرَاقِ»، وَذَلِكَ بَعْدَ حِرْمَانِ المُسْلِمِينَ لِـــ «قُرَيْشٍ» مِنْ الاسْتِفَادَةِ مِنْ طَرِيقِ «مَكَّةَ–الشَّام» التِّجَارِيّ بِسَبَبِ الضَّرَبَاتِ المُرَكَّزَةِ مِنْ قُوَّاتِ المُسْلِمِينَ لِقَوَافِلِهِمْ، إِضَافَةً إِلَى تَضْيِيقِ الخِنَاقِ الاقْتِصَادِيّ لِقُوَّاتِ العَدُوِّ مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ.

- **بِدَايَةُ الأَحْدَاثِ:**

كَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ حَذِرَتْ طَرِيقَ الشَّامِ أَنْ يَسْلُكُوهَا، وَخَافُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَكَانُوا قَوْمًا تُجَّارًا، فَقَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ: إنّ مُحَمّدًا وَأَصْحَابَهُ قَدْ عَوّرُوا عَلَيْنَا مَتْجَرَنَا، فَمَا نَدْرِي كَيْفَ نَصْنَعُ بِأَصْحَابِهِ، لَا يَبْرَحُونَ السَّاحِلَ، وَأَهْلُ السَّاحِلِ قَدْ وَادَعَهُمْ وَدَخَلَ عَامّتُهُمْ مَعَهُ، فَمَا نَدْرِي أَيْنَ نَسْلُك، وَإِنْ أَقَمْنَا نَأْكُلُ رُءُوسَ أَمْوَالِنَا وَنَحْنُ فِي دَارِنَا هَذِهِ، مَا لَنَا بِهَا بَقَاءٍ، إنّمَا نَزَلْنَاهَا عَلَى التِّجَارَةِ إلَى الشَّامِ فِي الصَّيْفِ وَفِي الشِّتَاءِ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ. قَالَ لَهُ الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ: فَنَكِّبْ عَنْ السَّاحِلِ، وَخُذْ طَرِيقَ الْعِرَاقِ. قَالَ صَفْوَانُ: لَسْت بِهَا عَارِفًا. قَالَ أَبُو زَمْعَةَ: فَأَنَا أَدُلُّك عَلَى أَخْبَرِ دَلِيلٍ بِهَا يَسْلُكُهَا وَهُوَ مُغْمَضُ الْعَيْنِ إنْ شَاءَ اللهُ. قال: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: فُرَاتُ بْنُ حَيّانَ الْعِجْلِيّ، قَدْ دَوّخَهَا وَسَلَكَهَا. قَالَ صَفْوَانُ: فَذَلِكَ وَاَللهِ! فَأَرْسَلَ إلَى فُرَاتٍ. فَجَاءَهُ فَقَالَ: إنّي أُرِيدُ الشَّامَ وَقَدْ عَوّرَ عَلَيْنَا مُحَمّدٌ مَتْجَرَنَا لِأَنّ طَرِيقَ عِيرَاتِنَا عَلَيْهِ، فَأَرَدْت طَرِيقَ الْعِرَاقِ. قَالَ فُرَاتٌ: فَأَنَا أَسْلُكُ بِك فِي طَرِيقِ الْعِرَاقِ،

لَيْسَ يَطَأَهَا أَحَدٌ مِنْ أَصْـحَابِ مُحَمَّدٍ، إنّمَا هِيَ أَرْضُ نَجْدٍ وَفَيَافٍ. قَالَ صَـفْوَانُ: فَهَذِهِ حَاجَتِي، فَتَجَهَّزَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ، وَخَرَجَ صَفْوَانُ بِمَالٍ كَثِيرٍ(١).

- **وُصُولُ الخَبَرِ لِلمُسْلِمِينَ:**

قَدِمَ الْمَدِينَةَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْـعُودٍ الْأَشْـجَعِيّ -وَهُوَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ- عَلَى كِنَانَةَ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ... فَذَكَرَ نُعَيْمٌ خُرُوجَ صَـفْوَانَ فِي عِيرِهِ وَمَا مَعَهُمْ مِنْ الْأَمْوَالِ، فَخَرَجَ مِنْ سَاعَتِهِ إلَى النَّبِيّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ(٢).

- **الضَّرْبَةُ القَاضِيَةُ:**

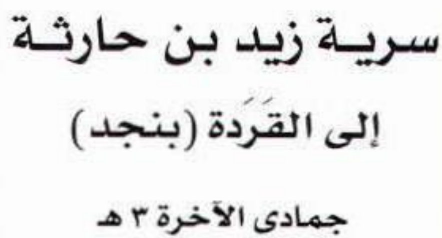
أَرْسَـلَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِي مِائَةِ رَاكِبٍ، فَاعْتَرَضُـوا لَهَا فَأَصَـابُوا الْعِيرَ. وَأَفْلَتَ أَعْيَانُ الْقَوْمِ وَأَسَـرُوا رَجُلًا أَوْ رَجُلَيْنِ، وَقَدِمُوا بِالْعِيرِ عَلَى النَّبِيّ ﷺ فَخَمَّسَهَا، وَكَانَ فِي الْأَسْرَى فُرَاتُ بْنُ حَيَّانَ، فَأُتِيَ بِهِ فَقِيلَ لَهُ: أَسْلِمْ، إنْ تُسْلِمْ نَتْرُكْك مِنْ الْقَتْلِ، فَأَسْلَمَ فَتَرَكَهُ مِنَ القَتْلِ(٣).

فَكَانَتْ هَذِهِ الضَّـرْبَةُ بِمَثَابَةِ الضَّـرْبَةِ القَاضِـيَةِ لِـ «قُرَيْشٍ» فِي أَمَلِهَا فِي فَكِّ الحِصَارِ الاقْتِصَادِيّ الَّذِي ضَرَبَتْهُ عَلَيْهَا القِيَادَةُ النَّبَوِيَّةُ، فَلَمْ يَبْقَ لِـ «قُرَيْشٍ» إلَّا أَحَدُ أَمْرَيْنِ: إمَّا مُحَاوَلَةُ القَضَـاءِ عَلَى المُسْـلِمِينَ لِتَنْفَتِحَ أَمَامَهُمْ الطُّرُقُ التِّجَارِيَّةُ المَقْطُوعَةُ، أَوِ الاسْتِسْلَامُ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ «قُرَيْشٌ» جُوعًا.

(١) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/١٩٧-١٩٨).

(٢) المَصْدَرُ السَّابِقُ (١/١٩٨).

(٣) المَصْدَرُ السَّابِقُ (١/١٩٨).


سرية زيد بن حارثة
إلى القَرَدة (بنجد)
جمادى الآخرة ٣ هـ



البَابُ الثَّانِي
غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَى
رَمَضَانُ، السَّنَةُ الثَّانِيَةُ لِلهِجْرَةِ

❖ سَبَبُ الغَزْوَةِ:

بَعْدَمَا أَبْلَغَتْ الاسْتِخْبَارَاتُ العَسْكَرِيَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ النَّبِيَّ ﷺ «أَنَّ عِيرًا لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ ثَرَوَاتٍ طَائِلَةً لِكِبَارِ أَهْلِ «مَكَّةَ» وَرُؤَسَائِهَا، وَبِمَا يُقَدَّرُ بِأَلْفِ بَعِيرٍ مُوَقَّرَةٍ بِأَمْوَالٍ لَا تَقِلُّ عَنْ خَمْسِينَ أَلْفِ دِينَارٍ ذَهَبِيٍّ، وَإِنَّ تَعْدَادَ قُوَّاتِ حِمَايَةِ القَافِلَةِ بَيْنَ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا»، فَوَجَدَتْ القِيَادَةُ النَّبَوِيَّةُ أَنَّهَا فُرْصَةٌ ذَهَبِيَّةٌ لِلمُسْلِمِينَ لِيُصِيبُوا أَهْلَ «مَكَّةَ» بِضَرْبَةٍ اقْتِصَادِيَّةٍ قَاصِمَةٍ، تَتَأَلَّمُ لَهَا قُلُوبُهُمْ عَلَى مَرِّ العُصُورِ.

❖ الأسلوب العسكري النبوي في بدر:

لَقَدْ امْتَازَ الأُسْلُوبُ العَسْكَرِيُّ النَّبَوِيُّ فِي هَذَا الحَدَثِ بِـ:

اسْتِخْدَامُهُ ﷺ لِلاسْتِطْلَاعِ[1]:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [2] فَقَالَ

(١) الاسْتِطْلَاعُ: هُوَ عَمَلِيَّةُ جَمْعِ المَعْلُومَاتِ الدَّقِيقَةِ وَالكَافِيَةِ عَنْ العَدُوِّ وَتَحَرُّكَاتِ قُوَّاتِهِ وَأَوْضَاعِهِ القِتَالِيَّةِ وَالأَرْضِ المُتَوَقَّعُ نُشُوبُ المَعَارِكِ بِهَا، وَالْتِقَاطِ الصُّوَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ المَعْلُومَاتِ الَّتِي تُؤَهِّلُ القِيَادَةَ العَسْكَرِيَّةَ لِاتِّخَاذِ أَقْرَبِ القَرَارَاتِ وَالخُطُوَاتِ إِلَى الغَلَبَةِ وَالنَّصْرِ.

(٢) انْظُرْ إِلَى تَحَرِّي السِّرِّيَّةِ التَّامَّةِ وَإِخْفَاءِ الأَخْبَارِ حَتَّى عَنْ أَفْرَادِ الأُسْرَةِ المُقَرَّبِينَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي عِلْمِهِمْ إِيَّاهَا نَفْعٌ يُرْتَجَى، أَوْ كَانَ لِعِلْمِهِمْ إِيَّاهَا ضَرَرٌ يُتَّقَى.

لاَ أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ(١).

إِمْكَانِيَّةُ اتِّخَاذِ القَرَارِ السَّرِيعِ وَتَنْفِيذِهِ وَعَدَمِ إِضَاعَةِ فُرْصَةٍ مُقَيَّدَةٍ بِوَقْتٍ ضَيِّقٍ:

فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**هَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَافِلًا بِتِجَارَةِ قُرَيْشٍ، فَاخْرُجُوا لَهَا، لَعَلَّ اللهَ ﷻ يُنَفِّلُكُمُوهَا**»(٢)، ثم قَالَ: «**إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا**(٣) **فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا**»(٤)، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَاكِبٍ وَنَيِّفٍ، وَأَكْثَرُ أَصْحَابِهِ مُشَاةٌ، مَعَهُمْ ثَمَانُونَ بَعِيرًا، وَفَرَسٌ، وَيَزْعُمُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ لِلْمِقْدَادِ(٥)، وَقِيلَ فَرَسَانُ، الفَرَسُ الآخَرُ لِـ «الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ»(٦).

وَكَانَتْ قُوَّاتُ المُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ لَا تُمَثِّلُ القُدْرَةَ العَسْكَرِيَّةَ القُصْوَى لِلدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا خَرَجُوا لِاعْتِرَاضِ قَافِلَةٍ وَاحْتِوَائِهَا.

مُشَارَكَةُ القَائِدِ لِلجُنْدِ: «إِنْ كُنْتَ إِمَامِي فَكُنْ أَمَامِي»:

عن ابن مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ اثْنَيْنِ عَلَى بَعِيرٍ وَثَلَاثَةً عَلَى بَعِيرٍ وَكَانَ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَلِيٌّ وَأَبُو لُبَابَةَ الأَنْصَارِيُّ ﷺ وَكَانَتْ إِذَا حَانَتْ عُقْبَتُهُمَا قَالاَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ارْكَبْ نَمْشِي عَنْكَ قَالَ: «**إِنَّكُمَا لَسْتُمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي**

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (١٢٣٩٨)، وَقَالَ شُعَيْبُ الأَرْنَاؤُوط (٣٨٩/١٩): «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ».

(٢) رَوَاهَا ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ (٢٥٧/٢-٢٥٨)، وَكَذَا البَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ» (٣٢/٣) وَاللَّفْظُ لَهُ.

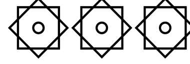
(٣) وَهُنَا يَبْرُزُ جَلِيًّا أَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ القَائِدِ الحَكِيمِ إِمْكَانِيَّةُ اتِّخَاذِ القَرَارِ السَّرِيعِ وَتَنْفِيذِهِ وَعَدَمِ إِضَاعَةِ فُرْصَةٍ قَدْ تَفُوتُ بِسَبَبِ فُقْدَانِ هَذِهِ المَزِيَّةِ. إِنَّ المُفَاجَأَةَ تُحَقِّقُ نَجَاحًا مُؤَقَّتًا، مَا لَمْ تُسْتَغَلَّ بِالسُّرْعَةِ المُنَاسِبَةِ وَبِالمُحَافَظَةِ عَلَى المُبَادَأَةِ. وَبِانْدِمَاجِ المُفَاجَأَةِ مَعَ السُّرْعَةِ تَنْتُجُ القُدْرَةُ عَلَى الحَرَكَةِ وَالمُنَاوَرَةِ وَالحَشْدِ.

(٤) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ» (٦٨/٣).

(٥) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ» (٣٢/٣).

(٦) مَغَازِي الوَاقِدِيِّ (٢٧/١).

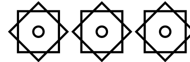
وَلاَ أَرْغَبَ عَنِ الأَجْرِ مِنْكُمَا»(١).



❖ تَغَيُّرُ الأَحْدَاثِ وَتَغْيِيرُ الخُطَّةِ:

أ. **تَغَيُّرُ الأَحْدَاثِ**: وَكَانَ ذَلِكَ بِسَبَبِ خَطَإٍ بَسِيطٍ مِنْ فَرِيقِ الاسْتِطْلَاعِ وَإِخْلَالِهِمْ بِقَاعِدَةٍ مُهِمَّةٍ فِي الاسْتِطْلَاعِ وَهِيَ «لَا تَتْرُكْ خَلْفَكَ مَا يَدُلُّ عَلَيْكَ»، فَعِنْدَمَا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ الاسْتِطْلَاعَ «بُسَيْسَةَ وَعَدِيَّ» يَلْتَمِسَانِ الْخَبَرَ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، فَانْطَلَقَا حَتَّى وَرَدَا بَدْرًا، فَأَنَاخَا بَعِيرَيْهِمَا إِلَى تَلٍّ مِنَ الْبَطْحَاءِ، وَاسْتَقَيَا فِي شَنٍّ لَهُمَا مِنَ الْمَاءِ، وأتيا بالخبر، أَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ حِينَ وَلَّيَا وَقَدْ حَذِرَ، فَتَقَدَّمَ أَمَامَ عِيرِهِ، فَقَالَ لِمَجْدِيِّ بْنِ عَمْرٍو: هَلْ أَحْسَسْتَ عَلَى هَذَا الْمَاءِ مِنْ أَحَدٍ تُنْكِرُهُ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ، إِلَّا أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَاكِبَيْنِ أَنَاخَا إِلَى هَذَا التَّلِّ، فَاسْتَقَيَا فِي شَنٍّ لَهُمَا ثُمَّ انْطَلَقَا، فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ مَنَاخَ بَعِيرَيْهِمَا، فَأَخَذَ مِنْ أَبْعَارِهِمَا وَفَتَّهُ، فَإِذَا فِيهِ النَّوَى، فَقَالَ: هَذِهِ وَاللهِ عَلَائِفُ يَثْرِبَ، ثُمَّ رَجَعَ سَرِيعًا، فَضَرَبَ وَجْهَ عِيرِهِ، فَانْطَلَقَ بِهَا تِجَاهَ السَّاحِلِ وَقَدْ أَرْسَلَ مُسْتَنْجِدًا بِقُرَيْشٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ النبي ﷺ بِبَعْضِ وَادِي ذَفَارٍ، نَزَلَ وَأَتَاهُ الْخَبَرُ [مِنْ فِرَقِ الاسْتِطْلَاعِ] أَنَّ قُرَيْشًا قَدْ أَجْمَعَتْ مَسِيرَهِمْ لِيَمْنَعُوا عِيرَهُمْ(٢).

ب. **تَغْيِيرُ الخُطَّةِ**: وَهُنَا تَتَجَلَّى الشَّخْصِيَّةُ العَسْكَرِيَّةُ وَالقِيَادِيَّةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِحُسْنِ التَّصَرُّفِ مَعَ المُسْتَجَدَّاتِ الطَّارِئَةِ ضِمْنَ الإِمْكَانِيَّاتِ المُتَاحَةِ كَمَا سَيَأْتِي.



(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيّ فِي مُسْنَدِهِ (٣٥٢)، قَالَ د. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ المُحْسِنِ التُّرْكِيّ (٢٧٧/١): «إِسْنَادُهُ حَسَنٌ»، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنُ الكَبِيرُ» (١٠٤٥٣) كِتَابُ الحَجِّ-بَابُ الاعْتِقَابِ فِي السَّفَرِ.

(٢) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ» (٣٣/٣).

❖ الاسْتِعْدَادُ لِلمَعْرَكَةِ:

فَقَدْ تَعَامَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ المُسْتَجَدَّاتِ الطَّارِئَةِ بِعِدَّةِ أُمُورٍ:

١. الشُّورَى.
٢. الحِفَاظُ عَلَى أَمْنِ القِيَادَةِ.
٣. الاسْتِطْلَاعُ الحَرْبِيُّ.
٤. التَّخْطِيطُ لِلمَعْرَكَةِ بِأَدَقِّ التَّفَاصِيلِ.
٥. المِثَالُ الطَّيِّبُ فِي حُسْنِ التَّصَرُّفِ وَالخُلُقُ الحَسَنُ مَعَ الجُنْدِ.
٦. تَوَفُّرُ الشَّجَاعَةُ فِي القَائِدِ، وَالتَّعْبِئَةُ النَّفْسِيَّةُ لِلجُنْدِ قَبْلَ المَعْرَكَةِ.
٧. الحِرْصُ عَلَى أَمْنِ المَعْلُومَةِ العَسْكَرِيَّةِ فِي كَافَّةِ تَفَاصِيلِ المَعْرَكَةِ.
٨. الحِفَاظُ عَلَى الكَوَادِرِ المُمَيَّزَةِ.

١. الشُّورَى:

وَكَانَتْ شُورَى النَّبِيِّ ﷺ فِي أَمْرَيْنِ: الأَوَّلُ فِي خَوْضِ المَعْرَكَةِ، وَالثَّانِي فِي وَضْعِ خُطَّةِ القِتَالِ، وَسَيَأْتِي تَفْصِيلُ ذَلِكَ.

الشُّورَى فِي خَوْضِ المَعْرَكَةِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا سَارَ إِلَى بَدْرٍ اسْتَشَارَ الْمُسْلِمِينَ فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ثُمَّ اسْتَشَارَهُمْ فَأَشَارَ عَلَيْهِ عُمَرُ رضي الله عنه ثُمَّ اسْتَشَارَهُمْ فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ إِيَّاكُمْ يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ قَالُوا: إِذًا لاَ نَقُولُ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ٢٤].

وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ ضَرَبْتَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغُمَادِ لَاتَّبَعْنَاكَ»(١).

وَكَانَ لِـ «المِقْدَادِ بْنِ الأسْوَدِ» رضي الله عنه مَوْقِفٌ مُتَمَيِّزٌ؛ فَقَدْ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بْنِ الأسْوَدِ مَشْهَدًا لِأنْ أكُونَ صَاحِبَهُ أحَبُّ إلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ: أتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ٢٤]، وَلَكِنْ نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ، فَرَأَيْتُ الرَّسُولَ ﷺ أشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ»(٢).

٢.الحِفَاظُ عَلَى أمْنِ القِيَادَةِ:

وَكَانَ ذَلِكَ بِإِشَارَةِ أحَدِ أصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.

عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: أنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ رضي الله عنه قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَمَّا الْتَقَى النَّاسُ يَوْمَ بَدْرٍ: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَبْنِي لَكَ عَرِيشًا فَتَكُونَ فِيهِ، وَنُنِيخُ لَكَ رَكَائِبَكَ، وَنَلْقَى عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَظْهَرَنَا اللهُ عَلَيْهِمْ وَأَنْجَزَنَا فَذَاكَ مَا أَحَبُّ إِلَيْنَا، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَتَجْلِسُ عَلَى رَكَائِبِكَ وَتَلْحَقُ بِمَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا، فَقَدْ وَاللهِ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ مَا نَحْنُ لَكَ بِأَشَدَّ حُبًّا مِنْهُمْ، لَوْ عَلِمُوا أَنْ نَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يُوَادُّونَكَ وَيَنْصُرُونَكَ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرًا وَدَعَا لَهُ بِهِ، فَبُنِيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَرِيشٌ، فَكَانَ فِيهِ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مَا مَعَهُمَا غَيْرُهُمَا»(٣)(٤).

---

(١) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الكَبِيرِ (٢٠٣٢٧) كِتَابُ آدَابِ القَاضِي–بَابُ مُشَاوَرَةِ الوَالِي وَالقَاضِي فِي الأمْرِ، وَأَوْرَدَهُ الألْبَانِيُّ فِي «سِلْسِلَةُ الأحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ» (٣٣٤٠).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٣٩٥٢) كِتَابُ المَغَازِي، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ» (٣/٤٦).

(٣) رَوَاهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ (٢/٢٧٢–٢٧٣)، وَكَذَلِكَ البَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ» (٣/٤٤) بَابُ مَا جَاءَ فِي الْعَرِيشِ الَّذِي بُنِيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ الْتَقَى النَّاسُ يَوْمَ بَدْرٍ.

(٤) وَمِمَّا يُسْتَفَادُ مِنْ بِنَاءِ العَرِيشِ:

٣.الاسْتِطْلَاعُ العَامُّ وَاسْتِطْلَاعُ القِيَادَةِ(١):

فِي بَعْضِ المَوَاقِفِ العَسْكَرِيَّةِ الهَامَّةِ لَا بُدَّ لِلقِيَادَةِ مِنْ الاسْتِطْلَاعِ بِنَفْسِهَا، فَنَظْرَةُ القِيَادَةِ أَكْبَرُ وَأَشْمَلُ مِنْ رُؤْيَةِ العَنَاصِرِ، فَقَدْ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِالاسْتِطْلَاعِ بِنَفْسِهِ، إِضَافَةً إِلَى فَرِيقِ الاسْتِطْلَاعِ، فَأَثْنَاءَ قِيَامِهِ ﷺ بِالاسْتِطْلَاعِ مَعَ سَيِّدِنَا «أَبِي بَكْرٍ» رضي الله عنه لَقِيَا شَيْخًا مِنْ العَرَبِ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ جَيْشِ قُرَيْشٍ، وَعَنْ «مُحَمَّدٍ» وَأَصْحَابِهِ، وَمَا بَلَغَهُ ﷺ مِنْ أَخْبَارِهِمْ: قَالَ الشَّيْخُ: لَا أُخْبِرُكُمَا حَتَّى تُخْبِرَانِي مِمَّنْ أَنْتُمَا. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَخْبَرْتَنَا أَخْبَرْنَاكَ**»، فَقَالَ: أَوَ ذَاكَ بِذَاكَ؟، قَالَ: «**نَعَم**»، فَقَالَ الشَّيْخُ: فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ «مُحَمَّدًا» وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَنِي فَهُمْ اليَوْمَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا - لِلمَكَانِ الَّذِي بِهِ جَيْشُ المُسْلِمِينَ- وَبَلَغَنِي أَنَّ قُرَيْشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَنِي فَهُمْ اليَوْمَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا - لِلمَكَانِ الَّذِي فِيهِ جَيْشُ المُشْرِكِينَ فِعْلًا-، ثُمَّ

---

١. لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَكَانُ القِيَادَةِ مُشْرِفًا عَلَى أَرْضِ المَعْرَكَةِ، بِحَيْثُ يَتَمَكَّنُ القَائِدُ فِيهِ مِنْ مُتَابَعَةِ المَعْرَكَةِ وَإِدَارَتِهَا.
٢. يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَقَرُّ القِيَادَةِ آمِنًا بِتَوَافُرِ الحِرَاسَةِ الكَافِيَةِ لَهُ.
٣. يَنْبَغِي الاهْتِمَامُ بِحَيَاةِ القَائِدِ، وَصَوْنُهَا مِنْ التَّعَرُّضِ لِأَيِّ خَطَرٍ.
٤. يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِلقَائِدِ قُوَّةٌ احْتِيَاطِيَّةٌ أُخْرَى، تُعَوِّضُ الخَسَائِرَ الَّتِي قَدْ تَحْدُثُ فِي المَعْرَكَةِ.

(١) الاستطلاع العسكري بمفهومه العام: هو مجموعة الإجراءات التي تتخذها القيادات على اختلاف مستوياتها بغية استقصاء المعلومات عن الموقف السياسي والعسكري في بلدان معينة وفي أحلاف دول معادية فعلاً أو يتوقع عداؤها، وعن قواتها المسلحة وكمونها الاقتصادي والحربي وعن قوام تجمعات قواتها وحالتها وطبيعة أعمالها ونواياها، وعن طبيعة مسرح الأعمال الحربية، وتنفذ هذه الأعمال بصورة دائمة في زمني السلم والحرب وبجميع الوسائل والأساليب الممكنة.

ويقصد باستطلاع القيادة: هي خروج القيادة للتأكد من مهام فرق الاستطلاع وتكون غالباً في حال حدوث تبدلات حادة وطارئة في الموقف وذلك من أجل تدقيق المعلومات عن العدو والأرض في منطقة أعمال القتال وتحديد وضعية قواتنا والجوار، ومن أجل التحقق من المعطيات المتوفرة عن الموقف.

قَالَ الشَّـيْخُ: لَقَدْ أَخْبَرْتُكُمَا عَمَّا أَرَدْتُمَا، فَأَخْبِرَانِي مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «**نَحْنُ مِنْ مَاءٍ**»، ثُمَّ انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ وَ «أَبُو بَكْرٍ» عَنْ الشَّيْخِ، وَبَقِيَ هَذَا الشَّيْخُ يَقُولُ: مَا مِنْ مَاءٍ؟ أَمِنْ مَاءِ العِرَاقِ؟(١).

وَقَدْ كَانَ فَرِيقُ الاسْـتِطْلَاعِ المُرْسَـلُ مِنْ قِبَلِ النَّبِيِّ ﷺ مُؤَلَّفًا مِنْ «عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» وَ «الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ» وَ «سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاص»، فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ﷺ إِلَى مَاءِ بَدْرٍ، فَوَجَدُوا غُلَامَيْنِ يَسْتَقِيَانِ لِجَيْشِ المُشْرِكِينَ، فَأَتَوْا بِهِمَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمَا: «**أَخْبِرَانِي عَنْ قُرَيْشٍ؟**»، قَالَا: هُمْ وَاَللَّهِ وَرَاءَ هَذَا الْكَثِيبِ الَّذِي تَرَى بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى- وَالْكَثِيبُ: الْعَقَنْقَلُ- فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**كَمْ الْقَوْمُ؟**»، قَالَا: كَثِيرٌ، قَالَ: «**مَا عِدَّتُهُمْ؟**»، قَالَا: لَا نَدْرِي، قَالَ: «**كَمْ يَنْحَرُونَ كُلَّ يَوْمٍ؟**»، قَالَا: يَوْمًا تِسْـعًا، وَيَوْمًا عَشْـرًا، فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْقَوْمُ فِيمَا بَيْنَ التِّسْـعِ مِائَةٍ وَالْأَلْفِ**». ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: «**فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْـرَافِ قُرَيْشٍ؟**»، قَالَا: عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَـيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَـامٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَنَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ نَوْفَلٍ، وَالنَّضْـرُ بْنِ الْحَارِثِ، وَزَمَعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَنُبَيْهٌ، وَمُنَبِّهٌ ابْنَا الْحَجَّاجِ، وَسُـهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدٍّ. فَأَقْبَلَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا**»(٢).

---

(١) رَوَاهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ (٢/٢٦٧-٢٦٨).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ (٢/٢٦٨-٢٦٩).



٩. التَّخْطِيطُ لِلمَعْرَكَةِ بِأدَقِّ التَّفَاصِيلِ:

وَيُلَخَّصُ ذَلِكَ بِعِدَّةِ أُمُورٍ:

- **انْتِقَاءُ الأَرْضِ:**

إنَّ مِنْ أكْبَرِ مُقَوِّمَاتِ النَّصْرِ فِي المَعْرَكَةِ هِيَ إجْبَارُ الخَصْمِ عَلَى خَوْضِ المَعْرَكَةِ فِي المَكَانِ الَّذِي تُرِيدُ، وَيُحَقِّقُ ذَلِكَ لَكَ السَّيْطَرَةَ عَلَى الأَرْضِ.

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَارَ فِي بَدْرٍ يُبَادِرُ قُرَيْشًا إِلَى الْمَاءِ حَتَّى نَزَلَ بَدْرًا، فَسَبَقَ قُرَيْشًا إِلَيْهِ، فَلَمَّا جَاءَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ بَدْرٍ نَزَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ اللهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَعَدَّاهُ وَلَا نُقَصِّرُ عَنْهُ؟، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ**»، فَقَالَ الْحُبَابُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، وَلَكِنِ انْهَضْ حَتَّى تَجْعَلَ الْقُلُبَ كُلَّهَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ، ثُمَّ غَوِّرْ كُلَّ قَلِيبٍ بِهَا، إِلَّا قَلِيبًا وَاحِدًا، ثُمَّ احْفِرْ عَلَيْهِ حَوْضًا، فَنُقَاتِلُ الْقَوْمَ ، فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ: «**قَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ**»، فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَغُوِّرَتِ الْقُلُبُ، وَبَنَى حَوْضًا عَلَى الْقَلِيبِ

الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ، فَمُلِئَ مَاءً، ثُمَّ قَذَفُوا فِيهِ الآنِيَةَ[(١)].

- **انْتِقَاءُ الزَّمَانِ المُنَاسِبِ:**

لَمْ يُهْمِلْ النَّبِيُّ ﷺ فُرْصَةَ الاسْتِفَادَةِ مِنْ الظُّرُوفِ الطَّبِيعِيَّةِ أَثْنَاءَ قِتَالِ العَدُوِّ، فَقَدْ اسْتَفَادَ مِنْ كُلِّ الظُّرُوفِ فِي مَيْدَانِ المَعْرَكَةِ لِمَصْلَحَةِ جَيْشِهِ، وَمِنْ الأَمْثِلَةِ عَلَى ذَلِكَ مَا فَعَلَهُ ﷺ قَبْلَ بَدْءِ القِتَالِ يَوْمَ بَدْرٍ، يَقُولُ «المَقْرِيزِيُّ»: «وَأَصْبَحَ ﷺ بِبَدْرٍ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ قُرَيْشٌ، فَطَلَعَتْ الشَّمْسُ وَهُوَ يَصُفُّهُمْ، فَاسْتَقْبَلَ المَغْرِبَ وَجَعَلَ الشَّمْسَ خَلْفَهُ، فَاسْتَقْبَلُوا الشَّمْسَ»[(٢)].

- **انْتِقَاءُ أُسْلُوبٍ قِتَالِيٍّ جَدِيدٍ وَمُبْتَكَرٍ:**

ابْتَكَرَ الرَّسُولُ ﷺ فِي قِتَالِهِ مَعَ المُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أُسْلُوبًا جَدِيدًا فِي مُقَاتَلَةِ أَعْدَاءِ اللهِ تَعَالَى، لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا مِنْ قَبْلُ، حَتَّى قَاتَلَ ﷺ بِنِظَامِ الصُّفُوفِ، وَهَذَا الأُسْلُوبُ أَشَارَ إِلَيْهِ القُرْآنُ الكَرِيمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ٤﴾ [سُورَةُ الصَّفِّ :٤].

عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ التُّجِيبِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ يَقُولُ: صَفَّنَا يَوْمَ بَدْرٍ فَبَدَرَتْ مِنَّا بَادِرَةٌ أَمَامَ الصَّفِّ فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: **«مَعِي مَعِي»**.

---

(١) أَوْرَدَهَا الوَاقِدِيُّ فِي مَغَازِيهِ (٥٣/١)، وَابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ (٢٧٢/٢)، وَرَوَاهَا البَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ» (٣٥/٣) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٢) هَذِهِ الفِقْرَةُ مِنْ مَقَالٍ لِيَاسِر مُنِير، بِعُنْوَانِ «غَزْوَةُ بَدْرٍ. دُرُوسٌ وَعِبَرٌ»، وَعَزَا نَقْلَهُ عَنْ المَقْرِيزِيِّ إِلَى د. عَبْدِ مُحَمَّد الرَّشِيد فِي كِتَابِهِ «القِيَادَةُ العَسْكَرِيَّةُ»، وَنَصُّ المَقْرِيزِيِّ فِي كِتَابِهِ «إِمْتَاعُ الأَسْمَاعِ» (٩٨/١): «وَأَصْبَحَ بِبَدْرٍ يَوْمَ الجُمُعَةِ السَّابِعَ عَشَرَ، وَقِيلَ: الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ قُرَيْشٌ، فَطَلَعَتْ قُرَيْشٌ وَهُوَ يَصُفُّهُمْ، وَقَدْ أترعوا حَوْضًا. وَدَفَعَ رَايَتَهُ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، فَتَقَدَّمَ حَيْثُ أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَضَعَهَا، وَوَقَفَ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الصُّفُوفِ، فَاسْتَقْبَلَ المَغْرِبَ وَجَعَلَ الشَّمْسَ خَلْفَهُ، وَأَقْبَلَ المُشْرِكُونَ فَاسْتَقْبَلُوا الشَّمْسَ، فَنَزَلَ ﷺ بِالعُدْوَةِ الشَّامِيَّةِ، وَنَزَلُوا بِالعُدْوَةِ اليَمَانِيَّةِ».

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كَذَا قَالَ أَبِي. وَقَالَ: وَصَفَفْنَا يَوْمَ بَدْرٍ [١].

- **تَوْزِيعُ الجُنْدِ فِي مَوَاضِعِهِمْ وَتَهْيِتِهِمْ قَبْلَ الحَرْبِ «التَّعْبِئَةُ»:**

وَذَلِكَ بِحَسْبِ عَدَدِهِمْ وَاخْتِصَاصَاتِهِمْ مِنْ مُشَاةٍ وَفُرْسَانٍ وَرُمَاةِ نِبَالٍ أَوْ رِمَاحٍ أَوْ سِيُوفٍ... إلخ.

عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ف، قَالَ: «عَبَّأَنَا [٢] النَّبِيُّ ﷺ بِبَدْرٍ لَيْلًا» [٣].

وَدَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ لِوَاءَ القِيَادَةِ العَامَّةِ إِلَى «مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ القُرَشِيِّ العَبْدَرِيِّ» رضي الله عنه، وَكَانَ هَذَا اللِّوَاءُ أَبْيَضًا.

وَقَسَّمَ جَيْشَهُ إِلَى كَتِيبَتَيْنِ:

الأولى-كَتِيبَةُ المُهَاجِرِينَ: وَأَعْطَى رَايَتَهَا «عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه» ، وَيُقَالُ لَهَا «العُقَاب».

الثانية-كَتِيبَةُ الأَنْصَارِ: وَأَعْطَى رَايَتَهَا «سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ».

وَكَانَتْ الرَّايَتَانِ سَوْدَاوَيْنِ.

وَجَعَلَ عَلَى قِيَادَةِ المَيْمَنَةِ «الزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ رضي الله عنه»، وَعَلَى المَيْسَرَةِ «المِقْدَادَ بْنَ عَمْرٍ رضي الله عنه»، وَكَانَا هُمَا الفَارِسَيْنِ الوَحِيدَيْنِ فِي الجَيْشِ، وَجَعَلَ عَلَى السَّاقَةِ -

---

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٢٣٥٦٧)، وَقَالَ شُعَيْبُ الأَرْنَاؤُوط: «إِسْنَادُهُ حَسَنٌ».

(٢) قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ فِي «النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ وَالأَثَرِ»: «يُقَالُ: عَبَأْتُ الجَيْشَ عَبأً، وعَبَّأْتُهُم تَعْبِئَةً وتَعْبِيئاً، وَقَدْ يُتْرَك الْهَمْزُ فَيُقَالُ: عَبَّيْتُهُم تَعْبِيَة: أَيْ رَتَّبتُهم فِي مواضِعِهم وهيَّأْتُهم للحَرْب»، أيْ بِحَسْبِ عَدَدِهِمْ وَاخْتِصَاصِهِمْ مِنْ مُشَاةٍ وَفُرْسَانٍ وَرُمَاةِ نَبْلٍ وَرِمَاحٍ... إلخ.

(٣) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ (١٦٧٧) أَبْوَابُ الجِهَادِ-بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّفِّ وَالتَّعْبِئَةِ عِنْدَ القِتَالِ، وَأَوْرَدَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «ضَعِيفُ سُنَنِ التِّرْمِذِيّ» (١٩٢/١)، وقَالَ: «ضَعِيفُ الإِسْنَادِ».

المُؤَخِّرَةِ- «قَيْسَ بْنَ أَبِي صَـعْصَـعَةَ رضي الله عنه »، وَظَلَّتْ القِيَادَةُ العَامَّةُ فِي يَدِهِ ﷺ كَقَائِدٍ أَعْلَى لِلجَيْشِ[١].

- **الشِّعَارُ وَالتَّسْوِيمُ**[٢]:

قَالَ «المَاوَرْدِيّ»: «الشِّــــعَارُ، فَهِيَ الْعَلَامَةُ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا كُلُّ قَوْمٍ مِنْ غَيْرِهِمْ فِي مَسِـــيرِهِمْ وَفِي حُرُوبِهِمْ؛ حَتَّى لَا يَخْتَلِطُوا بِغَيْرِهِمْ وَلَا يَخْتَلِطَ بِهِمْ غَيْرُهُمْ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي تَضَــافُرِهِمْ لِمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَ لِلْمُهَاجِرِينَ شِـعَارًا وَلِلْأَنْصَــارِ شِعَارًا عَلَامَةً مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: الرَّايَةُ الَّتِي يَتَّبِعُونَهَا وَيَسِـــيرُونَ إِلَى الْحُرُوبِ تَحْتَهَا فَتَكُونُ رَايَةُ كُلِّ قَوْمٍ مُخَالِفَةً لِرَايَةِ غَيْرِهِمْ.

وَالثَّانِي: مَا يُعَلِّمُونَ بِهِ فِي حُرُوبِهِمْ فَيُعَلِّمُ كُلُّ قَوْمٍ بِخِرْقَةٍ ذَاتِ لَوْنٍ مِنْ أَسْوَدَ، أَوْ أَحْمَرَ، أَوْ أَصْـفَرَ، أَوْ أَخْضَـرَ، تَكُونُ إِمَّا عِصَـابَةً عَلَى رُءُوسِـهِمْ، وَإِمَّا مَشْـدُودَةً فِي أَوْسَاطِهِمْ.

وَالثَّالِثُ: النِّدَاءُ الَّذِي يَتَعَارَفُونَ بِهِ فَيَقُولُ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ يَا آلَ كَذَا، أَوْ يَا آلَ فُلَانٍ، أَوْ كَلِمَةً إِذَا تَلَاقَوْا تَعَارَفُوا بِهَا لِيَجْتَمِعُوا إِذَا افْتَرَقُوا وَيَتَنَاصَـرُوا إِذَا أُرْهِبُوا، فَهَذَا كُلُّهُ وَإِنْ كَانَ سِيَاسَةً وَلَمْ يَكُنْ فِقْهًا فَهُوَ مِنْ أَبْلَغِ الْأُمُورِ فِي مَصَالِحِ الْجَيْشِ وَأَحْفَظِهَا

---

(١) السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ (٢/٢٦٤).

(٢) التَّوْسِيمُ هُوَ التَّعْلِيمُ بِعَلَامَةٍ، يُقَالُ سَوَمَ فُلَانٌ فَرَسَهُ إِذَا عَلَّمَهَا بِحَرِيرٍ أَوْ نَحْوِهِ، وَهِيَ عَلَامَةٌ مَرْئِيَّةٌ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الصَّدِيقِ وَالعَدُوِّ فِي المَعْرَكَةِ، إِضَافَةً لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ العَنَاصِرِ فِي المَهَامِّ وَالأَعْمَالِ القِتَالِيَّةِ. رَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (٣٢٧٢٢) كِتَابُ السِّيَرِ-مَا قَالُوا فِي التَّسْوِيمِ فِي الْحَرْبِ وَتَعْلِيمٍ لِيُعْرَفَ عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: «قِيلَ لَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ: «**تَسَوَّمُوا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ تَسَوَّمَتْ**»، وَكَذَا ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتُ الكُبْرَى» (٢/١١) قَالَ: «فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**إِنَّ المَلَائِكَةَ قَدْ سُوِّمَتْ فَسُومُوا**»، فَأَعْلَمُوا بِالصُّوفِ فِي مَغَافِرِهِمْ وَقَلَانِسِهِمْ».

لِلسِّيَرِ الشَّرْعِيَّةِ»(١).

١٠. إفْهَامُ المَهَامِّ المُوَكَّلَةِ لِلجُنْدِ، وَتَرْتِيبُ الأَعْمَالِ القِتَالِيَّةِ:

عَنْ أَبِي لُبَابَةَ الأَنْصَارِيِّ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «**كَيْفَ تُقَاتِلُونَ الْقَوْمَ إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ؟**»، فَقَامَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا كَانَ الْقَوْمُ مِنَّا حَيْثُ يَنَالُهُمُ النَّبْلُ، كَانَتِ الْمُرَامَاةُ بِالنَّبْلِ، فَإِذَا اقْتَرَبُوا حَتَّى يَنَالَنَا وَإِيَّاهُمُ الْحِجَارَةُ، كَانَتِ الْمُرَاضَخَةُ بِالْحِجَارَةِ - فَأَخَذَ ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ فِي يَدِهِ وحَجَرَيْنِ فِي حِزْمَتِهِ- فَإِذَا اقْتَرَبُوا حَتَّى يَنَالَنَا وَإِيَّاهُمُ الرِّمَاحُ، كَانَتِ الْمُدَاعَسَةُ بِالرِّمَاحِ، فَإِذَا انْقَضَتِ الرِّمَاحُ، كَانَتِ الْجِلَادُ بِالسُّيُوفِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِهَذَا أُنْزِلَتِ الْحَرْبُ، مَنْ قَاتَلَ فَلْيُقَاتِلْ قِتَالَ عَاصِمٍ**»(٢).

وَعَنْ حَمْزَةَ بْنِ أَبِى أُسَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ حِينَ صَفَّنَا لِقُرَيْشٍ وَصَفُّوا لَنَا: «**إِذَا أَكْثَبُوكُمْ**(٣) **فَارْمُوهُمْ بِالنَّبْلِ**»(٤).

وَعَنْ أَبِي أُسَيْدٍ ﵁ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «**إِذَا أَكْثَبُوكُمْ فَارْمُوهُمْ**

(١) الحَاوِي الكَبِيرُ (٨/٤٦١).

(٢) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي المُعْجَمِ الكَبِيرِ (٤٥١٣)، وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الفَوَائِدِ» (٥/٣٢٧): «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَجَّاجِ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: مَجْهُولٌ».

(٣) يقُولُ ابْنُ الأثِيرِ فِي «النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ وَالأثَرِ» (٤/١٥١): «يُقَالُ: كَثَبَ وَأَكْثَبَ إذا قَارَب. وَالكَثَبُ: القُرْبُ. وَالهَمْزَةُ فِي «أَكْثَبَكُمْ» لِتَعْدِيَةِ كَثَبَ، فَلِذَلِكَ عَدَّاهَا إِلَى ضَمِيرِهِمْ».

(٤) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الكَبِيرِ (١٨٥١٨) كِتَابُ السِّيَرِ –بَابُ الصَّفِّ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَأَصْلُهُ عِنْدَ البُخَارِيِّ فِي صَحِيحِهِ كَمَا سَبَقَ.

وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ[١]»[٢].

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ أَبِى أُسَيْدٍ السَّاعِدِيّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «**إِذَا أَكْثَبُوكُمْ فَارْمُوهُمْ بِالنَّبْلِ وَلاَ تَسُلُّوا السُّيُوفَ حَتَّى يَغْشَوْكُمْ**»[٣].

١١. تَوَفُّرُ الشَّجَاعَةِ فِي القَائِدِ وَالتَّعْبِئَةُ النَّفْسِيَّةُ لِلجُنْدِ قَبْلَ المَعْرَكَةِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ... فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ**»، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**»، قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ:- يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟**» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ

---

(١) قَالَ «العَظِيمُ آبَادِي» فِي «عَوْنُ المَعْبُودِ» (٧/٢٣٣): «وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ: اسْتِفْعَالٌ مِنَ الْبَقَاءِ، قَالَ فِي الْمَجْمَعِ: أَيْ لَا تَرْمُوهُمْ عَنْ بُعْدٍ فَإِنَّهُ يَسْقُطُ فِي الْأَرْضِ أَوِ الْبَحْرِ فَذَهَبَتِ السِّهَامُ وَلَمْ يَحْصُلْ نِكَايَةٌ»، قُلْتُ: فَظَهَرَ أَنَّ مَعْنَى الحَدِيثِ وَمُقْتَضَاهُ الأَمْرَ بِتَرْكِ الرَّمْيِ وَالقِتَالِ حَتَّى يَقْتَرِبَ جُنْدُ العَدُوّ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا رَمَوْهُمْ عَنْ بُعْدٍ قَدْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِمْ وَتَذْهَبُ فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ». وَهُنَا فَائِدَةٌ، وَهِيَ ضَرُورَةُ الحِفَاظِ عَلَى الذَّخَائِرِ مَا أَمْكَنَ، وَعَدَمُ إِهْدَارِهَا فِيمَا لَا طَائِلَ مِنْ وَرَائِهِ. فَيَجِبُ عَلَى المُقَاتِلِ مَعْرِفَةُ الصِّفَاتِ التَّعْبَوِيَّةِ وَالتّكْتِيكِيَّةِ لِلسِّلَاحِ، وَمِنْ ذَلِكَ: مَعْرِفَةُ المَدَى المُؤَثِّرِ لِلسِّلَاحِ وَهِيَ المَسَافَةُ القُصْوَى الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا التَّأْثِيرُ المَرْجُوّ، وَالمَدَى المُجْدِي لِلرِّمَايَةِ وَهِيَ المَسَافَةُ الَّتِي يَرَاهَا الرَّامِي وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَعَامَلَ فِيهَا مَعَ الهَدَفِ، وَتَكُونُ أَقَلَّ مِنَ المَدَى المُؤَثِّرِ، وَكَذَا الأَهْدَافُ الَّتِي يَنْفَعُ مَعَهَا اسْتِخْدَامُ هَذَا السِّلَاحِ أَوْ ذَاكَ، مَعَ مُرَاعَاةِ حُسْنِ تَقْدِيرِ المَسَافَاتِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٣٩٨٤) كِتَابُ المَغَازِي.

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ (٢٦٦٤) كِتَابُ الجِهَادِ-بَابٌ فِي سَلِّ السُّيُوفِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَأَوْرَدَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي ضَعِيفِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٤٥٧)، وَقَالَ (٢/٣٣٣): «إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ؛ لِجَهَالَةِ إِسْحَاقَ. وَنَحْوُهُ مَالِكُ بْنُ حَمْزَةَ. وَقَدْ خُولِفَ فِي لَفْظِهِ عِنْدَ البُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ؛ فَانْظُرْهُ فِي الصَّحِيحِ».

أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ(١).

١٢. حِرْصُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَمْنِ المَعْلُومَةِ العَسْكَرِيَّةِ فِي كَافَّةِ تَفَاصِيلِ المَعْرَكَةِ:

وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ فِي أُمُورٍ:

- سُؤَالُهُ ﷺ الشَّيْخَ الَّذِي لَقِيَهُ فِي بَدْرٍ عَنْ «مُحَمَّدٍ» وَجَيْشِهِ، وَعَنْ قُرَيْشٍ وَجَيْشِهَا.
- تَوْرِيَةُ الرَّسُولِ ﷺ فِي إِجَابَتِهِ عَنْ سُؤَالِ الشَّيْخِ: «مِمَّنْ أَنْتُمَا؟» بِقَوْلِهِ ﷺ: «**نَحْنُ مِنْ مَاءٍ**»، وَهُوَ جَوَابٌ يَقْتَضِيهِ المَقَامُ، فَقَدْ أَرَادَ بِهِ ﷺ كِتْمَانَ أَخْبَارِ جَيْشِ المُسْلِمِينَ عَنْ قُرَيْشٍ.
- وَفِي انْصِرَافِهِ فَوْرَ اسْتِجْوَابِهِ كِتْمَانٌ أَيْضًا، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الحِكْمَةِ، فَلَوْ أَنَّهُ أَجَابَ هَذَا الشَّيْخَ ثُمَّ وَقَفَ عِنْدَهُ لَكَانَ هَذَا سَبَبًا فِي طَلَبِ الشَّيْخِ بَيَانَ المَقْصُودِ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «**مِنْ مَاءٍ**».
- أَمْرُهُ ﷺ بِقَطْعِ الأَجْرَاسِ مِنْ الإِبِلِ يَوْمَ بَدْرٍ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ بِالأَجْرَاسِ أَنْ تُقْطَعَ مِنْ أَعْنَاقِ الإِبِلِ يَوْمَ بَدْرٍ(٢).

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ١٤٥ (١٩٠١) كِتَابُ الإِمَارَةِ–بَابُ ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ.

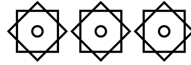
(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٢٥١٦٦)، وَقَالَ شُعَيْبُ الأَرْنَاؤُوط: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ، مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ–وَإِنْ سَمِعَ مِنْ سَعِيدٍ (وَهُوَ ابْنُ أَبِي عَرُوبَةَ) بَعْدَ الاخْتِلَاطِ– قَدْ تُوبِعَ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ رِجَالُ الشَّيْخَيْنِ»، وَكَذَا النَّسَائِيُّ فِي «السُّنَنُ الكُبْرَى» (٨٧٥٨) كِتَابُ السِّيَرِ – الأَمْرُ بِقَطْعِ الأَجْرَاسِ، كِلَاهُمَا مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها.

- كِتْمَانُهُ ﷺ خَبَرَ الجِهَةِ الَّتِي يَقْصُدُهَا عِنْدَمَا أَرَادَ الخُرُوجَ إِلَى بَدْرٍ، حَيْثُ قَالَ ﷺ: «... **إِنَّ لَنَا طُلْبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا...**».

- وَقَدْ اسْتَدَلَّ الإِمَامُ «النَّوَوِيُّ» بِهَذَا الحَدِيثِ عَلَى اسْتِحْبَابِ التَّوْرِيَةِ فِي الحَرْبِ، فَقَالَ: «فِي هَذَا اسْتِحْبَابُ التَّوْرِيَةِ فِي الحَرْبِ، وَأَنْ لَا يُبَيِّنَ الْإِمَامُ جِهَةَ إِغَارَتِهِ وَإِغَارَةِ سَرَايَاهُ لِئَلَّا يَشِيعَ ذَلِكَ فَيَحْذَرَهُمُ الْعَدُوُّ»(١).

حِفَاظُهُ ﷺ عَلَى الكَوَادِرِ المُمَيَّزَةِ:

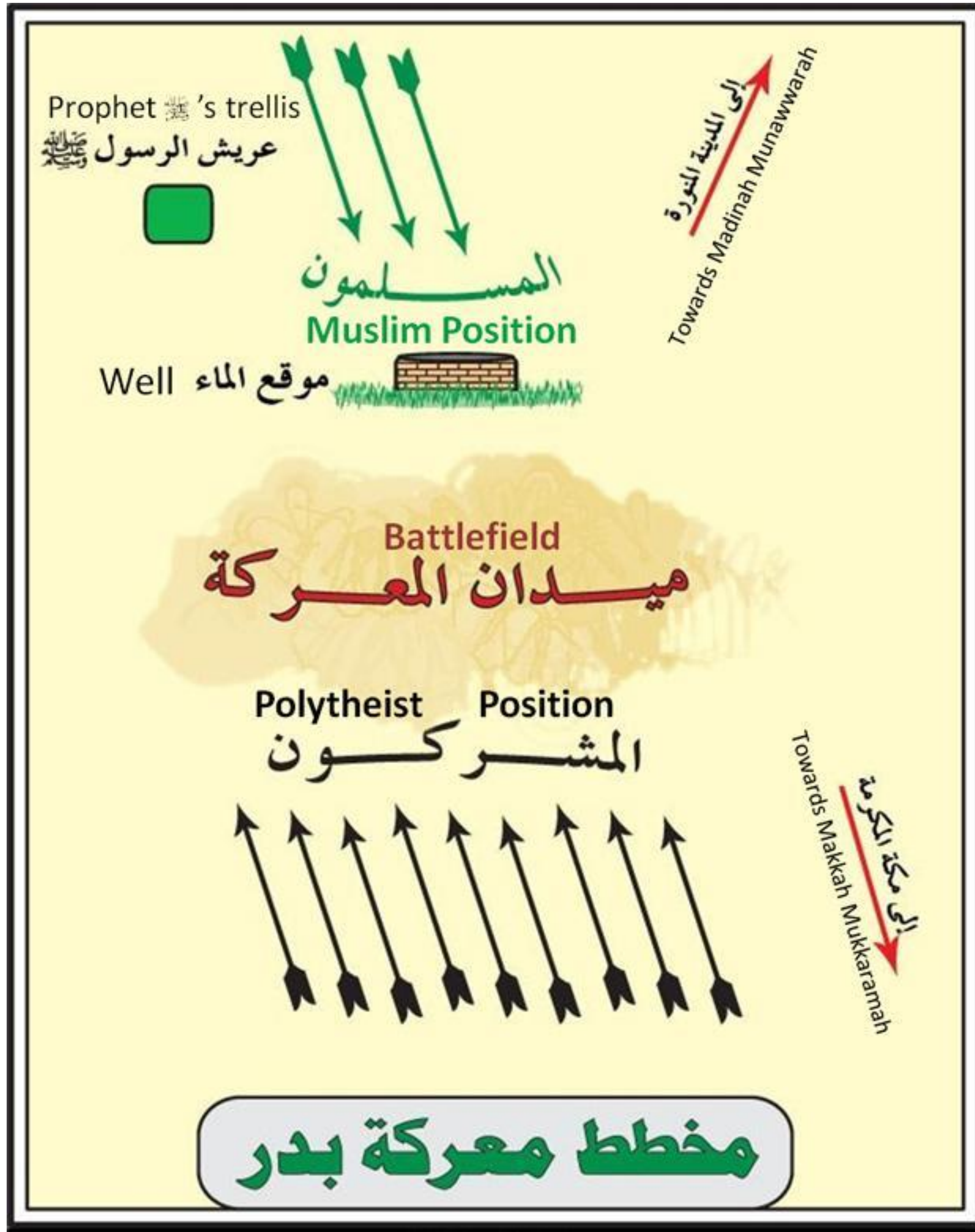
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ لَمْ يَزَلْ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ فِي الشِّرْكِ حَتَّى شَهِدَ بَدْرًا مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَدَعَا إِلَى الْبِرَازِ، فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُوهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه لِيُبَارِزَهُ، فَذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: «**مَتِّعْنَا بِنَفْسِكَ**»(٢)(٣).



(١) المِنْهَاجُ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمِ بْنِ الحَجَّاجِ (١٣/٤٥).

(٢) رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ (٦٠٠٤) كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ.

(٣) قَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الحَلَبِيُّ فِي السِّيرَةِ الحَلَبِيَّةِ (٢/٣٤٨): «إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ دَعَا إِلَى البِرَازِ، فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُوهُ أَبُو بَكْرٍ لِيُبَارِزَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**مَتِّعْنَا بِنَفْسِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ سَمْعِي وَبَصَرِي**» .

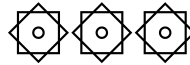


❖ **المُبَارَزَةُ:**

فَقَدْ خَرَجَ ثَلَاثَةٌ مِنْ خيرَةِ فُرْسَــانِ قُرَيْشٍ، كَانُوا مِنْ عَائِلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهُمْ «عُتْبَةُ» وَأخُوهُ «شَـيْبَةُ» ابْنَا «رَبِيعَةَ» وَ «الوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ»، وَطَلَبُوا المُبَارَزَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنَ الحَارِثِ، وَقُمْ يَا حَمْزَةَ، وَقُمْ يَا عَلِيّ**»، فَأَمَّا حَمْزَةُ فَلَمْ يُمْهِلْ شَــيْبَةَ أَنْ قَتَلَهُ، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَلَمْ يُمْهِلْ الْوَلِيدَ أَنْ قَتَلَهُ، وَاخْتَلَفَ عُبَيْدَةُ وَعُتْبَةُ بَيْنَهُمَا

ضَرْبَتَيْنِ، كِلَاهُمَا أَثْبَتَ صَاحِبَهُ، وَكَرَّ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ بِأَسْيَافِهِمَا عَلَى عُتْبَةَ فَذَفَّفَا عَلَيْهِ(١)، وَاحْتَمَلَا صَاحِبَهُمَا فَحَازَاهُ إِلَى أَصْحَابِهِ (٢).

وَنُلَاحِظُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اخْتَارَ أَقْرِبَاءَهُ لِلْمُبَارَزَةِ، مَعَ عِظَمِ خَطَرِهَا، لِيُعَلِّمَنَا أَنَّ القَائِدَ وَعَائِلَتَهُ يَعِيشُونَ حَيَاةَ النَّاسِ وَيَتَعَرَّضُونَ لِكُلِّ مَشَاكِلِ الأُمَّةِ، وَهُمْ فِي أَوَائِلِ المُضَحِّينَ وَالمُجَاهِدِينَ.



❖ الْتِحَامُ الصَّفَّيْنِ:

اسْتَشَاطَ المُشْرِكُونَ غَضَبًا بَعْدَ هَزِيمَتِهِمْ فِي المُبَارَزَةِ، فَقَامُوا بِالهُجُومِ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَالمُسْلِمُونَ مُرَابِطُونَ فِي مَوَاقِعِهِمْ فِي مَوْقِفِ الدِّفَاعِ، وَقَدْ أَلْحَقُوا بِالمُشْرِكِينَ خَسَائِرَ فَادِحَةً، وَهُمْ يَقُولُونَ: «أَحَدٌ أَحَدٌ»، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى المَلَائِكَةَ لِيُقَاتِلُوا مَعَ المُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَصْدَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَوَامِرَهُ بِالهُجُومِ المُضَادِّ، فَقَامَ المُسْلِمُونَ بِهُجُومٍ كَاسِحٍ، وَاثْخَنُوا فِي المُشْرِكِينَ حَتَّى هَزَمُوهُمْ.

نُلَاحِظُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ المَلَائِكَةَ بَعْدَ أَنْ اتَّخَذَ المُسْلِمُونَ كُلَّ الوَسَائِلِ المَادِّيَّةِ المُمْكِنَةِ لِلنَّصْرِ فِي حُدُودِ الطَّاقَةِ البَشَرِيَّةِ، وَلِتَثْبِيتِ عَقِيدَةِ التَّوَكُّلِ وَالاعْتِمَادِ عَلَى اللهِ، وَالتَّيَقُّنِ بِأَنَّ النَّصْرَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ، مَعَ المُحَافَظَةِ عَلَى صُورَةِ الأَسْبَابِ وَسُنَّتِهَا.

- **اسْتِشْهَادُ «حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ» رضي الله عنه:**

بَيْنَا حَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ كَارِعٌ فِي الْحَوْضِ، إِذْ أَتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فَوَقَعَ فِي نَحْرِهِ، فَلَقَدْ

---

(١) أَيْ أَسْرَعَا فِي قَتْلِهِ.

(٢) السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ (٢/٢٧٧).

شَرِبَ الْقَوْمُ آخِرَ النَّهَارِ مِنْ دَمِهِ.

فَبَلَغَ أُمَّهُ وَأُخْتَه وَهُمَا بِالْمَدِينَةِ مَقْتَلَهُ، فَقَالَتْ أُمّهُ: وَاللهِ، لَا أَبْكِي عَلَيْهِ حَتّى يَقْدَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَسْأَلُهُ، فَإِنْ كَانَ ابْنِي فِي الْجَنّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ ابْنِي فِي النّارِ بَكَيْته لَعَمْرِ اللهِ فَأَعْوَلْتُهُ! فَلَمّا قَدِمَ رسول الله ﷺ مِنْ بَدْرٍ جَاءَتْ أُمّهُ إلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَرَفْت مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي، فَأَرَدْت أَنْ أَبْكِيَ عَلَيْهِ فَقُلْت لَا أَفْعَلُ حَتّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ فِي النّارِ بَكَيْته فَأَعْوَلْتُهُ. فقال النبي ﷺ: «**هَبِلْت، أَجَنّةٌ وَاحِدَةٌ؟ إنّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنّهُ لَفِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى**».

قَالَتْ: فَلَا أَبْكِي عَلَيْهِ أَبَدًا! وَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَغَمَسَ يَدَهُ فِيهِ وَمَضْمَضَ فَاهُ، ثُمّ نَاوَلَ أُمّ حَارِثَةَ فَشَرِبَتْ، ثُمّ نَاوَلَتْ ابْنَتَهَا فَشَرِبَتْ، ثُمّ أَمَرَهُمَا فَنَضَحَتَا فِي جُيُوبِهِمَا، فَفَعَلَتَا فَرَجَعَتَا مِنْ عِنْدِ النّبِيّ ﷺ، وَمَا بِالْمَدِينَةِ امْرَأَتَانِ أَقَرّ أَعْيُنًا مِنْهُمَا وَلَا أَسَرّ (١).

- **قِصَّةُ «مُعَاذٍ» وَ «مُعَوذٍ»** رضي الله عنهما:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه، قَالَ: «بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلاَمَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ -حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا- فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لاَ يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلاَ إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا،

(١) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/٩٤).

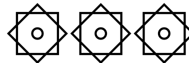
فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ»(١).

- **عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه:**

تقدم ليجاهد في معركة بدر وهو لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، فَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: «رَأَيْت أَخِي عُمَيْرَ بْنَ أَبِي وَقّاصٍ قَبْلَ أَنْ يَعْرِضَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَوَارَى، فَقُلْت: مَا لَك يَا أَخِ؟ قَالَ: إنّي أَخَافُ أَنْ يَرَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَيَسْتَصْغِرَنِي فَيَرُدّنِي، وَأَنَا أُحِبّ الْخُرُوجَ، لَعَلّ اللهَ يَرْزُقُنِي الشّهَادَةَ. قَالَ: فَعُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاسْتَصْغَرَهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ!.

فَبَكَى عُمَيْرٌ، فَأَجَازَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ. قَالَ: فَكَانَ سَعْدٌ يَقُولُ: كُنْت أَعْقِدُ لَهُ حَمَائِلَ سَيْفِهِ مِنْ صِغَرِهِ، فَقُتِلَ بِبَدْرٍ وَهُوَ ابْنُ سِتّ عَشْرَةَ سَنَةٍ»(٢).

فَجَدِيرٌ بِشَبَابِنَا أَنْ يَقِفَ أَمَامَ هَذِهِ النَّمَاذِجِ الرَّائِعَةِ، وَأَنْ يُقَلِّبَ صَفَحَاتِ هَذَا التَّارِيخِ المُشْرِقِ لِيَأْخُذَ مِنْهُ العِظَةَ وَالعِبْرَةَ وَالقُدْوَةَ الصَّالِحَةَ وَلْيَرَى كَيْفَ كَانَ الشَّبَابُ يَفْتَحُ البِلَادَ، وَلَمْ يَبْلُغْ العِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ بَعْدُ.



❖ نَتَائِجُ غَزْوَةِ بَدْرٍ:

كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ مِنْ أَعْظَمِ الغَزَوَاتِ فِي تَارِيخِ المُسْلِمِينَ، وَهِيَ كَمَا سَمَّاهَا اللهُ ﷻ «يَوْمُ الفُرْقَانِ»، حَيْثُ فَرَّقَتْ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، فَبَعْدَ هَذِهِ الغَزْوَةِ حَصَلَ المِيلَادُ الحَقِيقِيُّ لِدَوْلَةِ الإِسْلَامِ، فَقَدْ كَبُرَتْ هَيْبَتُهَا فِي الجَزِيرَةِ بِكَامِلِهَا، وَبَدَأَ أَهْلُ الجَزِيرَةِ

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٣١٤١) كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ–بَابُ مَنْ لَمْ يُخَمِّسِ الأَسْلَابَ، وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمِّسَ، وَحُكْمِ الإِمَامِ فِيهِ، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ٤٢ (١٧٥٢) كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ–بَابُ اسْتِحْقَاقِ الْقَاتِلِ سَلَبَ الْقَتِيلِ.

(٢) المَغَازِي لِلوَاقِدِيِّ (٢١/١).

العَرَبِيَّةِ يَتَسَاءَلُونَ عَنْ الإِسْلَامِ، فَفَتَحَتْ قُلُوبَ كَثِيرٍ مِنْ النَّاسِ لِهَذَا الدِّينِ الجَدِيدِ.

أَمَّا قُرَيْشٌ فَكَانَتْ خَسَارَتُهَا فَادِحَةً، فَقَدْ فَقَدَتْ زُعَمَاءَهَا وَخِيرَةَ رِجَالِهَا وَفُرْسَانِهَا، كَمَا أَنَّ مَكَانَتَهَا اهْتَزَّتْ بَيْنَ العَرَبِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ أَمْنَعَ وَأَعَزَّ قَبِيلَةٍ بَيْنَهُمْ.



البَابُ الثَّالِثُ
الضَّرَبَاتُ الاسْتِبَاقِيَّةُ
«الحَرْبُ الوِقَائِيَّةُ» (١)

❖ تَعْرِيفُهَا:

الضَّــــرْبَةُ الاسْـــتِبَاقِيَّةُ أَوْ الوِقَائِيَّةُ: هِيَ التَّحَوُّلُ مِنْ الرَّدِّ عَلَى هُجُومٍ فِعْلِيٍّ إِلَى المُبَادَرَةِ بِالهُجُومِ لِمَنْعِ هُجُومٍ مُحْتَمَلٍ، خُصُـــوصًـــا إِذَا اكْتَشَــفَتْ أَجْهِزَةُ الدَّوْلَةِ نَوَايَا مُبَكِّرَةً بِالهُجُومِ لَدَى الخَصْمِ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ مَظَاهِرِ هَذِهِ النَّوَايَا.

(١) لَمْ يَكُمْ ظُهُورُ مَفْهُومِ «الضَّرْبَةِ الاسْتِبَاقِيَّةِ» أَوْ «الحَرْبِ الوِقَائِيَّةِ» وَمُرَادِفَاتِهَا العَدِيدَةِ فِي سِيَاقِ التَّنَاوُلِ السِّيَاسِيِّ بِالأَمْرِ الجَدِيدِ أَوْ المُحْدَثِ، بَلْ يُرْجِعُهُ البَعْضُ إِلَى مَا قَبْلَ مُنْتَصَفِ القَرْنِ المَاضِي – العِشْرِين– حَيْثُ يَعْتَقِدُ أَصْحَابُ هَذَا التَّوَجُّهِ أَنَّ الهُجُومَ اليَابَانِيَّ عَلَى مِينَاءِ «بيرل هاربر» الأَمْرِيكِيِّ عَامَ ١٩٤١م يَدْخُلُ فِي نِطَاقِ الضَّرَبَاتِ الاسْتِبَاقِيَّةِ الَّتِي سَعَتْ مِنْ خِلَالِهَا اليَابَانُ إِلَى تَحْجِيمِ القُوَّةِ الأَمْرِيكِيَّةِ، وَضَرْبِهَا فِي عَصَبِ الحَيَاةِ الاقْتِصَادِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَعِيشُ حَالَةً مِنْ الازْدِهَارِ وَالانْتِعَاشِ مِنْ خِلَالِ هَذَا المِينَاءِ الحَيَوِيِّ. وَيَرَى آخَرُونَ أَنَّ العُدْوَانَ الثُّلَاثِيَّ عَلَى مِصْرَ عَامَ ١٩٥٦م كَانَ بِمَثَابَةِ حَرْبٍ اسْتِبَاقِيَّةٍ أَوْ ضَرْبَةٍ وِقَائِيَّةٍ لِصَالِحَ فَرَنْسَا وَبِرِيطَانْيَا، اللَّتَانِ رَأَتَا فِي تَأْمِيمِ قَنَاةِ السُّوَيْسِ مِنْ جَانِبِ مِصْرَ زَمَانَ رَئِيسِهَا الرَّاحِلِ «جَمَالِ عَبْدِ النَّاصِرِ»، بِمَثَابَةِ تَهْدِيدٍ مُبَاشِرٍ لِأَمْنِهِمَا وَمَصَالِحِهِمَا، مِمَّا يَسْتَوْجِبُ ضَرْبَةً اسْتِبَاقِيَّةً لِإِعَادَةِ الأُمُورِ إِلَى نِصَابِهَا دُونَ سَابِقِ إِنْذَارٍ، بَيْنَمَا زَعَمَتْ إِسْرَائِيلُ بِأَنَّ العُدْوَانَ الثُّلَاثِيَّ كَانَ ضَرْبَةً اسْتِبَاقِيَّةً لِمَنْعِ مِصْرَ مِنْ إِتْمَامِ صَفْقَةِ الأَسْلِحَةِ التشيكِيَّةِ الَّتِي عَقَدَتْهَا مِصْرُ عَامَ ١٩٥٤م، حَتَّى لَا تُشَكِّلُ تَهْدِيدًا ضِدَّهَا.

وَالحَقِيقَةُ أَنَّ اسْتِخْدَامَ أُسْلُوبِ الضَّرَبَاتِ الاسْتِبَاقِيَّةِ قَدِيمٌ قِدَمَ الصِّرَاعِ بَيْنَ بَنِي آدَمَ، فَالتَّارِيخُ القَدِيمُ – قَبْلَ الحَدِيثِ– مَلِيءٌ بِأَمْثِلَةٍ عَلَى هَذَا النَّوْعِ مِنْ أَنْوَاعِ المُوَاجَهَاتِ بَيْنَ الأَطْرَافِ المُتَصَارِعَةِ، فَالزَّعْمُ بِأَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنْ الصِّرَاعَاتِ حَدِيثٌ أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ غَيْرِهِ لَا يَخْلُو مِنْ سَذَاجَةٍ وَعَدَمِ اطِّلَاعٍ عَلَى تَارِيخِ البَشَرِيَّةِ فِي غَيْرِ حُقْبَةٍ مِنْهُ وَفِي غَيْرِ سَاحَةٍ مِنْ سَاحَاتِ الصِّرَاعِ. وَلَكِنْ يَبْقَى حُسْنُ اسْتِخْدَامِ هَذَا التِّكْتِيكِ هُوَ مَا يُمَيِّزُ قَائِدًا عَنْ غَيْرِهِ، أَوْ يُؤَثِّرُ عَلَى نَتِيجَةِ حَرْبٍ دُونَ غَيْرِهَا.

وَقَدْ اسْـتَخْدَمَ القَائِدُ الأعْلَى لِجُيُوشِ المُسْـلِمِينَ «مُحَمَّدٌ» رَسُـولُ اللهِ ﷺ هَذَا الأُسْلُوبَ فِي فَنِّ الحَرْبِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ وَبِشَكْلٍ وَاضِحٍ فِي «غَزْوَةِ قَرَارَةَ الْكُدْرِ» فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِلهِجْرَةِ فِي مُنْتَصَفِ شَهْرِ مُحَرَّمٍ.

❖ بَعْضُ الغَزَوَاتِ الَّتِي اسْتُعْمِلَ فِيهَا هَذَا التَّكْتِيكَ قَبْلَ «أُحُدٍ»:

١. غَزْوَةُ قَرَارَةَ الْكُدْرِ:

أرْسَـلَتِ الاسْـتِخْبَارَاتُ العَسْـكَرِيَّةُ إِلَىْ رَسُـولِ اللهِ ﷺ أنَّ بَنِي سُـلَيْمٍ وَغَطَفَانَ تَجْمَعَانِ وَتَحْشُـدَانِ لِغَزْوِ المَدِينَةِ، فَاسْـتَخْلَفَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، غَابَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً. ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُوَّةِ مِائَتَيْ رَاكِبٍ وَرَاجِلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى قَرَارَةِ الْكُدْرِ إِلَيْهِمْ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ الطَّرِيقَ، فَفَرُّوا لَمَّا عَلِمُوا بِتَوَجُّهِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا؛ فَأَرْسَـلَ فِي أَعْلَى الْوَادِي نَفَرًا مِنْ أَصْـحَابِهِ، وَاسْتَقْبَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَطْنِ الوَادِي، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ ظَفِرَ بِنَعَمٍ، فَانْحَدَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ(١).

٢. غَزْوَةِ ذِي أَمَرَ:

وَكَانَتْ فِي السَّـنَةِ الثَّالِثَةِ لِلهِجْرَةِ، فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ حَيْثُ بَلَغَ رَسُـولَ اللهِ ﷺ عَنْ طَرِيقِ الاسْـتِخْبَارَاتِ الْعَسْـكَرِيَةِ أَنَّ جَمْعًا مِنْ ثَعْلَبَةَ وَمُحَارِبٍ بِذِي أَمَرَّ قَدْ تَجَمَّعُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَضْـرِبُوا أَطْرَافَ المَدِينَةِ، جَمَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ دُعْثُور بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مُحَارِبٍ، فَخَرَجَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ فِي أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ وَخَمْسِـينَ، وَمَعَهُمْ أَفْرَاسٌ، وَاسْـتَخْلَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، غَابَ فِيهَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ أحَدَ

(١) انْظُرْ المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/١٨٢-١٨٣).

عَشَـرَ يَوْمًا، ثُمَّ انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمُنَقَّى[1]، ثُمَّ سَـلَكَ مَضِـيقَ الْخُبَيْتِ[2] ثُمَّ خَرَجَ إِلَى ذِي الْقَصَّـةِ[3] فَأَصَـابَ رَجُلًا مِنْهُمْ بِذِي الْقَصَّـةِ يُقَالُ لَهُ جَبَّارٌ، مِنْ بَنِي ثَعْلَبَة، فَقَالُوا: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ يَثْرِبَ. قَالُوا: وَمَا حَاجَتُك بِيَثْرِبَ؟ قَالَ: أَرَدْت أَنْ أَرْتَادَ لِنَفْسِـي وَأَنْظُرَ. قَالُوا: هَلْ مَرَرْت بِجَمْعٍ أَوْ بَلَغَك خَبَرٌ لِقَوْمِك؟ قَالَ: لَا، إلّا أَنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ دُعْثُورَ بْنَ الْحَارِثِ فِي أُنَاسٍ مِنْ قَوْمِهِ عُزْلٌ، فَأَدْخَلُوهُ عَلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ، فَدَعَاهُ إلَى الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إنَّهُمْ لَنْ يُلَاقُوك؛ إنْ سَمِعُوا بِمَسِيرِك هَرَبُوا فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ وَأَنَا سَــائِرٌ مَعَك وَدَالُّك عَلَى عَوْرَتِهِمْ، فَخَرَجَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَضَمَّهُ إلَى بِلَالٍ، فَأَخَذَ بِهِ طَرِيقًا أَهْبَطَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ كَثِيبٍ، وَهَرَبَتْ مِنْهُ الْأَعْدَاءُ فَوْقَ الْجِبَالِ[4].

٣. غَزْوَةُ بُحْرَانَ:

فِي السَّـنَةِ الثَّالِثَةِ لِلهِجْرَةِ، فِي جُمَادَى الْأُولَى، بَلَغَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ أَنَّ جَمْعًا مِنْ بَنِي سُـلَيْمٍ كَبِيرًا بِبُحْرَان، فَتَهَيَّأَ لِذَلِكَ وَلَمْ يُظْهِرْ وَجْهًا، وَاسْـتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَة ابْنَ أُمِّ

---

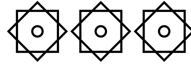
(١) قَالَ السَّمْهُودِيُّ فِي «وَفَاءُ الوَفَا بِأَخْبَارِ دَارِ المُصْطَفَى» (١٥١/٤): «المَنْقَى: اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ نَقَاه، قَالَ المَجْدُ: هُوَ اسْمٌ لِلأَرْضِ الَّتِي بَيْنَ أُحُدٍ وَالمَدِينَةِ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ النَّاسُ انْهَزَمُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى انْتَهَى بَعْضُهُمْ إِلَى المَنْقَى دُونَ الأَعْرَاضِ. قُلْتُ: فَالمَنْقَى لَيْسَ اسْمًا لِمَا ذَكَرَ المَجْدُ؛ لِمَا سَبَقَ فِي الأَعْوَصِ، بَلْ هُوَ مَعْرُوفٌ شَرْقِيَّ المَدِينَةِ فِي طَرِيقِ العِرَاقِ، وَالمَجْدُ ظَنَّ أَنَّ الانْهِزَامَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا لِلمَدِينَةِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ لِمَا سَبَقَ فِي الشَّقْرَةِ، وَفِي مَعَارِفِ ابْنِ قُتَيْبَةَ فِي تَرْجَمَةِ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ انْهَزَمَ عَلَى مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ».

(٢) قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ البَكْرِيّ الأَنْدَلُسِيّ فِي «مُعْجَمِ مَا اسْتُعْجِمَ»: «الخُبَيْت: مَاءٌ لِبَنِي عَبْسٍ وَأَشْجَعَ... عَلَى بَرِيدَيْنِ مِنْ المَدِينَةِ».

(٣) قَالَ السَّمْهُودِيُّ فِي «وَفَاءُ الوَفَا بِأَخْبَارِ دَارِ المُصْطَفَى» (١٣٤/٤): «ذُو القَصَّةِ: بِالفَتْحِ وَتَشْدِيدِ الصَّادِ، مَوْضِعٌ عَلَى بَرِيدٍ مِنْ المَدِينَةِ تِلْقَاءَ نَجْدٍ، خَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ t فَقَطَعَ الجُنُودَ وَعَقَدَ الأَلْوِيَةَ، قَالَهُ المَجْدُ، وَقَالَ الأَسَدِيُّ: إِنَّهُ عَلَى خَمْسَةِ أَمْيَالٍ مِنْ المَدِينَةِ، وَقَالَ نَصْرٌ: أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ مِيلًا».

(٤) انْظُرْ المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١٩٤/١).

مَكْتُومٍ، غَابَ فيها رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشْرًا، ثُمَّ خَرَجَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَغَذُّوا السَّيْرَ حَتَّى إِذَا كَانُوا دُونَ بُحْرَانَ بِلَيْلَةٍ لَقِيَ رَجُلًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، فَاسْتَخْبَرُوهُ عَنْ الْقَوْمِ وَعَنْ جَمْعِهِمْ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ قَدْ افْتَرَقُوا أَمْسِ وَرَجَعُوا إِلَى مَائِهِمْ، فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَحُبِسَ مَعَ رَجُلٍ مِنْ الْقَوْمِ، ثُمَّ سَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى وَرَدَ بُحْرَانَ، وَلَيْسَ بِهِ أَحَدٌ، وَأَقَامَ أَيَّامًا ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجُلَ(١).



- **إِضَاءَةٌ:**

لَمْ يَكُنْ هَدَفُ القِيَادَةِ النَّبَوِيَّةِ مِنْ هَذِهِ الضَّرَبَاتِ الاسْتِبَاقِيَّةِ الحُصُولَ عَلَى الغَنَائِمِ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَتْ غَايَتُهُ السَّلْبَ فَإِنَّهُ يَعُودُ مُسْرِعًا إِلَى قَوَاعِدِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَسْتَرِدَّ العَدُوُّ مَا غَنِمَ، وَلَكِنْ كَانَتْ الغَايَةُ حِرْمَانَ هَذِهِ القَبَائِلِ مِنْ قُدْرَتِهَا عَلَى التَّعَرُّضِ لِلمُسْلِمِينَ، أَوْ حَتَّى التَّفْكِيرِ بِذَلِكَ.

فَلَقَدْ بَقِيَ المُسْلِمُونَ أَيَّامًا طُوَالًا فِي تِلْكُمَا المَنَاطِقِ، فَهَلْ يَبْقَى كُلَّ هَذِهِ المُدَّةِ خَائِفًا مِنْ عَدُوِّهِ أَوْ طَالِبًا لِلسَّلْبِ وَالنَّهْبِ؟!.



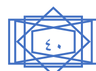
❖ بَعْضُ الغَزَوَاتِ الَّتِي اسْتُعْمِلَ فِيهَا هَذَا التِّكْتِيكُ بعد «أُحُدٍ»:

١. سَرِيَّةِ الْقَرَدَةِ (السَّنَةُ الثَّالِثَةُ لِلهِجْرَةِ، جُمَادَى الْآخِرَةِ):

- **أَسْبَابُ الغَزْوَةِ:**

ضَرْبُ الطَّرِيقِ التِّجَارِيِّ الجَدِيدِ لِـ «قُرَيْشٍ»، وَهُوَ طَرِيقُ «مَكَّةَ–العِرَاقِ»، بَعْدَ حِرْمَانِ المُسْلِمِينَ لِـ «قُرَيْشٍ» مِنْ الاسْتِفَادَةِ مِنْ طَرِيقِ «مَكَّةَ–الشَّامِ» التِّجَارِيِّ بِسَبَبِ

(١) انْظُرْ المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/١٩٦–١٩٧).



الضَّـــرَبَاتِ المُرَكَّزَةِ مِنْ قُوَّاتِ المُسْـــلِمِينَ لِقَوَافِلِهِمْ، إضَـــافَةً إلَى تَضْـــيِيقِ الخِنَاقِ الاقْتِصَادِيِّ عَلَى قُوَّاتِ العَدُوِّ مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ.

- **بِدَايَةُ الأَحْدَاثِ:**

كَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ حَذِرَتْ طَرِيقَ الشَّـــامِ أَنْ يَسْـــلُكُوهَا، وَخَافُوا مِنْ رَسُـــولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَكَانُوا قَوْمًا تُجّارًا، فَقَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ: إنّ مُحَمّدًا وَأَصْحَابَهُ قَدْ عَوَّرُوا عَلَيْنَا مَتْجَرَنَا، فَمَا نَدْرِي كَيْفَ نَصْنَعُ بِأَصْحَابِهِ، لَا يَبْرَحُونَ السَّاحِلَ، وَأَهْلُ السَّاحِلِ قَدْ وَادَعَهُمْ وَدَخَلَ عَامَّتُهُمْ مَعَهُ، فَمَا نَدْرِي أَيْنَ نَسْـلُك، وَإِنْ أَقَمْنَا نَأْكُلُ رُءُوسَ أَمْوَالِنَا وَنَحْنُ فِي دَارِنَا هَذِهِ، مَا لَنَا بِهَا بَقَاءٍ، إنَّمَا نَزَلْنَاهَا عَلَى التِّجَارَةِ، إلَى الشَّـــامِ فِي الصَّـيْفِ وَفِي الشِّـتَاءِ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَـةِ. قَالَ لَهُ الْأَسْـوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ: فَنَكِّبْ عَنْ السَّـــاحِلِ، وَخُذْ طَرِيقَ الْعِرَاقِ. قَالَ صَـــفْوَانُ: لَسْـــت بِهَا عَارِفًا. قَالَ أَبُو زَمْعَةَ: فَأَنَا أَدُلُّك عَلَى أَخْبَرِ دَلِيلٍ بِهَا يَسْـــلُكُهَا وَهُوَ مُغْمَضُ الْعَيْنِ إنْ شَـــاءَ اللهُ. قال: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: فُرَاتُ بْنُ حَيَّانَ الْعِجْلِيّ. قَدْ دَوَّخَهَا وَسَـلَكَهَا. قَالَ صَـفْوَانُ: فَذَلِكَ وَاَللهِ! فَأَرْسَـلَ إلَى فُرَاتٍ. فَجَاءَهُ فَقَالَ: إنِّي أُرِيدُ الشَّـــامَ وَقَدْ عَوَّرَ عَلَيْنَا مُحَمَّدٌ مَتْجَرَنَا لِأَنَّ طَرِيقَ عِيرَاتِنَا عَلَيْهِ. فَأَرَدْت طَرِيقَ الْعِرَاقِ. قَالَ فُرَاتٌ: فَأَنَا أَسْـــلُكُ بِك فِي طَرِيقِ الْعِرَاقِ. لَيْسَ يَطَأُهَا أَحَدٌ مِنْ أَصْـــحَابِ مُحَمّدٍ–إنّمَا هِيَ أَرْضُ نَجْدٍ وَفَيَافٍ. قَالَ صَـــفْوَانُ: فَهَذِهِ حَاجَتِي، فَتَجَهَّزَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ، وَخَرَجَ صَفْوَانُ بِمَالٍ كَثِيرٍ.

- **وصول الخبر للمسلمين:**

قَدِمَ الْمَدِينَةَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ عَلَى كِنَانَةَ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ، فَذَكَرَ نُعَيْمٌ خُرُوجَ صَـــفْوَانَ فِي عِيرِهِ وَمَا مَعَهُمْ مِنْ الْأَمْوَالِ، فَخَرَجَ مِنْ سَاعَتِهِ إلَى النّبِيّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ.

- **الضربة القاضية:**

أَرْسَلَ رَسُولُ الله ﷺ زيد بن حَارِثَةَ فِي مِائَةِ رَاكِبٍ، فَاعْتَرَضُوا لَهَا فَأَصَابُوا الْعِيرَ. وَأَفْلَتَ أَعْيَانُ الْقَوْمِ وَأَسَرُوا رَجُلًا أَوْ رَجُلَيْنِ، وَقَدِمُوا بِالْعِيرِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَخَمَّسَهَا، وَكَانَ فِي الْأَسْرَى فُرَاتُ بْنُ حَيَّانَ، فَأُتِيَ بِهِ فَقِيلَ لَهُ: أَسْلِمْ، إِنْ تُسْلِمْ نَتْرُكْكَ مِنْ الْقَتْلِ، فَأَسْلَمَ فَتَرَكَهُ مِنْ القتل.

فكانت هذه الضربة بمثابة الضربة القاضية لقريش في أملها في فك الحصار الاقتصادي التي ضربتها عليها القيادة النبوية فلم يبقى لقريش إلا أحد أمرين: محاولة القضاء على المسلمين لتنفتح أمامهم الطرق التجارية المقطوعة، أو الاستسلام قبل أن تموت قريش جوعاً.

٢. غَزوةِ دُومَةِ الْجَنْدَلِ في الْسَنةِ الْرَابِعَةِ لِلْهجرَة فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ:

- **سبب الغزوة:**

النظرة الاستراتيجية البعيدة للقيادة النبوية: فقد أَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَدْنُوَ إِلَى أَدْنَى الشّامِ ليثبِّتَ أَركَان الْدولَةِ الإِسْلَامية، فَدُومَةِ الْجَنْدَلِ طَرَفٌ مِنْ أَفْوَاهِ الشَّام، وَفِي حُدُودِ الْغَساسنَة المُوالينَ للدَولَة الْروميَة (بيزنطة) ولها إشْرافٌ عَلى سُوقِ دُومَةِ الْجَنْدَلِ الْشَهير عَلى بُعْدِ ٤٥٠ كيلومترًا شَمَال الْمَدينةِ، اضَافة إلى أنَّ اقترَابَ قُوة الْمُسْلمِين مِنْها يُفْزِعُ الرّومِ ويَجعلُ فِي صُدُورِهِمْ الهَيبة و الْخَوْف مِنْ الْمُسْلمين، وهي أَوَل خُطْوة مِنْ القِيَادَةِ النبوية لِكَسْرِ حَاجِزِ الْرَهبة مِنْ الروم من قُلوبِ المسلمين.

تأمين الطريق التجاري الّهَام من أرض الجزيرة إلى الشام: فَقَدْ كَانَ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ سُوقاً عَظِيماً وَتُجّاراً، وكَانَ فيها جَمْعًا كَثِيرًا يَظْلِمُونَ مَنْ مَرّ بِهِمْ مِنْ

الضَّـــافِطَةِ وإنَّ هَذَا الْأَمْر سَـــيؤثر مســـتقبلاً على الطريق التجاري للمســـلمين بين المدينة المنورة والشام.

تحقيق ضربة استباقية للعدو: فقد بَلَغَ النبي ﷺ أنَّ كَثِيراً مِنْ أَقْوَام الْعَرَبِ بدأت تَنْضَمُ إلى تلك الجُموع ، وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَدْنُوا مِنْ الْمَدِينَةِ.

- **تحرك القوات:**

نَدَبَ رَسُـــولُ اللهِ ﷺ النّاسَ، فَخَرَجَ فِي أَلْفٍ مِنْ الْمُسْـــلِمِينَ، وَقَدْ اسْـــتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ سباع بن عرفطة. وتَمَتّعَ مَسيرُ قُواتِ المُسْلمِينَ بـ:

الْسِـــرية التامة: فَكَانَ ﷺ يَسِـــيرُ اللّيْلَ وَيَكْمُنُ النّهَارَ يُسْـــرِع السّـــيْرِ مُبْتَعداً عَنْ طَرِيقِ الْقَوافِل لِيُحقِقَ الْمُباغتة والمُفاجأة لقُواتِ العدو.

اصـــــطحاب الدليل الخبير: فَقَد أَخرَجَ مَعَه ﷺ دَليلاً مِنْ بَنِي عُذْرَةَ يُقَالُ لَـهُ مَذْكُورٌ، هَادٍ خِرّيتٍ.

الاستطلاع المتقدم للهجوم: فَلَمّا دَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ دُومَةِ الْجَنْدَلِ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا يَوْمٌ أَوْ لَيْلَةٌ سَـيْرَ الرّاكِبِ الْمُسْـرِعِ قَالَ لَهُ الدّلِيلُ: يَا رَسُـولَ اللهِ، إنّ سَـوَائِمَهُمْ تَرْعَى فَأَقِمْ لِي حَتّى أَطّلِعَ لَك، فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: نَعَمْ.

فَخَرَجَ الْعُذْرِيّ طَلِيعَةً حَتّى وَجَدَ آثَارَ النّعَمِ وَالشّـــــاءِ وَهُمْ مُغَرّبُونَ، ثُمّ رَجَعَ إلَى النّبِيّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ وَقَدْ عَرَفَ مَوَاضِعَهُمْ.

تحقيق عنصـــر المفاجأة والمباغتة لقوات العدو: بعدما طَبَقَ النّبِيّ ﷺ الْسُـــرية التَامة فِي الْمَسير قام بِهُجومٍ مُبَاغت عَلَى مَاشِيَةِ الْقومِ وَرِعَائِهِمْ، فَأَصَاب رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ أَصَـــــاب، وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ فِي كُلّ وَجْهٍ. وَجَاءَ الْخَبَرُ أَهْلَ دُومَةِ الْجَنْدَلِ فَتَفَرّقُوا.

التأكد من تحقيق أكبر قدر من هدف وغاية الغزوة:

عِنْدَما نَزَلَ رَسُـــولُ اللهِ ﷺ بِسَـــاحَتِهِمْ، فَلَمْ يَجِدْ بِهَا أَحَدًا، فَأَقَامَ بِهَا أَيّامًا وَبَثّ السّـــرَايَا وَفَرّقَهَا حَتّى غَابُوا عَنْهُ يَوْمًا ثُمّ رَجَعُوا إلَيْهِ، وَلَمْ يُصَـــادِفُوا مِنْهُمْ أَحَدًا، وَقَد رْجِعت بعض السّرِايا بِالْقِطْعَان مِنْ الْإِبِلِ، إلّا أَنّ مُحَمّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ أَخَذَ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَأَتَى بِهِ النّبِيّ ﷺ فَسَـــأَلَهُ عَنْ أَصْـــحَابِهِ فَقَالَ: هَرَبُوا أَمْسِ حَيْثُ سَـــمِعُوا بِأَنّك قَدْ أَخَذْت نَعَمَهُمْ. فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْإِسْلَامَ أَيّامًا فَأَسْلَمَ، ثُمَّ رَجَعَ النّبِيّ ﷺ إلَى الْمَدِينَةِ.

سرية زيد بن حارثة

إلى القَرَدة (بنجد)

جمادى الآخرة ٣ هـ



البَابُ الرَّابِعُ

غَزْوَةُ أُحُدٍ

١٥ شَوَّال مِنْ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِلهِجْرَةِ

❖ أَسْبَابُ الغَزْوَةِ:

بَعْدَ هَزِيمَةِ المُشْرِكِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ اتَّفَقَتْ قُرَيْشٌ عَلَى أنْ تَقُومَ بِحَرْبٍ شَامِلَةٍ ضِدَّ المُسْلِمِينَ، فَتَثْأَرُ لِنَفْسِهَا وَتَسْتَعِيدُ هَيْبَتَهَا بَيْنَ القَبَائِلِ.

❖ قَبْلَ المَعْرَكَةِ:

سُرْعَانَ مَا أرْسَلَتْ الاسْتِخْبَارَاتُ العَسْكَرِيَّةُ الإسْلَامِيَّةُ فِي «مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ» المُتَمَثِّلَةُ فِي عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ العَبَّاسِ رضي الله عنه، مُلْتَزِمَةً بِقَاعِدَةٍ أَسَاسِيَّةٍ فِي «إيصَالِ المَعْلُومَةِ فِي وَقْتٍ يُمْكِنُنَا الاسْتِفَادَةُ مِنْهَا».

فَبَعَثَ «العَبَّاسُ» رضي الله عنه بِبَرْقِيَّةٍ عَاجِلَةٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَسْرَعَ رَسُولُ «العَبَّاسِ» رضي الله عنه بِإِبْلَاغِ الرِّسَالَةِ، وَجَدَّ فِي السَّيْرِ، حَتَّى أَنَّهُ قَطَعَ الطَّرِيقَ بَيْنَ «مَكَّةَ» وَ «المَدِينَةِ»، الَّتِي تَبْلُغُ خَمْسَمَائِةِ كِيلُومِتْر، فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

- **نَصُّ البَرْقِيَّةِ:**

«أَنَّ قُرَيْشًا قَدْ أَجْمَعَتْ الْمَسِيرَ إِلَيْك فَمَا كُنْت صَانِعًا إذَا حَلّوا بِك فَاصْنَعْهُ. وَقَدْ تَوَجّهُوا إلَيْك، وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَقَادُوا مِئَتَيْ فَرَسٍ وَفِيهِمْ سَبْعُمِائَةِ دَارِعٍ وَثَلَاثَةُ آلَافِ بَعِيرٍ وَأَوْعَبُوا مِنْ السّلَاحِ(١)»(٢).

وَاتَّسَمَتْ مَعْلُومَاتُ الاسْتِخْبَارَاتِ العَسْكَرِيَّةِ بِالدِّقَّةِ، فَقَدْ شَمِلَتْ:

---

(١) أَيْ خَرَجُوا بِجَمِيعِ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ سِلَاحٍ.

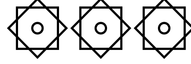
(٢) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/٢٠٤).

أ. وَقْتَ انْطِلَاقِ قُوَّاتِ العَدُوِّ.

ب. عَدَدَ قُوَّاتِ العَدُوِّ.

ت. أَنْوَاعَ الأَسْلِحَةِ وَالعَتَادِ.

ث. الاحْتِيَاطَاتِ المُتَّخَذَةَ مِنَ العَدُوِّ.



❖ تَعَامُلُ القِيَادَةِ العَسْكَرِيَّةِ مَعَ المَوْقِفِ:

١. الاسْتِطْلَاعُ وَالتَّأَكُّدُ مِنْ مِصْدَاقِيَّةِ المَعْلُومَاتِ الوَارِدَةِ:

التَّأَكُّدُ مِنْ مِصْدَاقِيَّةِ أَيِّ مَعْلُومَةٍ مُرْسَلَةٍ مِنْ فِرَقِ جَمْعِ المَعْلُومَاتِ[١] ضَرُورَةٌ وَقَاعِدَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ، إِضَافَةٌ إِلَى ذَلِكَ، لَا بُدَّ مِنْ جَمْعِ مَعْلُومَاتٍ جَدِيدَةٍ عَنْ تَمَوْضُعِ وَانْتِشَارِ قُوَّاتِ العَدُوِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُمْكِنُ اسْتِثْمَارُهُ لِتَرْجِيحِ كِفَّةِ النَّصْرِ، فَقَدْ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَفْرَادَ الاسْتِطْلَاعِ «أَنَسًا» وَ «مُؤْنِسًا» ابْنَيْ «فَضَالَةَ» ف، فَأَلْفَيَا قُرَيْشًا قَدْ قَارَبَتْ المَدِينَةَ، وَأَرْسَلَتْ خَيْلَهَا وَإِبِلَهَا تَرْعَى زُرُوعَ يَثْرِبَ المُحِيطَةَ بِهَا[٢]، وَعَادَا فَأَخْبَرَاهُ بِخَبَرِ القَوْمِ، كَمَا أَرْسَلَ الحُبَابَ بْنَ المُنْذِرِ بْنِ الجَمُوحِ إِلَى قُرَيْشٍ بِمُهِمَّةٍ اسْتِخْبَارَاتِيَّةٍ ضِمْنَ صُفُوفِ العَدُوِّ، فَدَخَلَ بَيْنَ جَيْشِ مَكَّةَ، وَجَمَعَ المَعْلُومَاتِ عَنْ العَدَدِ وَالعَتَادِ وَرَجَعَ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا رَأَيْتَ؟**»، قَالَ: رَأَيْتُ أَيْ رَسُولَ اللهِ

---

(١) إِذَا وَصَلَتْ المَعْلُومَةُ إِلَى الأَمِيرِ فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَثَبَّتَ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَبُثَّهَا وَيَذِيعُ بِهَا، وَمِنْ ثَمَّ يَتَّخِذُ الإِجْرَاءَاتِ المُنَاسِبَةَ وَالمَطْلُوبَةَ تَبَعًا لَهَا. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۞﴾ [سورة الحجرات:٦]، وَسَبَبُ نُزُولِ الآيَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَ الوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ عَلَى صَدَقَاتِ «بَنِي المُصْطَلَقِ»، وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ إِحْنَةٌ، فَلَمَّا شَارَفَ دِيَارَهُمْ رَكِبُوا مُسْتَقْبِلِينَ لَهُ، فَحَسِبَهُمْ مُقَاتِلِيهِ، فَرَجَعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ لَهُ: «إِنَّ بَنِي المُصْطَلَقِ جَمَعَتْ لَكَ لِتُقَاتِلَكَ»، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مَصْدَرًا ثِقَةً، هُوَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ ﵁ لِلاسْتِيثَاقِ مِنَ الخَبَرِ، فَعَادَ خَالِدٌ ﵁ مُؤَكِّدًا أَنَّ القَوْمَ لَا يَزَالُونَ مُسْتَمْسِكِينَ بِدِينِهِمْ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ الصَّدَقَاتِ.

(٢) السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ عَلَى ضَوْءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ (١٨٧/٢).

عَدَدًا، حَزَرْتُهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ، يَزِيدُونَ قَلِيلًا أَوْ يَنْقُصُونَ قَلِيلًا، وَالخَيْلُ مَائَتَيْ فَرَسٍ، وَرَأَيْتُ دُرُوعًا ظَاهِرَةً، حَزَرْتُهَا سَبْعِمَائَةَ دِرْعٍ، قَالَ: «**هَلْ رَأَيْتَ ظَعْنًا؟**»، قَالَ: رَأَيْتُ النِّسَاءَ مَعَهُنَّ الدِّفَافُ وَالأَكْبَارُ(١)...(٢).

٢. الحِفَاظُ عَلَى أَمْنِ المَعْلُومَةِ العَسْكَرِيَّةِ(٣):

وَنَرَى هَذَا الأَمْرَ جَلِيًّا فِي عِدَّةِ مَوَاقِفَ، مِنْهَا:

عِنْدَمَا أَتَتْ بَرْقِيَّةُ «العَبَّاسِ ﷺ» لِلنَّبِيِّ ﷺ قَرَأَهَا «أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ»، فَأَمَرَهُ ﷺ بِالكِتْمَانِ.

وَفِي قَوْلِهِ ﷺ لِـ «الحَبَّابِ بْنِ المُنْذِرِ» ﷺ بَعْدَمَا سَأَلَهُ عَنْ الظَّعَائِنِ: «**أَرَدْنَ أَنْ يُحَرِّضْنَ الْقَوْمَ وَيُذَكِّرْنَهُمْ قَتْلَى بَدْرٍ، هَكَذَا جَاءَنِي خَبَرُهُمْ، لَا تَذْكُرْ مِنْ شَأْنِهِمْ حَرْفًا، حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، اللهُمّ بِك أَجُولُ وَبِكَ أَصُولُ**»(٤).

٣. إِعْلَانُ حَالَةِ الطَّوَارِئِ:

ثُمَّ أَنَّهُ ﷺ قَدْ أَعْلَنَ حَالَةَ الطَّوَارِئِ العَامَّةِ، وَتَجَهَّزَ الجَمِيعُ لِلقِتَالِ، وَأَمْضُوا لَيْلَتَهُمْ فِي حَذَرٍ، كُلٌّ يَصْحَبُ سِلَاحَهُ وَلَا يُفَارِقُهُ، حَتَّى عِنْدَ نَوْمِهِ، وَأَمَرَ ﷺ بِحِرَاسَةِ المَدِينَةِ، وَاخْتَارَ خَمْسِينَ مِنْ أَشِدَّاءِ المُسْلِمِينَ وَمُحَارِبِيهِمْ لِذَلِكَ بِقِيَادَةِ «مُحَمَّدِ بْنِ

(١) الأَكْبَارُ، جَمْعُ كَبَر، يَعْنِي الطُّبُول الَّتِي لَهَا وَجْهٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ لَفْظٌ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ.

(٢) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/٢٠٨).

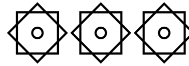
(٣) وَنَلْحَظُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ زَرَعَ ذَلِكَ الحِسَّ الأَمْنِيَّ فِي صَحَابَتِهِ الكِرَامِ ﭫ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَوْرَدَهُ ابْنُ بُرْهَانِ الدِّينِ فِي «السِّيرَةُ الحَلَبِيَّةُ» مِنْ شَأْنِ سَيِّدِنَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ﭬ عِنْدَمَا أَطْلَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَبَرِ رِسَالَةِ العَبَّاسِ ﭬ، فَقَالَ: «وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَيْرًا»، فَاسْتَكْتَمَهُ إِيَّاهُ، وَعِنْدَمَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِ سَعْدٍ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللهِ r؟ قَالَ لَهَا: لَا أُمَّ لَكِ، أَنْتِ وَذَاكَ، قَالَت: قَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَ لَكَ، فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا أَسَرَّ بِهِ النَّبِيُّ r، فَاسْتَرْجَعَ سَعْدٌ، وَقَالَ: يَا رَسُول اللهِ، إِنِّي خِفْتُ أَنْ يَفْشُوَ الخَبَرَ فَتَرَى أَنِّي أَنَا المُفْشِي لَهُ وَقَدْ اسْتَكْتَمْتَنِي إِيَّاهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ r: «خَلِّ عَنْهَا».

(٤) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/٢٠٨).

مَسْلَمَةَ رضي الله عنه» (١).

٤. أمْنُ القِيَادَةِ:

قَامَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم بِحِرَاسَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَبَاتَ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» وَ «أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْرُ» وَ «سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ» فِي عِدَّةٍ مِنْ الصَّحَابَةِ ف لَيْلَةَ الجُمُعَةِ مُدَجَّجِينَ بِالسِّلَاحِ فِي بَابِ المَسْجِدِ، يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَخُصُوصًا بَعْدَ مُحَاوَلَةِ اغْتِيَالِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ بَدْرٍ (٢).



❖ الاسْتِعْدَادُ لِلمَعْرَكَةِ:

وَقَدْ تَمَثَّلَ ذَلِكَ بِـ:

١. الشُّورَى.
٢. الجَاهِزِيَّةِ القِتَالِيَّةِ لِلفَرْدِ «العَتَادُ الحَرْبِيُّ».
٣. اخْتِيَارِ خَطِّ المَسِيرِ «زَمَانًا وَمَكَانًا».
٤. أمْنِ القِيَادَةِ أثْنَاءَ التَّحْضِيرَاتِ لِلمَعْرَكَةِ.
٥. التَّعْبِئَةِ النَّفْسِيَّةِ وَالإِيمَانِيَّةِ لِلجُنْدِ.

١. الشُّورَى:

عَقَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسًا اسْتِشَارِيًّا عَسْكَرِيًّا أعْلَى، تَبَادَلَ فِيهِ الرَّأْيَ لِاخْتِيَارِ المَوْقِفِ، وَأخْبَرَهُمْ عَنْ رُؤْيَا رَآهَا.

عَنْ عُرْوَةَ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ

(١) المَصْدَرُ السَّابِقُ (١/٢١٧).

(٢) وَذَلِكَ بَعْدَ مَا كَانَ مِنْ اتِّفَاقٍ بَيْنَ عُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ وَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ عَلَى اغْتِيَالِ النَّبِيِّ ﷺ.

إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ [سورة آل عمران:].

إنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ غَزَا أَبُو سُفْيَانَ وَكُفَّارُ قُرَيْشٍ: «**إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي لَبِسْتُ دِرْعًا حَصِينَةً، فَأَوَّلْتُهَا الْمَدِينَةَ، فَاجْلِسُوا فِي ضَيْعَتِكُمْ، وَقَاتِلُوا مِنْ وَرَائِهَا، وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ قَدْ شُبِّكَتْ بِالْبُنْيَانِ فَهِيَ كَالْحِصْنِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اخْرُجْ بِنَا إِلَيْهِمْ فَلْنُقَاتِلْهُمْ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ: نَعَمْ وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ، إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَزَلَ بِنَا عَدُوٌّ قَطُّ فَخَرَجْنَا إِلَيْهِ، فَأَصَابَ فِينَا، وَلَا تَنَيْنَا فِي الْمَدِينَةِ، وَقَاتَلْنَا مِنْ وَرَائِهَا إِلَّا هَزَمْنَا عَدُوَّنَا، فَكَلَّمَهُ أُنَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ اخْرُجْ بِنَا إِلَيْهِمْ، فَدَعَا بِلَأْمَتِهِ فَلَبِسَهَا، ثُمَّ قَالَ: «**مَا أَظُنُّ الصَّرْعَى إِلَّا سَتَكْثُرُ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ، إِنِّي أَرَى فِي النَّوْمِ مَنْحُورَةً، فَأَقُولُ: بَقَرٌ، وَاللَّهِ بِخَيْرٍ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَاجْلِسْ بِنَا، فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَلْقَى النَّاسَ**»(١).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَأَبَى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْخُرُوجَ إِلَى الْعَدُوِّ، وَلَمْ يَتَنَاهَوْا إِلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَأْيِهِ، وَلَوْ رَضُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ كَانَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ غَلَبَ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ، وَعَامَّةُ مَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالْخُرُوجِ رِجَالٌ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا، قَدْ عَلِمُوا الَّذِي سَبَقَ لِأَصْحَابِ بَدْرٍ مِنَ الْفَضِيلَةِ»(٢)، ثُمَّ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ بِالنَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَوَعَظَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ لَهُمُ النَّصْرَ بِمَا صَبَرُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالتَّهَيُّؤِ لِعَدُوِّهِمْ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذَلِكَ(٣).

---

(١) رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مُصَنَّفِهِ (٩٧٣٥) كِتَابُ المَغَازِي–وَقْعَةُ أُحُدٍ.

(٢) البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ (٥/٣٤٧).

(٣) انْظُرْ المَصْدَرَ السَّابِقَ، بِتَمَامِهِ.

٢.اهْتِمَامُ القِيَادَةِ النَّبَوِيَّةِ بِالجَاهِزِيَّةِ القِتَالِيَّةِ لِلفَرْدِ «العَتَادِ الحَرْبِيّ»:

وَبَعْدَمَا كَانَ رَأْيُ الأَغْلَبِيَّةِ مِنْ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْتَهُ، وَمَعَهُ صَاحِبَاهُ «أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه» وَ «عُمَرُ رضي الله عنه»، فَعَمَّمَاهُ وَأَلْبَسَاهُ (١).

عَنْ أَبِي سَلِيطٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ رَأَى عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَلَنْسُوَةَ أَسْمَاطٍ لَهَا أُذُنَانِ، قَدْ ثَقَبَ لَهُمَا جُحْرَانِ فِي أُذُنَيْهِمَا (٢).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَلْبَسُ قَلَنْسُوَةً بَيْضَاءَ (٣)(٤).

فَتَدَجَّجَ ﷺ بِسِلَاحِهِ، وَلَبِسَ دِرْعًا وَاحِدَةً حَتَّى انْتَهَى إِلَى أُحُدٍ، فَلَبِسَ دِرْعًا أُخْرَى، وَمِغْفَرًا وَبَيْضَةً فَوْقَ الْمِغْفَرِ (٥). فَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ يَوْمَ أُحُدٍ (٦).

وَتَقَلَّدَ السَّيْفَ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُ الصَّحَابَةَ ف

---

(١) انْظُرْ المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢١٣/١).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الآحَادُ وَالمَثَانِي» (١٦٨٣).

(٣) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي «الجَامِعُ لِشُعَبِ الإِيمَانِ» (٥٨٤٨) فَصْلٌ فِي العَمَائِمِ، وَأَوْرَدَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «سِلْسِلَةُ الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالمَوْضُوعَةِ» (٢٥٣٨) وَقَالَ: «ضَعِيفٌ».

(٤) وَعَلَى المُقَاتِلِ أَنْ يَضَعَ سَاتِرًا فَوْقَ رَأْسِهِ كَالخُوْذَةِ؛ لِحِمَايَتِهِ مِنْ الصَّدَمَاتِ وَالشَّظَايَا وَمَا شَابَهَ، حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ مَصْنُوعَةً مِنْ القُمَاشِ لِحِمَايَتِهِ -عَلَى الأَقَلِّ- مِنْ أَشِعَةِ الشَّمْسِ القَوِيَّةِ، وَيُفَضَّلُ لِغِطَاءِ الرَّأْسِ أَنْ يَتَّخِذَ لَوْنَ الأَرْضِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ التَّمْوِيهِ العَسْكَرِيّ. رَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي «المُعْجَمُ الكَبِيرُ» (١٣٤١٨) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالْعَمَائِمِ فَإِنَّهَا سِيمَاءُ الْمَلَائِكَةِ، وَأَرْخُوا لَهَا خَلْفَ ظُهُورِكُمْ»، قَالَ فِيهِ الهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الفَوَائِدِ» (١٢٠/٥): «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ عِيسَى بْنُ يُونُسَ قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: مَجْهُولٌ. وَذَكَرَ الذَّهَبِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي تَرْجَمَةِ يَحْيَى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ صَالِحٍ الْمِصْرِيّ شَيْخِ الطَّبَرَانِيِّ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ وَثَّقَهُ».

(٥) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢١٩/١).

(٦) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنُ الكَبِيرُ» كِتَابُ السِّيَرِ-بَابُ الاخْتِيَارِ فِي التَّحَرُّزِ.

بِحُسْنِ التَّجَهُّزِ لِلحَرْبِ بِأدَقِّ الأُمُورِ، حَتَّى فِي لُبْسِ النِّعَالِ [١]، فَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا: «**اسْتَكْثِرُوا مِنَ النِّعَالِ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا مَا انْتَعَلَ**» [٢].

٣.اخْتِيَارُ خَطِّ المَسِيرِ «زَمَانًا وَمَكَانًا»:

وَقَدْ كَانَ الوَقْتُ المُخْتَارُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، وَاتَّخَذَ اللَّيْلَ سَاتِرًا لِتَحَرُّكَاتِهِ، وَهَذَا الوَقْتُ يَكُونُ فِيهِ الأَعْدَاءُ - غَالِبًا- فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الإِعْيَاءَ وَمَشَقَّةَ السَّفَرِ قَدْ أَخَذَا مِنْهُمْ مَجْهُودًا كَبِيرًا.

قَالَ الوَاقِدِيُّ رحمه الله: «وَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَدْلَجَ، فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ الْأَدِلَّاءُ؟**»» [٣]، ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ تَخَيَّرَ الطَّرِيقَ المُنَاسِبَةَ الَّتِي يَسْلُكُهَا كَيْ يَصِلَ إِلَى أَرْضِ المَعْرَكَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ صِفَةً يَنْبَغِي أَنْ تَتَوَفَّرَ فِي الطَّرِيقِ، وَهِيَ السِّرِّيَّةُ؛ حَتَّى لَا تَرَى الأَعْدَاءُ جَيْشَ المُسْلِمِينَ، فَقَالَ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**مَنْ رَجُلٌ يَدُلُّنَا عَلَى الطَّرِيقِ وَيُخْرِجُنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَثَبٍ؟**»، فَقَامَ أَبُو حَثْمَةَ الْحَارِثِيُّ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ... قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَكِبَ فَرَسَهُ، فَسَلَكَ بِهِ فِي بَنِي حَارِثَةَ، ثُمّ أَخَذَ فِي الْأَمْوَالِ حَتَّى يَمُرُّ بِحَائِطِ مِرْبَعِ بْنِ قَيْظِيِّ، وَكَانَ أَعْمَى الْبَصَرِ مُنَافِقًا» [٤].

---

(١) إنَّ الانْتِعَالَ وَحُسْنَ انْتِقَاءِ النَّعْلِ لَمِنَ الأُمُورِ الَّتِي يَجِبُ أَلَّا يَتَسَاهَلَ فِيهَا المُجَاهِدُ، فَهِيَ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ، رُغْمَ بَسَاطَتِهَا.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ٦٦ (٢٠٩٦) كِتَابُ اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ–بَابُ مَا جَاءَ فِي الانْتِعَالِ وَالاسْتِكْثَارِ مِنَ النِّعَالِ.

(٣) المَغَازِي لِلوَاقِدِيِّ (٢١٧/١).

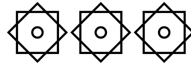
(٤) المَصْدَرُ السَّابِقُ (٢١٨/١).

٤.أَمْنُ القِيَادَةِ أَثْنَاءَ التَّحْضِيرَاتِ لِلمَعْرَكَةِ:

وَاخْتَارَ النَّبِيُّ ﷺ خَمْسِينَ رَجُلًا لِحِرَاسَةِ المُعَسْكَرِ، يَتَجَوَّلُونَ حَوْلَهُ، وَكَانَ قَائِدَهُمْ «مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الأَنْصَارِيّ رضي الله عنه» [(١)]، بَطَلُ سَرِيَّةِ «كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ»، وَتَوَلَّى «ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ رضي الله عنه» حِرَاسَةَ النَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً[(٢)].

٥.التَّعْبِئَةُ النَّفْسِيَّةُ وَالإِيمَانِيَّةُ لِلجُنْدِ:

وَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ المَعْرَكَةِ يَخْطُبُ بِالنَّاسِ، وَيَرْفَعُ لَهُمْ الهِمَمَ وَيُذَكِّرُهُمْ بِالجَنَّةِ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ ﷺ: **«يَا أَيُّهَا النّاسُ، أُوصِيكُمْ بِمَا أَوْصَانِي اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ وَالتّنَاهِي عَنْ مَحَارِمِهِ. ثُمّ إِنّكُمْ الْيَوْمَ بِمَنْزِلِ أَجْرٍ وَذُخْرٍ لِمَنْ ذَكَرَ الّذِي عَلَيْهِ ثُمّ وَطّنَ نَفْسَهُ لَهُ عَلَى الصّبْرِ وَالْيَقِينِ وَالْجِدّ وَالنّشَاطِ، فَإِنّ جِهَادَ الْعَدُوّ شَدِيدٌ، شَدِيدٌ كَرْبُهُ قَلِيلٌ مَنْ يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلّا مَنْ عَزَمَ اللهُ رُشْدَهُ، فَإِنّ اللهَ مَعَ مَنْ أَطَاعَهُ، وَإِنّ الشّيْطَانَ مَعَ مَنْ عَصَاهُ، فَافْتَتِحُوا أَعْمَالَكُمْ بِالصّبْرِ عَلَى الْجِهَادِ، وَالْتَمِسُوا بِذَلِكَ مَا وَعَدَكُمْ اللهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، فَإِنّي حَرِيصٌ عَلَى رُشْدِكُمْ، فَإِنّ الِاخْتِلَافَ وَالتّنَازُعَ وَالتّثْبِيطَ مِنْ أَمْرِ الْعَجْزِ وَالضّعْفِ مِمّا لَا يُحِبُّ اللهُ، وَلَا يُعْطِي عَلَيْهِ النّصْرَ وَلَا الظّفَرَ ...»**[(٣)].



❖ التَّخْطِيطُ لِلمَعْرَكَةِ:

١.انْتِقَاءُ الأَرْضِ:

وَزَّعَ النَّبِيُّ ﷺ سَيْطَرَةَ القُوَّاتِ عَلَى المَنَاطِقِ الحَاكِمَةِ «المُرْتَفَعَاتِ»، وَتَرَكُوا

---

(١) انْظُرْ المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢١٧/١).

(٢)المَصْدَرُ السَّابِقُ، بِتَمَامِهِ.

(٣) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢٢١/١-٢٢٢).

الوَادِي لِجَيْشِ «مَكَّـةَ»، وَجَعَـلَ النَّبِيُّ ﷺ «أُحُـدًا خَلْفَ ظَهْرِهِ وَهُوَ مُسْـتَقْبِلُ الْمَدِينَةَ»(١)، وَعَلَى جَبَلِ «عينان» الَّذِي يُقَابِلُ جَبَلَ «أُحُدٍ» وَضَـعَ عَلَيْهِمْ الرُّمَاةَ؛ وَذَلِكَ لِيَمْنَعَ الْتِفَافَ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ حَوْلَ جَيْشِ المُسْلِمِينَ، وَلِدَعْمِ جَيْشِ المُسْلِمِينَ فِي كُلِّ التَّحَرُّكَاتِ القِتَالِيَّةِ.

٢.اسْتِعْرَاضُ الجُنْدِ:

وَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتَعْرِضُ الجُنْدِ، وَبَدَأَ بِإِخْرَاجِ مَنْ لَا يَصْلُحُ لِلقِتَالِ.

عَنْ أَبِي زَيْدِ بْنِ جَارِيَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَصْغَرَ نَاسًا يَوْمَ أُحُدٍ مِنْهُمْ زَيْدُ بْنُ جَارِيَةَ – يَعْنِي نَفْسَـهُ– وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وَسَعْدٌ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ(٢).

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ لِلْقِتَالِ قَالَ: وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجِزْنِي(٣).

٣.تَنْظِيمُ وَتَوْزِيعُ الجُنْدِ فِي مَوَاضِعِهِمْ وَهَيْأَتُهُمْ قَبْلَ الحَرْبِ «التَّعْبِئَةُ»:

قَامَ ﷺ بِتَقْسِيمِ الجَيْشِ إِلَى ثَلَاثِ كَتَائِبَ، وَأَعْطَى اللِّوَاءَ لِأَحَدِ أَفْرَادِ الكَتِيبَةِ، وَهَذِهِ الكَتَائِبُ هِيَ:

١.كَتِيبَةُ «المُهَاجِرِينَ»، وَأَعْطَى لِوَاءَهَا «مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ رضي الله عنه».

٢.كَتِيبَةُ «الأَوْسِ» مِنْ الأَنْصَارِ، وَأَعْطَى لِوَاءَهَا «أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ رضي الله عنه».

٣.كَتِيبَةُ «الخَزْرَجِ» مِنْ الأَنْصَارِ، وَأَعْطَى لِوَاءَهَا «الحُبَابَ بْنَ المُنْذِرِ رضي الله عنه».

---

(١) المَصْدَرُ السَّابِقُ (٢٢٠/١).

(٢) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الكُبْرَى، كِتَابُ السِّيَرِ–بَابُ مَنْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الجِهَادُ.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٢٦٦٤) كِتَابُ الشَّهَادَاتِ–بَابُ بُلُوغِ الصِّبْيَانِ وَشَهَادَتِهِمْ.

٤. وجَعَلَ الرّمَاةَ خَمْسِينَ رَجُلًا عَلَى عَيْنَيْنِ «جَبَلِ الرُّمَاةِ»، عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ، وقَالَ لهم: «**إن رَأَيْتُمُونَا تَخَطَّفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**»[1]، وَقَالَ لِأَمِيرِ الرُّمَاةِ: «**انْضَحْ الْخَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ، لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا، فَاثْبُتْ مَكَانَكَ لَا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكِ**»[2]. وَقَالَ لِلرُّمَاةِ: «**وَالْزَمُوا مَكَانَكُمْ لَا تَبْرَحُوا مِنْهُ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نَهْزِمُهُمْ، حَتَّى نَدْخُلَ عَسْكَرَهُمْ، فَلَا تُفَارِقُوا مَكَانَكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلَا تُعِينُونَا وَلَا تَدْفَعُوا عَنَّا، اللَّهُمَّ، إِنِّي أُشْهِدُكَ عَلَيْهِمْ، وَارْشُقُوا خَيْلَهُمْ بِالنّبْلِ، فَإِنّ الْخَيْلَ لَا تُقْدِمُ عَلَى النَّبْلِ**»[3].

٤. التَّأَكُّدُ مِنْ جَاهِزِيَّةِ الجُنْدِ:

وَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْهِ يُسَوّي تِلْكَ الصّفُوفَ وَيُبَوّئُ أَصْحَابَهُ مقاعد لِلْقِتَالِ يَقُولُ تَقَدّمْ يَا فُلَانٌ وَتَأَخّرْ يَا فُلَانٌ حَتّى إنّهُ لَيَرَى مَنْكِبَ الرّجُلِ خَارِجًا فَيُؤَخّرُهُ فَهُوَ يُقَوّمُهُمْ كَأَنّمَا يُقَوّمُ بِهِمْ الْقِدَاحَ حَتّى إذَا اسْتَوَتْ الصّفُوفُ[4].

٥. الشّعَارُ:

وَكَانَ شِعَارُ المُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ «أَمِتْ أَمِتْ»[5][6].

---

(١) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٣/٢٢٩).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَكَذَا البَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٣/٢٢٤).

(٣) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/٢٢٥).

(٤) المَصْدَرُ السَّابِقُ (١/٢٢١).

(٥) المَصْدَرُ السَّابِقُ (١/٨) / (١/٢٣٤)، وَابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ ().

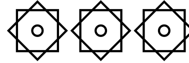
(٦) مِنَ الأَخْطَاءِ الَّتِي وَقَعَ بِهَا المُسْلِمُونَ يَوْمَ أُحُدٍ أَنَّهُمْ لَمَّا الْتَفَّ عَلَيْهِمْ جَيْشُ المُشْرِكِينَ نَسَوْا بِسَبَبِ الدَّهْشَةِ الشّعَارَ الَّذِي بَيْنَهُمْ، فَصَارُوا يَضْرِبُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قَالَ الوَاقِدِيُّ فِي المَغَازِي (١/٢٣٠): «وَانْتَقَضَتْ صُفُوفُ الْمُشْرِكِينَ وَاسْتَدَارَتْ رِجَالُهُمْ، وَحَالَتْ الرّيحُ، وَكَانَتْ أَوّلَ النّهَارِ إلَى أَنْ رَجَعُوا صبّا، فَصَارَتْ دَبُورًا حَيْثُ كَرّ الْمُشْرِكُونَ، بَيْنَا الْمُسْلِمُونَ قَدْ شُغِلُوا بِالنّهْبِ وَالْغَنَائِمِ»، وَقَالَ (١/٢٢٣): «يَقُولُ

٦.التَّعْبِئَةُ النَّفْسِيَّةُ أَثْنَاءَ المَعْرَكَةِ:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُـــولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ سَـــيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «مَنْ **يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟**»، فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟**»، قَالَ فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ. فَقَالَ سِـــمَاكُ بْنُ خَرَشَـــةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ (١).

لَقَدْ هَيَّأَ الجَيْشَ تَهْيِئَةً إيمَانِيَّةً وَنَفْسِـيَّةً وَسَـدَّ الفَرَاغَ مَعَ أَنَّهُ انْسَـحَبَ ثَلَاثِمَائَةٌ مِنْ الجَيْشِ.

عَنْ أَبِي الأَسْـوَدِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: «فَمَضَـى رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ أُحُدًا وَرَجَعَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَبَقِيَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَـبْعِمِائَةٍ» (٢).



❖ المُبَارَزَةُ:

وَبَدَأَ القِتَالُ عِنْدَمَا طَلَبَ حَامِلُ لِوَاءِ المُشْـــرِكِينَ «طَلْحَةُ بْنُ عُثْمَانَ» المُبَارَزَةَ، وَكَانَ مِنْ أشْـجَعِ فُرْسَـانِ «قُرَيْشٍ»، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ أحَدٌ لِفَرْطِ شَـجَاعَتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ «عَلِيُّ بْنُ أبِي طَالِبٍ رضي الله عنه»، فَضَرَبَهُ «عَلِيٌّ» فَقَطَعَ رِجْلَهُ.

رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ: فَكُنَّا أُتِينَا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِنَا وَمَعْصِيَةِ نَبِيِّنَا، وَاخْتَلَطَ الْمُسْلِمُونَ، وَصَارُوا يُقْتَلُونَ وَيَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، مَا يَشْعُرُونَ بِهِ مِنْ الْعَجَلَةِ وَالدَّهَشِ».

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ١٢٨ (٢٤٧٠) كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ – بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ رضي الله عنه .

(٢) دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِلبَيْهَقِيِّ (٣/٢٢١).

❖ فِي قَلْبِ المَعْرَكَةِ:

وَالْتَحَمَ الجَيْشَانُ وَاشْتَدَّ القِتَالُ، وَأخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَيْفًا وَقَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**»، فَقَامَ إِلَيْهِ رِجَالٌ، فَأَمْسَكَهُ عَنْهُمْ، حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ، أَخُو بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالَ: وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَن تُشْرِبَ بِهِ الْعَدُوَّ حَتَّى يَنْحَنِيَ**»، قَالَ: أَنَا آخُذُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِحَقِّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ رَجُلًا شُجَاعًا يَخْتَالُ عِنْدَ الْحَرْبِ، إِذَا كَانَتْ، وَكَانَ إِذَا أَعْلَمَ بِعِصَابَةٍ لَهُ حَمْرَاءَ، فَاعْتَصَبَ بِهَا عَلِمَ النَّاس أَنَّهُ سَيُقَاتِلُ، فَلَمَّا أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْرَجَ عِصَابَتَهُ تِلْكَ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، وَجَعَلَ يَتَبَخْتَرُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ»[1]، «فَأَخْرَجَ عِصَابَةً لَهُ حَمْرَاءَ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: أَخْرِجْ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ الْمَوْتِ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ»[2]، «فَقَاتَلَ حَتَّى أَمْعَنَ فِي النَّاسِ، وَجَعَلَ لَا يَلْقَى مُشْرِكًا إِلَّا قَتَلَهُ، وَأَخَذَ يَهُدُّ صُفُوفَ المُشْرِكِينَ هَدًّا»[3].

وَقَاتَلَ «حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ رضي الله عنه» قِتَالَ الأُسُودِ، وَانْدَفَعَ إِلَى قَلْبِ المُشْرِكِينَ، وَجَعَلَ لَا يُبْقِي أَمَامَهُ أَحَدًا مِنَ المُشْرِكِينَ إِلَّا وَقَتَلَهُ، حَتَّى اسْتُشْهِدَ رضي الله عنه .

«وكَانَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ، وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ بَنُونَ شَبَابٌ يَغْزُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا غَزَا، فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى أُحُدٍ قَالَ لَهُ بَنُوهُ: إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ جَعَلَ لَكَ رُخْصَةً، فَلَوْ قَعَدْتَ فَنَحْنُ نَكْفِيكَ، فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الْجِهَادَ. فَأَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بَنِيَّ هَؤُلَاءِ يَمْنَعُونَنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَكَ، وَوَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُسْتَشْهَدَ مَعَكَ فَأَطَأُ بِعَرْجَتِي هَذِهِ فِي

(١) رَوَاهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ (٢/٦٦).

(٢) المَصْدَرُ السَّابِقُ.

(٣) الرَّحِيقُ المَخْتُومِ (ص٢٣٦).

الْجَنَّةِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الْجِهَادَ**»، وَقَالَ لِبَنِيهِ: «**وَمَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَدَعُوهُ لَعَلَّ اللهَ ﷻ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ**»، فَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا(١).

وَكَانَ «حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ رضي الله عنه» قَدْ تَزَوَّجَ لَيْلَةَ أُحُدٍ، فَلَمَّا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالْخُرُوجِ انْخَلَعَ مِنْ أَحْضَانِ زَوْجَتِهِ، وَلَبَّى النِّدَاءَ حَتَّى لَا يَفُوتُهُ شَرَفُ الجِهَادِ، فَقَاتَلَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ، وَغَسَّلَتْهُ المَلَائِكَةُ فَسُمِّيَ بِغَسِيلِ المَلَائِكَةِ.

وَكَانَ النَّصْرُ حَلِيفًا لِلجَيْشِ الإِسْلَامِيِّ الَّذِي سَيْطَرَ عَلَى المَوْقِفِ، وَأَلْحَقَ الهَزِيمَةَ بِالمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَجَؤُوا إِلَى الانْسِحَابِ وَالفِرَارِ حَتَّى حَدَثَتْ المُخَالَفَةُ مِنَ الرُّمَاةِ.

- **«أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ رضي الله عنه»:**

«وَانْتَهَى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ، عَمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ: مَا يُجْلِسُكُمْ؟ قَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَمَاذَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، وَبِهِ سُمِّيَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي حُمَيْدُ الطَّوِيلُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَقَدْ وَجَدْنَا بِأَنَسِ بْنِ النَّضْرِ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ ضَرْبَةً، فَمَا عَرَفَهُ إِلَّا أُخْتُهُ، عَرَفَتْهُ بِبَنَانِهِ»(٢).

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «عَمِّي الَّذِي سُمِّيتُ بِهِ لَمْ يَشْهَدْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرًا»، قَالَ: «فَشَقَّ عَلَيْهِ، قَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ غُيِّبْتُ عَنْهُ، وَإِنْ أَرَانِيَ اللهُ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيَرَانِي اللهُ مَا أَصْنَعُ. قَالَ: «فَهَابَ أَنْ يَقُولَ

(١) رَوَاهُ الوَاقِدِيُّ فِي المَغَازِي (١/٢٦٤)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٣/٢٤٦)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٢) رَوَاهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالوَاقِدِيُّ فِي المَغَازِي (١/٢٨٠).

غَيْرَهَا»، قَالَ: «فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ»، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَيْنَ؟ فَقَالَ: وَاهًا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ، قَالَ: «فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ»، قَالَ: «فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ»، قَالَ: فَقَالَتْ أُخْتُهُ -عَمَّتِي الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ- فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ :٢٣]، قَالَ: «فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ»(١).

- **دِفَاعُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم عَنْ الرَّسُولِ ﷺ:**

عِنْدَمَا حُوصِرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي قَلْبِ المُشْرِكِينَ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلَّا تِسْعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، سَبْعَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَاثْنَانُ مِنَ المُهَاجِرِينَ، وَقَاتَلُوا دُونَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى قُتِلَ الأَنْصَارُ السَّبْعَةُ، وَبَقِيَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنهما يُدَافِعَانِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِبُطُولَةٍ نَادِرَةٍ وَبَسَالَةٍ مُنْقَطِعَةِ النَّظِيرِ، ثُمَّ تَجَمَّعَ الصَّحَابَةُ حَوْلَ رسول الله ﷺ وَقَاتَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ أَبُو دُجَانَةَ رضي الله عنه، حَيْثُ تَرَّسَ نَفْسَهُ دُونَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانَتْ النِّبَالُ تَقَعُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَمِنْهُمْ نُسَيْبَةَ بِنْتُ كَعْبٍ رضي الله عنها، حَيْثُ كَانَتْ تَتَرَّسُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى أُصِيبَتْ بِجِرَاحٍ بَالِغَةٍ، وَاسْتَطَاعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ الانْسِحَابَ إِلَى أَحَدِ شِعَابِ جَبَلِ أُحُدٍ.

- **أَثَرُ المَعَاصِي:**

فَمِنْ خِلَالِ غَزْوَةِ «أُحُدٍ» تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ المَعَاصِي مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ الهَزِيمَةِ وَتَخَلُّفِ النَّصْرِ عَنْ الأُمَّةِ، فَبِمُجَرَّدِ مَعْصِيَةٍ وَاحِدَةٍ قُلِبَتْ مَوَازِينُ المَعْرَكَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ

---

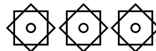
(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ١٤٨ (١٩٠٣) كتاب الإمارة-بَابُ ثُبُوتِ الجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ.

ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾ [سُورَةُ آل عمران:١٥٥].

- **إيثَارُ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ:**

مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الغَزْوَةِ يَتَبَيَّنُ لَنَا أَيْضًا خُطُورَةُ إِيثَارِ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يُفْقِدُ الأُمَّةَ عَوْنَ اللهِ وَنُصْرَتَهُ، ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ [سُورَةُ آل عمران:١٥٢].





❖ دِرَاسَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ لِلمَعْرَكَةِ:

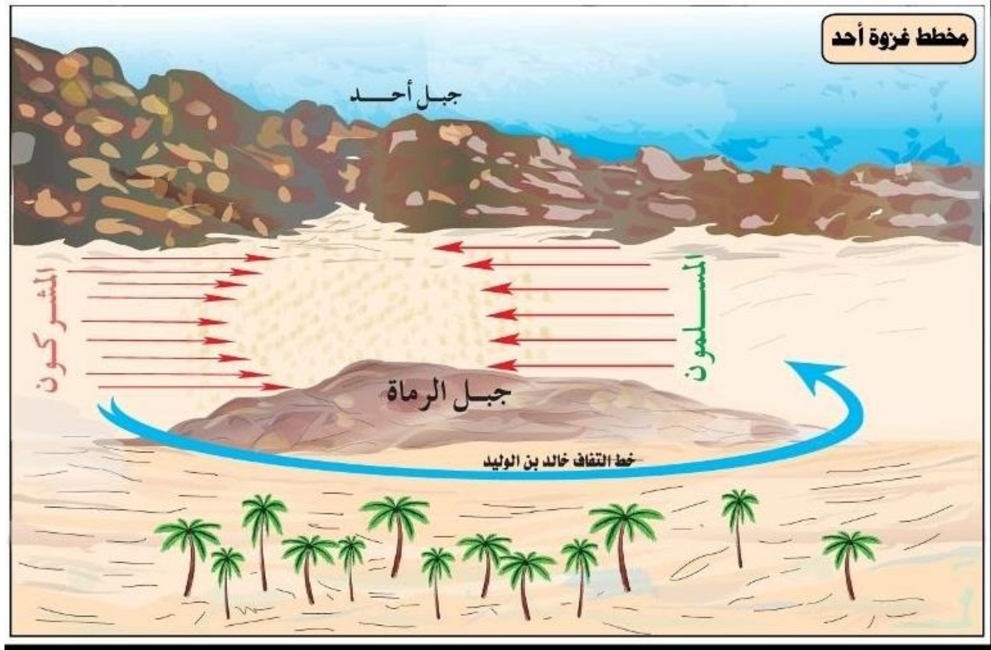
السَّبَبُ الرَّئِيسِيُّ لِخَسَارَةِ المَعْرَكَةِ:

هُوَ عِصْيَانُ الرُّمَاةِ لِلأوَامِرِ العَسْكَرِيَّةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، بِاجْتِهَادٍ خَاطِئٍ، وَالقَاعِدَةُ العَسْكَرِيَّةُ الوَاجِبُ تَطْبِيقُهَا: «لَا اجْتِهَادَاتٍ فِي الأَوَامِرِ العَسْكَرِيَّةِ»، وَذَلِكَ مَا لَمْ يَأْمُرِ القَائِدُ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَإِنَّ القِيَادَةَ لَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْهَا أَنْ تَشْرَحَ لِلجُنْدِ الغَايَةَ وَالهَدَفَ مِنْ بَعْضِ الأَوَامِرِ؛ فَيَفُوتُ بِذَلِكَ الكَثِيرُ مِنَ الفَوَائِدِ.

عن الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الرُّمَاةِ يَوْمَ أُحُدٍ – وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا– عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ وَقَالَ: «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخَطَّفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ**». قَالَ: فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ. قَالَ: فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ عَلَى الْجَبَلِ فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ: «الْغَنِيمَةَ أَيْ قَوْمِ الْغَنِيمَةَ ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ». فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ: «أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ». فَقَالُوا: «وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ فَأَتَوْهُمْ فَصُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ وَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ» (١).

---

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ (٢٦٦٢) كِتَابُ الجِهَادِ– بَابٌ فِي الْكُمَنَاءِ. وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحُ أَبِي دَاوُدَ» (٢٣٩٠) (٧/٤١٤): «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ».



مِنْ الأَخْطَاءِ الَّتِي وَقَعَ بِهَا الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم نِسْيَانُهُمْ لِكَلِمَةِ السِّرِّ بَيْنَهُمْ «الشِّعَار»، فَصَارُوا يَضْرِبُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا:

قَالَ «الوَاقِدِيُّ»: «وَانْتَقَضَتْ صُفُوفُ الْمُشْرِكِينَ وَاسْتَدَارَتْ رِجَالُهُمْ، وَحَالَتْ الرِّيحُ، وَكَانَتْ أَوَّلَ النَّهَارِ إِلَى أَنْ رَجَعُوا صَبًّا، فَصَارَتْ دَبُورًا حَيْثُ كَرَّ الْمُشْرِكُونَ، بَيْنَا الْمُسْلِمُونَ قَدْ شُغِلُوا بِالنَّهْبِ وَالْغَنَائِمِ»(١)، وَقَالَ: «يَقُولُ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ: فَكُنَّا أُتِينَا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِنَا وَمَعْصِيَةِ نَبِيِّنَا، وَاخْتَلَطَ الْمُسْلِمُونَ، وَصَارُوا يُقْتَلُونَ وَيَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، مَا يَشْعُرُونَ بِهِ مِنْ الْعَجَلَةِ وَالدَّهَشِ»(٢).

بَرَاعَةُ القِيَادَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الظُّرُوفِ الاسْتِثْنَائِيَّةِ فِي أَحْرَجِ الأَوْقَاتِ:

وَتَجِدُ ذَلِكَ بَعْدَ انْسِحَابِ ثُلُثِ الجَيْشِ فِي الطَّرِيقِ إِلَى المَعْرَكَةِ بِقِيَادَةِ رَأْسِ المُنَافِقِينَ «عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ»، وَاخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ المَوْقِفِ

---

(١) المَغَازِي (١/٢٣٠).

(٢) المَصْدَرُ السَّابِقُ (١/٢٢٣).

بَيْنَ مَنْ يَرَى قَتْلَهُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى تَرْكَهُمْ، فَاسْتَطَاعَتْ القِيَادَةُ النَّبَوِيَّةُ إِخْرَاجَ المُسْلِمِينَ مِنَ الخِلَافِ وَمِنَ الأَثَرِ النَّفْسِيِّ الخَطِيرِ عَلَى الجُنْدِ، وَالَّذِي يَنْتُجُ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الأُمُورِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ رَجَعَ قَوْمٌ مِنَ الطَّرِيقِ، فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةٌ تَقُولُ نَقْتُلُهُمْ وَفِرْقَةٌ تَقُولُ لَا نَقْتُلُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ۝٨٨﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٨٨]» (١).

الاسْتِطْلَاعُ الحَرْبِيُّ بَعْدَ المَعْرَكَةِ:

بَعْدَ أَنِ انْسَحَبَ جَيْشُ المُشْرِكِينَ مِنْ أَرْضِ المَعْرَكَةِ أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه» بَعْدَ الغَزْوَةِ مُبَاشَرَةً، وَذَلِكَ لِمَعْرِفَةِ اتِّجَاهِ العَدُوِّ، وَلِتَفَادِي أَيِّ خَطَرٍ أَوْ مُفَاجَأَةٍ، وَقَالَ لَهُ: «**اخرجْ فِي آثَارِ الْقَوْمِ، فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَمَا يُرِيدُونَ فَإِنْ كَانُوا قَدْ جَنَّبُوا الْخَيْلَ وَامْتَطَوْا الْإِبلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ، وَإِنْ رَكِبُوا الْخَيْلَ وَسَاقُوا الْإِبلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْمَدِينَةَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ أَرَادُوهَا لَأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ فِيهَا، ثُمّ لَأُنَاجِزَنّهُمْ**»، قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: فَخَرَجْت فِي آثَارِهِمْ أَنْظُرُ مَاذَا يَصْنَعُونَ فَجَنّبُوا الْخَيْلَ وَامْتَطَوْا الْإِبلَ وَوَجّهُوا إِلَى مَكّةَ(٢)

قُدْرَةُ القِيَادَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى التَّعْبِئَةِ السَّرِيعَةِ:

قَالَ «ابْنُ إِسْحَاقَ»: «وَكَانَ يَوْمُ أُحُدٍ يَوْمَ السَّبْتِ لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ، فَلَمَّا كَانَ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٤٠٥٠) كِتَابُ المَغَازِي–بَابُ غَزْوَةِ أُحُدٍ.

(٢) رَوَاهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالوَاقِدِيُّ فِي المَغَازِي (٢٩٨/١) غَيْرَ أَنَّهُ عَزَا أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ بَدَلًا مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه.

الْغَدُ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ لِستَّ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَوَّالٍ، أَذَّنَ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ بِطَلَبِ الْعَدُوِّ، فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُهُ أَنْ لَا يَخْرُجَنَّ مَعَنَا أَحَدٌ إِلَّا أَحَدٌ حَضَرَ يَوْمَنَا بِالْأَمْسِ» (١).

فَاسْتَطَاعَتِ القِيَادَةُ النَّبَوِيَّةُ التَّعْبِئَةَ خِلَالَ يَوْمٍ وَاحِدٍ رُغْمَ التَّأْثِيرَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَالمَادِّيَّةِ نَتِيجَةَ المَعْرَكَةِ.

مَنْعُ قُوَّاتِ العَدُوِّ مِنَ الرُّجُوعِ لِتَحْقِيقِ مَا عَجَزَتْ عَنْهُ «غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الأَسَدِ»:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا انْصَرَفَ أَبُو سُفْيَانَ وَالْمُشْرِكُونَ عَنْ أُحُدٍ، وَبَلَغُوا الرَّوْحَاءَ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمْ، وَلَا الْكَوَاعِبَ أَرْدَفْتُمْ، شَرٌّ مَا صَنَعْتُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَنَدَبَ النَّاسَ فَانْتَدَبُوا حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الْأَسَدِ أَوْ بِئْرَ أَبِي عِيَيْنَةَ»(٢).

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٧٢].

، قَالَتْ لِعُرْوَةَ: «يَا ابْنَ أُخْتِي كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمُ، الزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: «**مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ؟**»، فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ»(٣).

السير إِلَى حَمْرَاءِ الأَسَدِ وَاسْتِخْدَامِ الحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ بِوَجْهَيْنِ:

أ.**الإِيهَامُ وَالخُدْعَةُ:** حَيْثُ أَمَرَ ﷺ بِإِشْعَالِ النِّيرَانِ، فَكَانُوا يُشْعِلُونَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ

---

(١) رَوَاهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ (٢/١٠١).

(٢) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي المُعْجَمِ الكَبِيرِ (١١٦٣٢)، وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعِ الفَوَائِدِ (٦/١٢١): «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، غَيْرُ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ الجَوَّازِ، وَهُوَ ثِقَةٌ».

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٤٠٧٧) كِتَابُ المَغَازِي–بَابُ ﴿**الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [آلِ عِمْرَانَ].

خَمْسمِائَةَ نَارٍ، قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: «فَلَقَدْ كُنَّا تِلْكَ اللَّيَالِيَ نُوقِدُ خَمْسَمِائَةِ نَارٍ حَتَّى تُرَى مِنَ الْمَكَانِ الْبَعِيدِ، وَذَهَبَ ذِكْرُ مُعَسْكَرِنَا وَنِيرَانِنَا فِي كُلِّ وَجْهٍ، حَتَّى كَانَ مِمَّا كَبَتَ اللهُ تَعَالَى عَدُوَّنَا»(١).

ب.بَثُّ الشَّائِعَاتِ فِي صُفُوفِ العَدُوِّ: عَنِ ابْنِ إِسْحَقَ «أَنَّ مَعْبَدًا الْخُزَاعِيَّ مَرَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ، وَكَانَتْ خُزَاعَةُ مُسْلِمُهُمْ وَمُشْرِكُهُمْ عَيْبَةَ نُصْحٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِتِهَامَةَ، صَفْقُهُمْ مَعَهُ، لَا يُخْفُونَ عَلَيْهِ شَيْئًا كَانَ بِهَا، فَقَالَ مَعْبَدٌ -وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ-: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَكَ فِي أَصْحَابِكَ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّ اللهَ ﷻ عَافَاكَ فِيهِمْ، ثُمَّ خَرَجَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ حَتَّى لَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ بِالرَّوْحَاءِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا بِالرَّجْعَةِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَقَالُوا: أَصَبْنَا حَدَّ أَصْحَابِهِمْ وَقَادَتِهِمْ وَأَشْرَافِهِمْ، ثُمَّ رَجَعْنَا قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ، لَنَكُرَّنَّ عَلَى بَقِيَّتِهِمْ فَلَنَفْرُغَنَّ مِنْهُمْ. فَلَمَّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ مَعْبَدًا قَالَ: مَا وَرَاءَكَ يَا مَعْبَدُ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرَ لَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرُّقًا، قَدِ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا، فِيهِمْ مِنَ الْحَنَقِ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، فَقَالَ: وَيْلَكَ مَا تَقُولُ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا أَرَى أَنْ تَرْتَحِلَ حَتَّى تَرَى نَوَاصِيَ الْخَيْلِ، قَالَ: فَوَاللهِ لَقَدْ أَجْمَعْنَا عَلَى الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ. قَالَ: فَإِنِّي أَنْهَاكَ عَنْ ذَلِكَ، فَوَاللهِ لَقَدْ حَمَلَنِي مَا رَأَيْتُ عَلَى أَنْ قُلْتُ فِيهِ أَبْيَاتًا مِنْ شِعْرٍ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَمَاذَا قُلْتَ؟ قَالَ مَعْبَدٌ: قُلْتُ:

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي * إِذْ سَالَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ

ثُمَّ ذَكَرَ سَائِرَ الْأَبْيَاتِ فِي جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: فَثَنَى ذَلِكَ أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ، وَمَرَّ رَكْبٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَيْنَ تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: الْمَدِينَةَ، قَالَ: وَلِمَ؟

(١) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/٣٣٨).

قَالُوا: نُرِيدُ الْمِيرَةَ، فَقَالَ: أَمَا أَنْتُمْ مُبَلِّغُونَ عَنِّي مُحَمَّدًا ﷺ رِسَالَةً أُرْسِلُكُمْ بِهَا إِلَيْهِ، وَأَحْمِلُ عَلَى إِبِلِكُمْ هَذِهِ زَبِيبًا بِعُكَاظَ غَدًا إِذَا وَافَيْتُمُوهَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَقَالَ: فَإِذَا جِئْتُمُوهُ فَأَخْبِرُوهُ أَنَّا قَدْ أَجْمَعْنَا الرَّجْعَةَ إِلَى أَصْحَابِهِ لِنَسْتَأْصِلَهُمْ، فَلَمَّا مَرَّ الرَّكْبُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ فَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو سُفْيَانَ وَأَمَرَهُمْ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ: «**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ فِي أُولَئِكَ الرَّهْطِ وَقَوْلِهِمْ وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [سُورَةُ آل عمران:١٧٢-١٧٣]، يَعْنِي: هَؤُلَاءِ النَّفَرَ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [سُورَةُ آل عمران:١٧٤]، لِمَا صَرَفَ اللهُ عَنْهُمْ مِنْ لِقَاءِ عَدُوِّهِمْ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ فِي اسْتِجَابَتِهِمْ»(١).

❖ المَعْرَكَةُ ضِمْنَ مَعَايِيرِ النَّصْرِ وَالهَزِيمَةِ:

إِنَّ الْتِفَافَ قُوَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ، وَالَّتِي تَبْلُغُ خَمْسَةَ أَمْثَالِ قُوَّةِ خُصُومِهَا، مِنْ كُلِّ الجَوَانِبِ، تَكُونُ نَتَائِجُهُ العَسْكَرِيَّةُ هِيَ:

القَضَاءُ السَّاحِقُ المُبْرَمُ عَلَى كُلِّ قُوَّاتِ الخَصْمِ، وَمَعَ ذَلِكَ نَجَتْ تِلْكَ القُوَّةُ الصَّغِيرَةُ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْ خَسَائِرَ بَلَغَتْ ١٠% فَقَطْ مِنْ مَوْجُودِهَا، فَلَا يُعَدُّ هَذَا الأَمْرُ بِالحِسَابَاتِ العَسْكَرِيَّةِ إِلَّا انْتِصَارًا لِتِلْكَ القُوَّةِ الصَّغِيرَةِ بِدُونِ أَدْنَى شَكٍّ، وَبِالمُقَابِلِ فَإِنَّ النَّصْرَ الَّذِي حَقَّقَتْهُ القُوَّةُ الكَبِيرَةُ مَا هُوَ إِلَّا نَصْرٌ زَائِفٌ عَسْكَرِيًّا.

---

(١) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٣/٣١٥).

لَقَدِ اسْتَطَاعَ القَائِدُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ أنْ يَشُقَّ طَرِيقَهُ بَيْنَ القُوَّاتِ المُحِيطَةِ بِهِ، وَأنْ يُخَلِّصَ تِسْعَةَ أعْشَارِ قُوَّاتِهِ مِنْ فَنَاءٍ أكِيدٍ.

غزوة حمراء الأَسَد

١٦ شوال ٣ هـ



البَابُ الخَامِسُ

سَرِيَّةُ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ إِلَى قَطَنٍ[1]، إِلَى بَنِي أَسَدٍ

مُحَرَّم عَلَى رَأْسِ خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا مِنَ الهِجْرَةِ

❖ سَبَبُ الغَزْوَةِ:

بَعْدَ أَنْ هُزِمَ المُسْلِمُونَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ بِقُرَابَةِ الشَّهْرَيْن ، بَدَأَ بَنُو أَسَدٍ بِالاسْتِعْدَادِ لِلتَّوَجُّهِ نَحْوَ «المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ»، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَامَ طَلْحَةُ وَسَلَمَةُ ابْنَي خُوَيْلِد بِتَحْرِيض قَوْمَهُمَا عَلَى غَزْوِ المُسْلِمِين؛ فَمِنَ المَعْرُوفِ عَسْكَرِيًّا أَنَّ مِنْ أَفْضَلِ الأُمُورِ الَّتِي تُرَجِّحُ كِفَّةَ النَّصْرِ عَلَى الأَعْدَاءِ أَنْ تَضْرِبَ عُقْرَ دَارِ القَوْمِ الَّذِينَ هُزِمُوا مِنْ قَرِيبٍ؛ فَصُفُوفِهِمْ مُشَتَّتَةٌ وَمَعْنَوِيَّاتُهُمْ مُنْهَارَةٌ وَاقْتِصَادُهُمْ مُتَضَرِّرٌ ...إلخ.

«وَقَالُوا: نَسِيرُ إِلَى مُحَمَّدٍ فِي عُقْرِ دَارِهِ، وَنُصِيبُ مِنْ أَطْرَافِهِ، فإِنَّ لَهُمْ سَرْحًا يَرْعَى جَوَانِبَ المَدِينَةِ، وَتَخْرُجُ عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ، فَقَدْ أَرْبَعْنَا خَيْلَنَا، وَنَخْرُجُ عَلَى النَّجَائِبِ الْمَخْبُورَةِ، فَإِنْ أَصَبْنَا نَهْبًا لَمْ نُدْرَك، وَإِنْ لَاقَيْنَا جَمْعَهُمْ كُنَّا قَدْ أَخَذْنَا لِلْحَرْبِ عُدَّتَهَا، مَعَنَا خَيْلٌ وَلَا خَيْلَ مَعَهُمْ، وَمَعَنَا نَجَائِبُ أَمْثَالُ الْخَيْلِ، وَالْقَوْمُ مَنْكُوبُونَ قَدْ أَوْقَعَتْ بِهِمْ قُرَيْشٌ حَدِيثًا، فَهُمْ لَا يَسْتَبِلُّونَ دَهْرًا، وَلَا يَثُوبُ لَهُمْ جَمْعٌ»[2].

❖ قَبْلَ الغَزْوَةِ:

وَصَلَ الخَبَرُ لِلقِيَادَةِ النَّبَوِيَّةِ بِوَاسِطَةِ العُيُونِ المُنْبَثَّةِ فِي الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ، عَنِ الاسْتِعْدَادَاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا «بَنُو أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ لِغَزْوِ المَدِينَةِ.

---

(١) قَطَنٌ: جَبَلٌ بِنَاحِيَةِ فَيْدٍ، بِهِ مَاءٌ لِبَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ.

(٢) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/٣٤٢).

❖ التَّوْجِيهَاتُ النَّبَوِيَّةُ العَسْكَرِيَّةُ:

«قَرَّرَ النَّبِيُّ ﷺ إرْسَالَ دَوْرِيَّةَ قِتَالٍ بِقُوَّةِ مَائَةٍ وَخَمْسِينَ مُسْلِمًا مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأنْصَارِ، بَيْنَ رَاكِبٍ وَرَاجِلٍ، فِيهِمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، بِقِيَادَةِ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الأَسَدِ رضي الله عنه لِلقَضَاءِ عَلَى بَنِي أَسَدٍ قَبْلَ قِيَامِهِمْ بِغَزْوِ المَدِينَةِ، وَأَمَرَهُمْ بِالسَّيْرِ لَيْلًا وَالاسْتِخْفَاءِ نَهَارًا وَسُلُوكِ طَرِيقٍ غَيْرِ مَطْرُوقَةٍ»[1]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِسَلَمَةَ رضي الله عنه: «**سِرْ حَتَّى تَرِدَ أَرْضَ بَنِي أَسَدٍ، فَأَغِرْ عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ تَلَاقَى عَلَيْكَ جُمُوعُهُمْ**». وَأَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا [2].

لَقَدْ تَمَيَّزَتْ الأَوَامِرُ العَسْكَرِيَّةُ النَّبَوِيَّةُ بِالعَبْقَرِيَّةِ وَالفِطْنَةِ وَسُرْعَةِ اتِّخَاذِ التَّدَابِيرِ اللَّازِمَةِ، وَاعْتَمَدَتْ عَلَى رُكْنٍ أَسَاسِيٍّ فِي نَجَاحِ العَمَلِ العَسْكَرِيِّ، وَهِيَ المُبَاغَتَةُ وَالمُفَاجَأَةُ، وَتَمَثَّلَ ذَلِكَ فِيمَا يَلِي:

١. الحِرْصُ عَلَى سِرِّيَّةِ تَحَرُّكَاتِ القُوَّاتِ.
٢. السُّرْعَةُ فِي الحَرَكَةِ حَتَّى لَا تَضِيعَ فُرْصَةُ المُبَادَرَةِ.
٣. اخْتِيَارُ الوَقْتِ المُنَاسِبِ وَسَاعَةِ الغَفْلَةِ لِلعَدُوِّ، وَهِيَ اللَّيْلُ وَبِدَايَةُ الفَجْرِ.

❖ مَرْحَلَةُ التَّنْفِيذِ:

خَرَجَ «أَبُو سَلَمَةَ رضي الله عنه» فِي أَصْحَابِهِ وَأَخْرَجَ مَعَهُ دَلِيلًا، فَأَسْرَعُوا السَّيْرَ؛ تَنْفِيذًا لِأَوَامِرِ القِيَادَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَابْتَعَدُوا عَنْ كُلِّ الطُّرُقِ الرَّئِيسِيَّةِ وَالمَعْرُوفَةِ وَالمَطْرُوقَةِ، فَسَبَقُوا الأَخْبَارَ، وَحِينَ وَصَلُوا إِلَى مَنْطِقَةِ «قَطَنٍ» - مَاءٌ مِنْ مِيَاهِ بَنِي أَسَدٍ-، وَكَانَتْ نُقْطَةَ التَّجَمُّعِ لِقُوَّاتِ العَدُوِّ، فَوَجَدُوا قُطْعَانًا مِنَ السَّرْحِ، فَأَغَارُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا رِعَاءً لَهُمْ، مَمَالِيكَ ثَلَاثَةً، وَتَفَرَّقَ الجَمْعُفِي كُلِّ وِجْهٍ، فَعَسْكَرَ وَفَرَّقَ أَصْحَابَهُ فِي

---

(١) الرَّسُولُ القَائِدُ (ص٢٠٣).

(٢) المَغَازِي لِلوَاقِدِيِّ (١/٣٤١)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٣/٣٢٠).

طَلَبِ النَّعَمِ وَالشَّـــاءِ، فَجَعَلَهُمْ ثَلَاثَ فِرَقٍ، فِرْقَةٌ أَقَامَتْ مَعَهُ، وَفِرْقَتَانِ أَغَارَتَا فِي نَاحِيَتَيْنِ شَــتَّى، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِمَا أَلَّا يُمْعِنُوا فِي طَلَبٍ، وَأَلَّا يَبِيتُوا إِلَّا عِنْدَهُ إِنْ سَــلِمُوا، وَأَمَرَهُمْ أَلَّا يَفْتَرِقُوا، وَاسْـتَعْمَلَ عَلَى كُلِّ فِرْقَةٍ عَامِلًا مِنْهُمْ(١). وَعَادَ «أَبُو سَـلَمَةَ رضي الله عنه» بِقُوَّتِهِ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ بَعْدَ أَنْ أَنْجَزَ مُهِمَّتَهُ.

دِرَاسَةٌ مُوجَزَةٌ لِأَهَمِّ الأُمُورِ المُسْتَفَادَةِ مِنْ هَذِهِ السَّرِيَّةِ:

وَنُلَاحِظُ فِي هَذِهِ السَّــرِيَّةِ الدِّقَّةَ فِي التَّخْطِيطِ الحَرْبِيِّ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، حَيْثُ فَرَّقَ أَعْدَاءَهُ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعُوا، فَذُهِلُوا لِمَجِيءِ سَــرِيَّةِ «أَبِي سَــلَمَةَ رضي الله عنه»، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ المُسْـلِمِينَ قَدْ أَضْـعَفَتْهُمْ وَقْعَةُ «أُحُدٍ» وَأَذْهَلَتْهُمْ عَنْ أَنْفُسِـهِمْ، فَكَانَتْ مُشَـتَّتَةً لِأَوْهَامِ المُشْـرِكِينَ وَأَطْمَاعِهِمْ، فَأَوْهَنَتْ عَزِيمَتَهُمْ، وَجَعَلَتْهُمْ يَنْشَـغِلُونَ بِأَنْفُسِـهِمْ عَنْ مُهَاجَمَةِ المَدِينَةِ.

وَتَظْهَرُ دِقَّةُ المُسْلِمِينَ فِي الرَّصْدِ الحَرْبِيِّ، وَاخْتِيَارِهِمُ التَّوْقِيتَ الصَّحِيحَ وَالطَّرِيقَ المُنَاسِـــبَ، حَيْثُ وَصَـــلُوا إِلَى الأَعْدَاءِ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا عَنْهُمْ أَيَّ شَـــيْءٍ رُغْمَ بُعْدِ المَسَافَةِ، وَكَانَ هَذَا هُوَ أَهَمُّ عَوَامِلِ نَجَاحِ المُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ. وَقَدْ تَرَكَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةِ فِي نُفُوسِ الأَعْدَاءِ شُعُورًا شَدِيدَ الوَقْعِ عَلَى مَعْنَوِيَّاتِهِمْ، أَلَا وَهُوَ قَنَاعَتُهُمْ بِقُدْرَةِ المُسْـلِمِينَ عَلَى الاسْـتِخْفَاءِ وَالقِيَامِ بِالحُرُوبِ الخَاطِفَةِ المُفَاجِئَةِ، الأَمْرَ الَّذِي يَجْعَلُهُمْ يَمْتَلِؤُونَ رُعْبًا مِنْهُمْ وَيَتَوَقَّعُونَ الإِغَارَةَ فِي أَيِّ وَقْتٍ، وَهَذَا الشُّـــعُورُ حَمَلَهُمْ عَلَى الاعْتِرَافِ بِقُوَّةِ المُسْلِمِينَ، وَمُسَالَمَتِهِمْ.



(١) المَغَازِي لِلوَاقِدِيِّ (٣٤٣/١).

البَابُ السَّادِسُ

حُرُوبُ التَّأْدِيبِ

١. غَزْوَةُ «بَنِي لِحْيَان» في (رَبِيعُ الأَوَّلِ أَوْ جُمَادَى الأُولَى، سَنَةَ ٦ هـ):

❖ سَبَبُ الغَزْوَةِ:

١. تَأْدِيبُ «بَنِي لَحْيَان»، الَّذِينَ غَدَرُوا بِخُبَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ يَوْمَ الرَّجِيعِ، وَأَخْذُ ثَأْرِ الشُّهَدَاءِ، فَقَدْ وَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى «عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ» وَأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم وَجْدًا وَحُزْنًا شَدِيدًا.

٢. تَوْجِيهُ رِسَالَةٍ وَاضِحَةٍ لِقَبَائِلِ المَنْطِقَةِ، وَالتَّأْثِيرُ عَلَى مَعْنَوِيَّاتِهِمْ، وَتَلْقِينُ دَرْسٍ عَمَلِيٍّ لِكُلِّ مَنْ تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ الغَدْرَ بِالمُسْلِمِينَ.

❖ خُطَّةُ المَسِيرِ:

فَقَدِ اعْتَمَدَ النَّبِيُّ ﷺ كَعَادَتِهِ فِي تَحَرُّكِ قُوَّاتِهِ عَلَى السِّرِّيَّةِ التَّامَّةِ، مُعْتَمِدًا عَلَى ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

١. السَّيْرُ فِي اللَّيْلِ وَالكُمُونُ فِي النَّهَارِ وَسَلْكُ طُرُقٍ غَيْرِ مَطْرُوقَةٍ.
٢. إِخْفَاءُ الجِهَةِ المَنْشُودَةِ عَنِ الجُنْدِ.
٣. التَّوْرِيَةُ فِي السَّيْرِ، بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الجِهَةِ المُغَايِرَةِ لِجِهَةِ العَدُوِّ.
٤. تَصْحِيحُ مَسَارِ القُوَّاتِ فِي اللَّيْلِ نَحْوَ الجِهَةِ المَطْلُوبَةِ.
٥. الإِسْرَاعُ بِالمَسِيرِ فِي اللَّيْلِ لِسَبْقِ الأَخْبَارِ.

❖ تَحَرُّكُ قُوَّاتِ المُسْلِمِينَ:

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مِئَتَيْ رَجُلٍ وَمَعَهُمْ عِشْرُونَ فَرَسًا فِي أَصْحَابِهِ، واسْتَخْلَفَ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ.

فَاتَّجَهَ ﷺ بِجَيْشِهِ نَحْوَ الشَّمَالِ بِعُمْقِ عِشْرِينَ مِيلًا، رُغْمَ أَنَّ مَنَازِلَ «بَنِي لِحْيَانَ» فِي أَقْصَى الجَنُوبِ، «فَنَزَلَ بِمَضْرِبِ الْقُبَّةِ مِنْ نَاحِيَةِ الْجُرْفِ، فَعَسْكَرَ فِي أَوَّلِ نَهَارِهِ وَهُوَ يُظْهِرُ أَنَّهُ يُرِيدُ الشَّامَ[1]، ثُمَّ رَاحَ مُبْرِدًا فَمَرَّ عَلَى غُرَابَات[2]، ثُمَّ عَلَى بِيْنَ[3]، حَتَّى خَرَجَ عَلَى صُخَيْرَاتِ الثُّمَامِ، فَلَقِيَ الطَّرِيقَ هُنَاكَ»[4].

وَكَانَ تَغْيِيرُ خَطِّ سَيْرِهِ مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الجَنُوبِ عِنْدَ مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ «البَتْرَاء»، فَفِي ذَلِكَ المَكَانِ عَطَفَ بِجَيْشِهِ نَحْوَ الغَرْبِ حَتَّى اسْتَقَامَ عَلَى الجَادَّةِ مُنْصَبًّا نَحْوَ الجَنُوبِ، «وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَطْنِ غُرَانَ حَيْثُ كَانَ الغَدْرُ بِالمُسْلِمِينَ، فَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: «**هَنِيئًا لَكُمُ الشَّهَادَةُ!**»[5]، «وَقَدْ كَانَتْ «بَنُو لَحْيَان» عَلَى غَايَةِ التَّيَقُّظِ وَالانْتِبَاهِ، وَقَدْ بَثَّتِ الأَرْصَادَ وَالجَوَاسِيسَ فِي الطُّرُقِ لِيَتَحَسَّسُوا لَهَا وَيَتَجَسَّسُوا»[6] بَعْدَ غَدْرِهِمْ بِالمُسْلِمِينَ، وَلِمَا عَرَفُوا بِسِيَاسَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ انْتِقَامِهِ مِنَ الغَادِرِينَ. فَلَمَّا سَمِعَتْ بِذَلِكَ «لِحْيَانُ» هَرَبُوا فِي رُؤُوسِ الجِبَالِ، فَلَمْ يَظْفَرُوا بِأَحَدٍ، فَأَقَامَ ﷺ فِي دِيَارِهِمْ يَوْمَيْنِ لِإِرْهَابِهِمْ وَتَحَدِّيهِمْ، وَلِيُظْهِرَ لِلأَعْدَاءِ مَدَى قُوَّةِ المُسْلِمِينَ

---

(١) وَحَتَّى أَصْحَابُهُ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ «بَنِي لَحْيَانَ» إِلَّاعِنْدَمَا انْحَرَفَ بِهِمْ نَحْوَ الجَنُوبِ.

(٢) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ (): «قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَسَلَكَ عَلَى غُرَابٍ، جَبَلٍ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ عَلَى طَرِيقِهِ إِلَى الشَّامِ».

(٣) قَالَ أَبُو عُبَيْد البَكْرِيّ الأَنْدَلُسِي فِي مُعْجَمِ مَا اسْتُعْجِمَ مِنَ أَسْمَاءِ البِلَادِ وَالمَوَاضِعِ (٢٩٧/١): «وَبَيْنٌ أَيْضًا: قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى المَدِينَةِ، تَقْرُبُ مِنَ السَّيَّالَةِ».

(٤) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٥٣٦/٢).

(٥) المَصْدَرُ السَّابِقُ بِتَمَامِهِ.

(٦) مُتْعَةُ الأَنْظَارِ فِي شَرْحِ مَسْرَحِ الأَفْكَارِ بِسِيرَةِ النَّبِيِّ المُخْتَارِ (٧٣٢/٢).

وَثِقَتِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ، وَقُدْرَتِهِمْ عَلَى الحَرَكَةِ حَتَّى إِلَى قَلْبِ دِيَارِ العَدُوِّ مَتَى شَاؤُوا، وَبَعَثَ السَّرَايَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا.

❖ العَمَلُ عَلَى تَحْقِيقِ أَكْبَرِ قَدْرٍ مِنَ المَكَاسِبِ:

«رَأَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَغْتَنِمَ فُرْصَةَ وُجُودِهِ بِجَيْشِهِ قَرِيبًا مِنْ مَكَّةَ، فَقَرَّرَ أَنْ يَقُومَ بِمُنَاوَرَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ يُرْهِبُ بِهَا المُشْرِكِينَ فِي مَكَّةَ»[1]، «ثُمَّ خَرَجَ حَتّى أَتَى عُسْفَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «**إِنَّ قُرَيْشًا قَدْ بَلَغَهُمْ مَسِيرِي، وَأَنِّي قَدْ وَرَدْتُ عُسْفَانَ، وَهُمْ يَهَابُونَ أَنْ آتِيَهُمْ، فَاخْرُجْ فِي عَشَرَةِ فَوَارِسَ**». فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فِيهِمْ حَتّى أَتَوْا الْغَمِيمَ. ثُمّ رَجَعَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَلْقَ أَحَدًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ هَذَا يَبْلُغُ قُرَيْشًا فَيَذْعَرُهُمْ، وَيَخَافُونَ أَنْ نَكُونَ نُرِيدُهُمْ**»، وَخُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ يَوْمَئِذٍ فِي أَيْدِيهِمْ» [2].

«فَسَمِعَتْ قُرَيْشٌ بِذَلِك، فَظَنَّتْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَنْوِي غَزْوَهَا، فَانْتَابَهَا الخَوْفُ، وَسَادَ صُفُوفَهَا الذُّعْرُ» [3]، وَهَذَا هُوَ الَّذِي هَدَفَ إِلَيْهِ النَّبِيّ ﷺ بِهَذِهِ الحَرَكَةِ الَّتِي كَلَّفَ الصِّدّيقَ أَنْ يَقُومَ بِهَا.

وَغَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْمَدِينَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً [4].

---

(١) المَصْدَرُ السَّابِقُ بِتَمَامِهِ.

(٢) المغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢/٥٣٦).

(٣) مِنْ سِلْسِلَةِ مَقَالَاتٍ بِعُنْوَانِ «مِنْ بَدْرٍ إِلَى الحُدَيْبِيَةِ» عَلَى مَوْقِعِ إِسْلَام وِيب الإِلِيكْتُرُونِيّ.

(٤) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢/٥٣٥).



غزوة بني لِحْيَان
ربيع الأوَّل ٦ هـ
أذرح
معان
إلى مؤتة
العقبة (أيلة)
دُومَة الجندل
صحراء النفـــود الكبرى
سيناء
تبوك
مدين
تيماء
مويلح
ضبا
مدائن صالح (الحجر)
العُلا
ذات الرقاع
الوجه
بحر القلزم (الأحمر)
نجد
ذي أمر
خيبر
فَدَك
الحجـــاز
وادي القرى
مصر
أُحد
بنو لحيان
بواط
المدينة المنورة
العُشيرة
ينبع
بدر
بنو سُلَيم
بنو قريظة
النُّوبة
رابغ
الحديبية
جُدَّة
مكة المكرمة
حنين
الطائف

٢.غَزْوَةُ القُرْطَاء (العَاشِرْ مِن مُحَرَّم سَنَةَ ٦هـ):

بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ محمد بن مَسْلَمَةَ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا، إِلَى بَنِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ، وَأَمَرَهُ بِالمُحَافَظَة عَلى سِرّية تحرُّكِ القُوَّاتِ بِأَنْ يَسِيرَ اللَّيْلَ وَيَكْمُنَ النّهَارَ، وَأَنْ يُبَاغِتَهُمْ وَيَشُنَّ عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ. فَكَانَ مُحَمَّدٌ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَوْضِعٍ يُطْلِعُهُ عَلَى بَنِي بَكْرٍ بَعَثَ لِلاسْتِطْلَاعِ عَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ إِلَيْهِمْ، فَأَوْفَى عَلَى الْحَاضِرِ فَأَقَامَ، فَلَمَّا رَوَّحُوا مَاشِيَتَهُمْ وَحَلَبُوا وَعَطَّنُوا[1] جَاءَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فَأَخْبَرَهُ، فَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَشَنَّ عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ عَشَرَةً، وَاسْتَاقُوا النَّعَمَ وَالشَّاءَ، ثُمَّ انْحَدَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ[2]، وَفِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِمْ أَسَرُوا ثُمَامَةَ بْنَ أُثَالٍ الحَنَفِيَّ سَيِّدَ بَنِي حَنِيفَةَ، كَانَ قَدْ خَرَجَ مُتَنَكِّرًا لِاغْتِيَالِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَمْرِ مُسَيْلَمَةِ الكَذَّابِ، فَأَخَذَهُ المُسْلِمُونَ، فَلَمَّا جَاؤُوا بِهِ رَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ.

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «**مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**»، قَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ، قَالَ لَهُ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**»، قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**»، فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ

---

(١) قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ فِي لِسَانِ العَرَبِ (١٣/٢٨٦): «وَعَطَنَتِ الإِبلُ عَنِ المَاءِ تَعْطِنُ وَتَعْطُنُ عُطُونًا، فَهِيَ عَواطِنُ وَعُطُونٌ إِذَا رَوِيَتْ ثُمَّ بَرَكَتْ، فَهِيَ إِبِلٌ عَاطِنَةٌ وَعَوَاطِنُ، وَلَا يُقَالُ إِبلٌ عُطَّانٌ. وَعَطَّنتْ أَيْضًا وَأَعْطَنَها: سَقَاهَا ثُمَّ أَنَاخَهَا وَحَبَسَهَا عِنْدَ الْمَاءِ فَبَرَكَتْ بَعْدَ الْوُرُودِ لِتَعُودَ فَتَشْرَبَ».

(٢) انْظُرْ المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢/٥٣٤-٥٣٥).

عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**انْطَلِقُوا بِثُمَامَةَ**»، فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى وَجْهُ الْأَرْضِ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وْوَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟. فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَأْتَ، فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا وَاللهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ»(١).

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٤٣٧٢) كِتَابُ المَغَازِي–بَابُ وَفْدِ بَنِي حَنِيفَةَ، وَحَدِيث ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ.

سـريـة

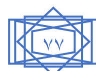
محمد بن مسلمة الأنصاري

(القُرَطـاء)

بطن من بطون بكر بن كلاب

البكرات بناحية ضريّة ـ نجد

١٠ المحرَّم ٦ هـ



البَابُ السَّابِعُ
العَمَلِيَّاتُ الخَاصَّةُ

❖ مُقَدِّمَةٌ:

قَالَ «الوَاقِدِيُّ»: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَأَهْلُهَا أَخْلَاطٌ، مِنْهُمْ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ تَجْمَعُهُمْ دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ، فِيهِمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ وَالْحُصُونِ، وَمِنْهُمْ حُلَفَاءُ لِلْحَيَّيْنِ جَمِيعًا الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ. فَأَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ اسْتِصْلَاحَهُمْ كُلِّهِمْ وَمُوَادَعَتَهُمْ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَكُونُ مُسْلِمًا وَأَبُوهُ مُشْرِكًا.

فَكَانَ الْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ أَذًى شَدِيدًا، فَأَمَرَ اللهُ ﷻ نَبِيَّهُ وَالْمُسْلِمِينَ بِالصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ وَالْعَفْوِ عَنْهُمْ، وَفِيهِمْ أُنْزِلَ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ١٨٦﴾ [سُورَةُ آل عمران:١٨٦].

وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠٩﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ:١٠٩]» (١).

«وَنَسَخَ كُلَّ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ

---

(١) المَغَازِي (١/١٨٤-١٨٥).

ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٖ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٢٩]، فَنَسَخَ هَذَا عَفْوَهُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، وَكَذَا قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ، إِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ، وَيُرْشِدُ إِلَى ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ تعالى:قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴿١٠٩﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٠٩]»(١).

وبَعْدَ مَعْرَكَةِ «بَدرٍ الكُبْرَى» بَدَأَ اسْتِخْدَامُ أُسْلُوبٍ عَسْكَرِيٍّ وَنَبَوِيٍّ جَدِيدٍ فِي الحَرْبِ ضِدَّ أَهْلِ الكُفْرِ، وَهُوَ أُسْلُوبُ «العَمَلِيَّاتِ الخَاصَّةِ».

وَالعَمَلِيَّاتُ الخَاصَّةُ: هِيَ القِيَامُ بِعَمَلٍ ذِي طَبِيعَةٍ مُعَيَّنَةٍ وَضِمْنَ ظُرُوفٍ خَاصَّةٍ لِتَدْمِيرِ أَهْدَافٍ ذَاتَ اسْتِرَاتِيجِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ، أَوِ القِيَامُ بِاغْتِيَالٍ لِشَخْصِيَّاتٍ مُؤَثِّرَةٍ فِي قِيَادَةِ القُوَى المُعَادِيَةِ، وَتَكُونُ غَالِبًا خَلْفَ خُطُوطِ العَدُوِّ، يَقُومُ بِهِ جُنُودٌ يَتَمَتَّعُونَ بِتَدْرِيبٍ خَاصٍّ وَصِفَاتٍ مَهَارِيَّةٍ وَقِتَالِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ تُخَوِّلُهُمْ تَنْفِيذَ أَخْطَرِ المَهَامِّ وَأَعْقَدِهَا.

وَمِنْهَا:

١. مَقْتَلُ «كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ»

قَالَ «ابْنُ هِشَامٍ»: «قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ: أَنَّهُ لَمَّا أُصِيبَ أَصْحَابُ بَدْرٍ، وَقَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ إِلَى أَهْلِ السَّافِلَةِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ

(١) تَفْسِيرُ القُرْآنِ العَظِيمِ (١/٢٦٥) [البَقَرَة:١٠٩-١١٠].

إِلَى أَهْلِ الْعَالِيَةِ بَشِيرِينَ بَعَثَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى مَنْ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِفَتْحِ اللهِ ﷻ عَلَيْهِ وَقَتْلُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

فلمَّا بَلغ ذلك كَعْبُ بْنُ الْأَشْـــرَفِ وَكَانَ رَجُلًا مِنْ طَـيِّءٍ، ثُمّ أَحَدَ بَنِي نَبْهَانَ، وَكَانَتْ أُمّهُ مِنْ بَنِي النّضِـــيرِ، فَقَال حِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ: أَحَقّ هَذَا؟ أَتَرَوْنَ مُحَمّدًا قَتَلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُسَـــمّي هَذَانِ الرّجُلَانِ يَعْنِي زَيْدًا وَعَبْد اللهِ بْنَ رَوَاحَة فَهَؤُلَاءِ أَشْـــرَافُ الْعَرَبِ وَمُلُوكُ النّاسِ، وَاللهِ لَئِنْ كَانَ مُحَمّدٌ أَصَـــابَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا.

فَلَمّا تَيَقَّنَ عَدُوُّ اللهِ الْخَبَرَ، خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَنَزَلَ عَلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ، وَجَعَلَ يُحَرّضُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيُنْشِدُ الْأَشْـعَارَ وَيَبْكِي أَصْـحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ، الَّذِينَ أُصِـــيبُوا بِبَدْرٍ... ثُمَّ رَجَعَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْـرَفِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَشَـبَّبَ بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى آذَاهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لِي بِابْنِ الْأَشْرَفِ؟**»، فَقَالَ لَهُ مُحَمّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ أَنَا لَك يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا أَقْتُلُهُ؟، قَالَ ﷺ: «**فَافْعَلْ إنْ قَدَرْت عَلَى ذَلِكَ**»، فَرَجَعَ مُحَمّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَمَكَثَ ثَلَاثًا لَايَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ إلّا مَا يُعْلِقُ بِهِ نَفْسَهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَدَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «**لِمَ تَرَكْت الطّعَامَ وَالشّرَابَ؟**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ قُلْت لَك قَوْلًا لَا أَدْرِي هَلْ أَفِيَنَّ لَك بِهِ أَمْ لَا؟، فَقَالَ: «**إنَّمَا عَلَيْك الْجَهْدُ**»؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إنّهُ لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَقُولَ. قَالَ: «**قُولُوا مَا بَدَا لَكُمْ فَأَنْتُمْ فِي حِلّ مِنْ ذَلِكَ**». فَاجْتَمَعَ فِي قَتْلِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْـلَمَةَ، وَسِـلْكَانُ بْنُ سَلَّامِ بْنِ وَقْشٍ، وَهُوَ أَبُو نَائِلَةَ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْـهَلِ، وَكَانَ أَخَا كَعْبِ بْنِ الْأَشْـرَفِ مِنْ الرَّضَـاعَةِ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْـرِ بْنِ وَقْشٍ، أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْـهَلِ، وَالْحَارِثُ مِنْ أَوْسِ بْنِ مُعَاذٍ، أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْـهَلِ، وَأَبُو عَبْسِ بْنِ جَبْرٍ أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ؛ ثُمَّ قَدَّمُوا إِلَى عَدُوِّ اللهِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْـرَفِ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ سَـلْكَانَ بْنَ سَـلَامَةَ [بْنِ وَقْشٍ] أَبَا نَائِلَةَ، فَجَاءَهُ فَتَحَدَّثَ مَعَهُ سَـاعَةً وَتَنَاشَـدُوا شِـعْرًا، وَكَانَ أَبُو نَائِلَةَ يَقُولُ الشِّـعْرَ ثُمَّ قَالَ:

وَيْحَك يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ إِنِّي قَدْ جِئْتُك لِحَاجَةٍ أُرِيدُ ذِكْرَهَا لَك، فَاكْتُمْ عَنِّي؛ قَالَ: افْعَلْ. قَالَ: كَانَ قُدُومُ هَذَا الرَّجُلِ عَلَيْنَا بَلَاءً مِنَ الْبَلَاءِ عَادَتْنَا بِهِ الْعَرَبُ، وَرَمَتْنَا عَنْ قَوْسٍ وَاحِدٍ وَقَطَعَتْ عَنَّا السُّبُلَ حَتَّى ضَاعَ الْعِيَالُ وَجَهِدَتْ الْأَنْفُسُ، وَأَصْبَحْنَا قَدْ جُهِدْنَا وَجُهِدَ عِيَالُنَا. فَقَالَ كَعْبٌ: أَنَا ابْنُ الْأَشْرَفِ، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْت أُخْبِرُك يَا ابْنَ سَلَامَةَ أَنَّ الْأَمْرَ سَيَصِيرُ إلَى مَا أَقُولُ. فَقَالَ لَهُ سَلْكَانُ: إنِّي قَدْ أَرَدْت أَنْ تَبِيعَنَا طَعَامًا وَنَرْهَنَك وَنُوثِقَ لَكَ، وَنُحْسِنَ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ: أَتَرْهَنُونَنِي أَبْنَاءَكُمْ؟ قَالَ: لَقَدْ أَرَدْت أَنْ تَفْضَحَنَا، إنَّ مَعِيَ أَصْحَابًا لِي عَلَى مِثْلِ رَأْيِي، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ آتِيَكَ بِهِمْ فَتَبِيعُهُمْ وَتُحْسِنُ فِي ذَلِكَ، وَنَرْهَنُكَ مِنَ الحَلْقَةِ مَا فِيهِ وَفَاءٌ. وَأَرَادَ سَلْكَانُ أَنْ لَا يُنْكِرَ السِّلَاحَ إذَا جَاءُوا بِهَا، قَالَ: إنَّ فِي الْحَلَقَةِ لَوَفَاءً. قَالَ: فَرَجَعَ سَلْكَانُ إلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ خَبَرَهُ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا السِّلَاحَ ثُمَّ يَنْطَلِقُوا فَيَجْتَمِعُوا إلَيْهِ، فَاجْتَمَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ...

ثُمَّ مَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، ثُمَّ وَجَّهَهُمْ فَقَالَ: «**انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللهِ، اللهُمَّ أَعِنْهُمْ**»، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى بَيْتِهِ وَهُوَ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، وَأَقْبَلُوا حَتَّى انْتَهَوْا إلَى حِصْنِهِ فَهَتَفَ بِهِ أَبُو نَائِلَةَ، وَكَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ فَوَثَبَ فِي مِلْحَفَتِهِ فَأَخَذَتْ امْرَأَتُهُ بِنَاحِيَتِهَا، وَقَالَتْ: إنَّك امْرِئٌ مُحَارِبٌ وَإِنَّ أَصْحَابَ الحَرْبِ لَا يَنْزِلُونَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ. قَالَ: إنَّهُ أَبُو نَائِلَةَ، لَوْ وَجَدَنِي نَائِمًا لَمَا أَيْقَظَنِي. فَقَالَتْ: وَاللهِ إنِّي لَأَعْرِفُ فِي صَوْتِهِ الشَّرَّ؟، قَالَ: يَقُولُ لَهَا كَعْبٌ: لَوْ يُدْعَى الْفَتَى لِطَعْنَةٍ لَأَجَابَ.

فَنَزَلَ فَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ سَاعَةً، وَحَدَّثُوا مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ لَكَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ أَنْ تَتَمَاشَى إلَى شِعْبِ الْعَجُوزِ، فَنَتَحَدَّثَ بِهِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ؟ قَالَ: إنْ شِئْتُمْ. فَخَرَجُوا يَتَمَاشَوْنَ، فَمَشَوْا سَاعَةً، ثُمَّ إنَّ أَبَا نَائِلَةَ شَامَ يَدَهُ فِي فَوْدِ رَأْسِهِ ثُمَّ شَمَّ يَدَهُ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ طِيبًا أَعْطَرَ قَطُّ، ثُمَّ مَشَى سَاعَةً، ثُمَّ عَادَ لِمِثْلِهَا حَتَّى اطْمَأَنَّ، ثُمَّ مَشَى

سَاعَةً، ثُمَّ عَادَ لِمِثْلِهَا، فَأَخَذَ بِفَوْدِ رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ: اضْرِبُوا عَدُوَّ اللهِ. فَضَرَبَهُ فَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أَسْيَافُهُمْ فَلَمْ تُغْنِ شَيْئًا.

قَالَ مُحَمّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: فَذَكَرْتُ مِغْوَلًا[1] فِي سَيْفِي، حِينَ رَأَيْتُ أَسْيَافَنَا لَا تُغْنِي شَيْئًا، فَأَخَذْتُهُ، وَقَدْ صَاحَ عَدُوُّ اللهِ صَيْحَةً لَمْ يَبْقَ حَوْلَنَا حِصْنٌ إلَّا وَقَدْ أُوقِدَتْ عَلَيْهِ نَارٌ، قَالَ: فَوَضَعْتُهُ فِي ثُنَّتِهِ[2] ثُمّ تَحَامَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغْتُ عَانَتَهُ، فَوَقَعَ عَدُوُّ اللهِ وَقَدْ أُصِيبَ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسِ بْنِ مُعَاذٍ فَجُرِحَ فِي رَأْسِهِ أَوْ فِي رِجْلِهِ، أَصَابَهُ بَعْضُ أَسْيَافِنَا. قَالَ فَخَرَجْنَا حَتَّى سَلَكْنَا عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، ثُمَّ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، ثُمَّ عَلَى بُعَاثٍ، حَتَّى أَسْنَدْنَا فِي حُرَّةِ الْعُرَيْضِ، وَقَدْ أَبْطَأَ عَلَيْنَا صَاحِبُنَا الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، وَنَزَفَ الدَّمَ، فَوَقَفْنَا لَهُ سَاعَةً، ثُمَّ أَتَانَا يَتْبَعُ آثَارَنَا. قَالَ: فَاحْتَمَلْنَاهُ، فَجِئْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ آخِرَ اللَّيْلِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَخَرَجَ إلَيْنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَتْلِ عَدُوِّ اللهِ وَتَفَلَ عَلَى جُرْحِ صَاحِبِنَا، فَرَجَعَ وَرَجَعْنَا إلَى أَهْلِنَا، فَأَصْبَحْنَا وَقَدْ خَافَتْ يَهُودُ لِوَقْعَتِنَا بِعَدُوِّ اللهِ، فَلَيْسَ بِهَا يَهُودِيٌّ إلَّا وَهُوَ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ»[3].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ**»، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: ائْذَنْ لِي، فَلْأَقُلْ، قَالَ: «**قُلْ**»، فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: وَذَكَرَ مَا بَيْنَهُمَا، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً، وَقَدْ عَنَّانَا، فَلَمَّا سَمِعَهُ قَالَ: وَأَيْضًا وَاللهِ، لَتَمَلُّنَّهُ، قَالَ: إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ الْآنَ، وَنَكْرَهُ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ، قَالَ: وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تُسْلِفَنِي سَلَفًا، قَالَ: فَمَا تَرْهَنُنِي؟ قَالَ: مَا تُرِيدُ؟ قَالَ: تَرْهَنُنِي نِسَاءَكُمْ، قَالَ: أَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ، أَنَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا؟ قَالَ لَهُ: تَرْهَنُونِي أَوْلَادَكُمْ،

---

(١) المِغْوَلُ: السِّكِّينُ الَّتِي تَكُونُ فِي السَّوْطِ.

(٢) الثُّنَّةُ: مَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالعَانَةِ.

(٣) السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ (٢/٥٧).

قَالَ: يُسَبُّ ابْنُ أَحَدِنَا، فَيُقَالُ: رُهِنَ فِي وَسْقَيْنِ مِنْ تَمْرٍ، وَلَكِنْ نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ – يَعْنِي السِّلَاحَ –، قَالَ: فَنَعَمْ، وَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْحَارِثِ، وَأَبِي عَبْسِ بْنِ جَبْرٍ، وَعَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ، قَالَ: فَجَاءُوا فَدَعَوْهُ لَيْلًا، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ صَوْتُ دَمٍ، قَالَ: إِنَّمَا هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَرَضِيعُهُ، وَأَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ لَيْلًا لَأَجَابَ، قَالَ مُحَمَّدٌ: إِنِّي إِذَا جَاءَ، فَسَوْفَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَدُونَكُمْ، قَالَ: فَلَمَّا نَزَلَ نَزَلَ وَهُوَ مُتَوَشِّحٌ، فَقَالُوا: نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الطِّيبِ، قَالَ: نَعَمْ تَحْتِي فُلَانَةُ هِيَ أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ، قَالَ: فَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ مِنْهُ، قَالَ: نَعَمْ فَشُمَّ، فَتَنَاوَلَ فَشَمَّ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَعُودَ، قَالَ: فَاسْتَمْكَنَ مِنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: دُونَكُمْ، قَالَ: فَقَتَلُوهُ[١].

٢. قَتْلُ «خَالِدٍ الهُذَلِيِّ» مِنْ «لَحْيَان»

يَوْمَ الاثْنَيْنِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنَ المُحَرَّمِ، عَلَى رَأْسِ خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

عَنِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ خَالِدَ بْنَ سُفْيَانَ بْنِ نُبَيْحٍ يَجْمَعُ لِي النَّاسَ لِيَغْزُونِي، وَهُوَ بِعُرَنَةَ فَأْتِهِ فَاقْتُلْهُ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ انْعَتْهُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ، قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ إِقْشَعْرِيرَةً**»، قَالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا بِسَيْفِي، حَتَّى وَقَعْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ بِعُرَنَةَ مَعَ ظُعُنٍ يَرْتَادُ لَهُنَّ مَنْزِلاً، وَحِينَ كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَجَدْتُ مَا وَصَفَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الإِقْشَعْرِيرَةِ فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُحَاوَلَةٌ، فَصَلَّيْتُ وَأَنَا أُومِئُ بِرَأْسِي الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ قَالَ: مَنِ الرَّجُلُ؟ قُلْتُ: رَجُلٌ سَمِعَ بِكَ وَبِجَمْعِكَ لِهَذَا الرَّجُلِ فَجَاءَكَ لِهَذَا، قَالَ: أَجَلْ فِي ذَلِكَ، قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ

---

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ١١٩ (١٨٠١) كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ –بَابُ قَتْلِ كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ طَاغُوتِ الْيَهُودِ.

شَـيْئًا حَتَّى إِذَا أَمْكَنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّـيْفَ حَتَّى قَتَلْتُهُ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَتَرَكْتُ ظَعَائِنَهُ مُكِبَّاتٍ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُـــولِ اللَّهِ ﷺ فَرَآنِي فَقَالَ: «**أَفْلَحَ الْوَجْهُ**»، قَالَ: قُلْتُ: قَتَلْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**صَدَقْتَ**»، قَالَ: ثُمَّ قَامَ مَعِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ فِي بَيْتِهِ فَأَعْطَانِي عَصًـا، فَقَالَ: «**أَمْسِـكْ هَذِهِ عِنْدَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُنَيْسٍ**»، قَالَ: فَخَرَجْتُ بِهَا عَلَى النَّاسِ، فَقَالُوا: مَا هَذِهِ الْعَصَـــا؟ قُلْتُ: أَعْطَانِيهَا رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَنِي أَنْ أَمْسِكَهَا، قَالُوا: أَوَلاَ تَرْجِعُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ أَعْطَيْتَنِي هَذِهِ الْعَصَـا؟ قَالَ: «**آيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ أَقَلَّ النَّاسِ الْمُتَخَصِّـــرُونَ يَوْمَئِذٍ**»، قَالَ: فَقَرَنَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِسَـــيْفِهِ، فَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ أَمَرَ بِهَا فَصُـــبَّتْ مَعَهُ فِي كَفَنِهِ، ثُمَّ دُفِنَا جَمِيعًا(١).

٣.قَتْلُ «أَبِي رَافِعٍ» اليَهُودِيِّ:

عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ اليَهُودِيِّ رِجَالًا مِنَ الأَنْصَـــارِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ رضي الله عنه، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الحِجَازِ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ، وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّـمْسُ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَـرْحِهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَصْـحَابِهِ: اجْلِسُـوا مَكَانَكُمْ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ، وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ، لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ. فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ البَابِ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِـــي حَاجَةً، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ، فَهَتَفَ بِهِ البَوَّابُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ البَابَ. فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ

---

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (١٦٠٤٧)، قَالَ شُعَيْبُ الأَرْنَاؤُوط: «ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ... تَرْجَمَ لَهُ البُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ» ١٢٥/٥، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ٩٠/٥، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «الثِّقَاتِ» ٣٧/٥، وَلَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ جَرْحًا وَلَا تَعْدِيلًا. وَبَاقِي رِجَالِ الإِسْنَادِ ثِقَاتٌ رِجَالُ الشَّيْخَيْنِ غَيْرَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ رَوَى لَهُ البُخَارِيُّ تَعْلِيقًا، وَمُسْلِمٌ مُتَابَعَةً، وَقَدْ صَرَّحَ بِالتَّحْدِيثِ».

أَغْلَقَ البَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الأَغَالِيقَ عَلَى وَتَدٍ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا، فَفَتَحْتُ البَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ، وَكَانَ فِي عَلاَلِيَّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنِ القَوْمُ نَذِرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ. فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ، لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ البَيْتِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهِشٌ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا، وَصَاحَ، فَخَرَجْتُ مِنَ البَيْتِ، فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ فَقَالَ: لِأُمِّكَ الوَيْلُ، إِنَّ رَجُلًا فِي البَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظِبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الأَبْوَابَ بَابًا بَابًا، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي، وَأَنَا أُرَى أَنِّي قَدِ انْتَهَيْتُ إِلَى الأَرْضِ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، فَانْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى البَابِ، فَقُلْتُ: لاَ أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ: أَقَتَلْتُهُ؟ فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ، فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الحِجَازِ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي، فَقُلْتُ: النَّجَاءَ، فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «**ابْسُطْ رِجْلَكَ**»، فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا، فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ(١).



(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٤٠٣٩) كِتَابُ المَغَازِي–بَابُ قَتْلِ أَبِي رَافِعٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الحُقَيْقِ.

البَابُ الثَّامِنُ
غَزْوَةُ الخَنْدَقِ

❖ أَسْبَابُهَا:

بَعْدَ أنْ أُخْرِجَ يَهُودُ «بَنِي النَّضِيرِ» مِنَ «المَدِينَةِ» إلَى «خَيْبَرَ» أَخَذُوا يَرْسُمُونَ الخُطَطَ لِلانْتِقَامِ مِنَ المُسْلِمِينَ بِدَافِعِ البُغْضِ وَالحِقْدِ، فَتَوَجَّهُوا إِلَى القَبَائِلِ المُخْتَلِفَةِ لِتَحْرِيضِهَا عَلَى حَرْبِ المُسْلِمِينَ، فَوَافَقَتْ «قُرَيْشُ» وَ«غَطَفَان» وَقَبَائِلُ أُخْرَى.

❖ قَبْلَ المَعْرَكَةِ:

• الاسْتِخْبَارَاتُ العَسْكَرِيَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ:

كَانَ جِهَازُ أَمْنِ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَى حَذَرٍ تَامٍّ مِنْ أَعْدَائِهِ؛ لِذَا فَقَدْ كَانَ يَتَتَبَّعُ أَخْبَارَ الأَحْزَابِ، وَيَرْصُدُ تَحَرُّكَاتِهِمْ، وَيُتَابِعُ حَرَكَةَ الوَفْدِ اليَهُودِيِّ مُنْذُ خَرَجَ مِنْ «خَيْبَرَ» فِي اتِّجَاهِ «مَكَّةَ»، وَكَانَ عَلَى عِلْمٍ تَامٍّ بِكُلِّ مَا يَجْرِي بَيْنَ الوَفْدِ اليَهُودِيِّ وَبَيْنَ «قُرَيْشٍ» أَوَّلًا، ثُمَّ «غَطَفَان» ثَانِيًا.

❖ الاسْتِعْدَادُ لِلمَعْرَكَةِ:

وَتَمَثَّلَ ذَلِكَ فِي:

١. الشُّورَى.
٢. اسْتِعْرَاضِ الجُنْدِ.
٣. تَأْمِينِ الجَبْهَةِ الدَّاخِلِيَّةِ.
٤. تَنْفِيذِ الخُطَّةِ الدِّفَاعِيَّةِ.
٥. أَمْنِ القِيَادَةِ.
٦. مَجْمُوعَاتِ المُرَاقَبَةِ وَالمُتَابَعَةِ لِلقُوَّاتِ.

٧. الشِّعَارِ.

٨. الإِشْرَافِ المُبَاشِرِ وَالشَّخْصِيّ مِنَ القِيَادَةِ لِلمَعْرَكَةِ.

٩. التَّعْبِئَةِ النَّفْسِيَّةِ لِلجُنْدِ.

١. الشُّورَى وَانْتِقَاءُ أُسْلُوبٍ قِتَالِيٍّ جَدِيدٍ [١]:

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ مُشَاوَرَةَ أَصْحَابِهِ فِي الْحَرْبِ فَقَالَ: «**أَنَبْرُزُ لَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، أَمْ نَكُونُ فِيهَا وَنُخَنْدِقُهَا عَلَيْنَا، أَمْ نَكُونُ قَرِيبًا وَنَجْعَلُ ظُهُورَنَا إِلَى هَذَا الْجَبَلِ؟**»، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: نَكُونُ مِمَّا يَلِي بُعَاثَ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ إِلَى الْجُرْفِ. فَقَالَ قَائِلٌ: نَدَعُ الْمَدِينَةَ خُلُوفًا، فَقَالَ سَلْمَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا إِذْ كُنَّا بِأَرْضِ فَارِسَ وَتَخَوَّفْنَا الْخَيْلَ خَنْدَقْنَا عَلَيْنَا، فَهَلْ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ نُخَنْدِقَ؟ فَأَعْجَبَ رَأْيُ سَلْمَانَ الْمُسْلِمِينَ، وَذَكَرُوا حِينَ دَعَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ «أُحُدٍ» أَنْ يُقِيمُوا وَلَا يَخْرُجُوا، فَكَرِهَ الْمُسْلِمُونَ الْخُرُوجَ وَأَحَبُّوا الثَّبَاتَ فِي «الْمَدِينَةِ»[٢].

٢. اسْتِعْرَاضُ الجَيْشِ:

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ الْغِلْمَانَ وَهُوَ يَحْفِرُ الْخَنْدَقَ، فَأَجَازَ مَنْ أَجَازَ وَرَدَّ مَنْ رَدَّ، وَكَانَ الْغِلْمَانُ يَعْمَلُونَ مَعَهُ، الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا وَلَمْ يُجِزْهُمْ وَلَكِنَّهُ لَمَّا لُحِمَ الْأَمْرُ أَمَرَ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، إِلَى الْآطَامِ مَعَ الذَّرَارِيِّ[٣].

---

(١) وَالخَنْدَقُ هُوَ الأُسْلُوبُ الجَدِيدُ الثَّانِي الَّذِي اسْتَخْدَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي القِتَالِ، بَعْدَ أَنِ اسْتَخْدَمَ أُسْلُوبَ الصُّفُوفِ فِي غَزْوَةِ «بَدْرٍ» كَمَا مَرَّ مَعَنَا.

(٢) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢/٤٤٥).

(٣) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢/٤٥٣)،

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، قَالَ: «فَلَمْ يُجِزْنِي ثُمَّ عَرَضَنِي يَوْمَ الخَنْدَقِ، وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَجَازَنِي»، قَالَ نَافِعٌ: فَقَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ وَهُوَ خَلِيفَةٌ، فَحَدَّثْتُهُ هَذَا الحَدِيثَ فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا لَحَدٌّ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ يَفْرِضُوا لِمَنْ بَلَغَ خَمْسَ عَشْرَةَ»(١)، وَمَا كَانَ سِوَى ذَلِكَ، فَأَلْحِقُوهُ بِالْعِيَالِ(٢)(٣).

٣.تَأْمِينُ الجَبْهَةِ الدَّاخِلِيَّةِ:

لَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُدُومِ جَيْشِ الأَحْزَابِ وَأَرَادَ الخُرُوجَ إِلَى الخَنْدَقِ، أَمَرَ بِوَضْعِ ذَرَارِي المُسْلِمِينَ وَنِسَائِهِمْ وَصِبْيَانِهِمْ فِي حِصْنِ «بَنِي حَارِثَةَ»؛ حَتَّى يَكُونُوا بِمَأْمَنٍ

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٢٦٦٤) كِتَابُ الشَّهَادَاتِ–بَابُ بُلُوغِ الصِّبْيَانِ وَشَهَادَتِهِمْ.

(٢) أَوْرَدَ هَذِهِ الزِّيَادَةَ البَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٣/٣٩٥).

(٣) قَالَ الطَّحَاوِيُّ فِي شَرْحِ مَعَانِي الآثَارِ (٣/٢١٩): «عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه أَنَّ أُمَّهُ كَانَتِ امْرَأَةً جَمِيلَةً مِنْ بَنِي فَزَارَةَ، فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ صَبِيٌّ، وَكَثُرَ خُطَّابُهَا فَجَعَلَتْ تَقُولُ: لَا أَتَزَوَّجُ إِلَّا مَنْ يَكْفُلُ لِي بِابْنِي هَذَا. فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا فَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ لِغِلْمَانِ الْأَنْصَارِ وَلَمْ يَفْرِضْ لَهُ، كَأَنَّهُ اسْتَضْعَفَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ فَرَضْتَ لِصَبِيٍّ وَلَمْ تَفْرِضْ لِي، أَنَا أَصْرَعُهُ. قَالَ: «**صَارِعْهُ**»، فَصَرَعْتُهُ، فَفَرَضَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ. فَلَمَّا أَجَازَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدُبٍ لَمَّا صَارَعَ الْأَنْصَارِيَّ فَصَرَعَهُ، لَا لِأَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، احْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ أَيْضًا مَا فَعَلَ فِي ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أَجَازَهُ حِينَ أَجَازَهُ لِقُوَّتِهِ لَا لِبُلُوغِهِ، وَرَدَّهُ حِينَ رَدَّهُ لِضَعْفِهِ لَا لِعَدَمِ بُلُوغِهِ، فَانْتَفَى بِمَا ذَكَرْنَا أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ حُجَّةٌ لِأَبِي يُوسُفَ – رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ– لِاحْتِمَالِهِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو حَنِيفَةَ؛ لِأَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ – رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ– لَا يُنْكِرُ أَنْ يُفْرَضَ لِلصِّبْيَانِ إِذَا كَانُوا يَحْتَمِلُونَ الْقِتَالَ وَيَحْضُرُونَ الْحَرْبَ، وَإِنْ كَانُوا غَيْرَ بَالِغِينَ. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، فِيمَا كَانَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَمْرِ ابْنِ عُمَرَ خِلَافُ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه... عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: عَرَضَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَاسْتَصْغَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ أَجَازَنَا يَوْمَ أُحُدٍ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَجَازَ ابْنَ عُمَرَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَخَالَفَ ذَلِكَ مَا رَوَيْنَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، فَلَمَّا انْتَفَى أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ حُجَّةٌ لِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى الْفَرِيقِ الْآخَرِ، الْتَمَسْنَا حُكْمَ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ النَّظَرِ، لِنَسْتَخْرِجَ مِنَ الْقَوْلَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَى أَحَدِهِمَا، وَأَبُو يُوسُفَ إِلَى الْآخَرِ مِنْهُمَا، قَوْلًا صَحِيحًا، فَاعْتَبَرْنَا ذَلِكَ».

مِنْ خَطَرِ الأعْدَاءِ. وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ ﷺ لِأَنَّ حِمَايَةَ الذَّرَارِي وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ لَهَا أَثَرٌ فَعَّالٌ عَلَى مَعْنَوِيَّاتِ المُقَاتِلِينَ؛ لِأَنَّ الجُنْدِيَّ إِذَا اطْمَأَنَّ عَلَى زَوْجِهِ وَأَبْنَائِهِ فإِنَّهُ يَغْدُو وَاثِقًا مِنْ نَفْسِهِ، قَوِيَّ الشَّكِيمَةِ، هَادِئَ الأعْصَابِ، فَلَا يَشْغَلُ تَفْكِيرَهُ أَمْرٌ مِنْ أُمُورِ الحَيَاةِ، وَيُسَخِّرُ كُلَّ إِمْكَانَاتِهِ وَقُدُرَاتِهِ العَقْلِيَّةِ وَالجَسَدِيَّةِ لِأَجْلِ القِتَالِ، أَمَّا إِذَا كَانَ الأَمْرُ عَلَى العَكْسِ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ أَمْرَ الجُنْدِيِّ يَضْطَرِبُ، وَتَضْعُفُ مَعْنوِيَّاتُهُ وَيَسْتَوْلِي عَلَيْهِ القَلَقُ، مِمَّا يَكُونُ لَهُ أَثَرٌ جِدُّ خَطِيرٍ عَلَى سَيْرِ المَعْرَكَةِ، وَقَدْ يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَنْكُصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَأَنْ يَتَرَاجَعَ عَنِ القِتَالِ؛ وَبِذَلِكَ تَنْزِلُ الكَارِثَةُ بِالجَمِيعِ.

«وَرَفَعَ الْمُسْلِمُونَ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ فِي الْآطَامِ وَرَفَعَتْ بَنُو حَارِثَةَ الذَّرَارِيَّ فِي أُطُمِهِمْ وَكَانَ أُطُمًا مَنِيعًا، وَكَانَتْ عَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ فِيهِ. وَرَفَعَ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ النِّسَاءَ وَالذُّرِّيَّةَ فِي الْآطَامِ وَخَنْدَقَ بَعْضُهُمْ حَوْلَ الْآطَامِ بِقُبَاءَ وَحَصَّنَ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَلَفَّهَا، وخَطْمَةُ وَبَنُو أُمَيَّةَ، وَوَائِلٌ وَوَاقِفٌ فَكَانَ ذَرَارِيُّهُمْ فِي آطَامِهِمْ»(١).

٤. تَنْفِيذُ الخُطَّةِ الدِّفَاعِيَّةِ:

وَكَانَتْ ضِمْنَ الخُطُوَاتِ التَّالِيَةِ:

أ. **انْتِقَاءُ الأَرْضِ:** «وَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَكِبَ فَرَسًا لَهُ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَارْتَادَ مَوْضِعًا يَنْزِلُهُ فَكَانَ أَعْجَبَ الْمَنَازِلِ إِلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ سَلْعًا(٢) خَلْفَ ظَهْرِهِ وَيُخَنْدِقَ مِنَ الْمَذَادِ إِلَى ذُبَابٍ(٣) إِلَى رَاتِجٍ(٤)»(٥).

---

(١) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢/٤٥١).

(٢) سلع: اسم جبل في ظاهر المدينة.

(٣) ذباب: (بالكسر والضم): جبل المدينة.

(٤) راتج (بكسر التاء المثناة الفوقية والجيم): أطم من آطام المدينة.

(٥) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢/٤٤٥).

كَانَ اخْتِيَارُ تِلْكَ المَوَاقِعِ مُوفَّقًا؛ لِأَنَّ شَمَالَ «المَدِينَةِ» هُوَ الجَانِبُ المَكْشُوفُ أَمَامَ العَدُوِّ، وَالَّذِي يَسْتَطِيعُ مِنْهُ دُخُولَ «المَدِينَةِ» وَتَهْدِيدَهَا، أَمَّا الجَوَانِبُ الأُخْرَى فَهِيَ حَصِينَةٌ مَنِيعَةٌ، تَقِفُ عَقَبَةً أَمَامَ أَيِّ هُجُومٍ يَقُومُ بِهِ الأَعْدَاءُ، فَكَانَتِ الدُّورُ مِنْ نَاحِيَةِ الجَنُوبِ مُتَلَاصِقَةً عَالِيَةً كَالسُّورِ المَنِيعِ، وَكَانَتْ حَرَّةُ «وَاقِمْ» مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ، وَحَرَّةُ «الوَبَرَةِ» مِنْ جِهَةِ الغَرْبِ، تَقُومَانِ كَحِصْنٍ طَبِيعِيٍّ، وَكَانَتْ آطَامُ «بَنِي قُرَيْظَةَ» فِي الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ كَفِيلَةً بِتَأْمِينِ ظَهْرِ المُسْلِمِينَ، وَكَانَ بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ وَ«بَنِي قُرَيْظَةَ» عَهْدٌ أَلَّا يُمَالِؤُوا عَلَيْهِ أَحَدًا، وَلَا يُنَاصِرُوا عَدُوًّا ضِدَّهُ.

ب. **مُوَاصَفَاتُ الخَنْدَقِ:** طُولُ الخَنْدَقِ كَانَ خَمْسَةُ آلَافٍ وَخَمْسُ مِائَةٍ وَأَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ مِتْرًا «٥٥٤٤م»، وَمُتَوَسِّطُ عَرْضِهِ أَرْبَعَةُ أَمْتَارٍ واثْنَانِ وَسِتُّونَ بِالمِائَةِ «٤,٦٢م)، وَمُتَوَسِّطُ عُمْقِهِ ثَلَاثَةُ أَمْتَارٍ وَثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ بِالمِائَةِ «٣,٢٣م»[١]، «وَكَانَ حَفَرَهُ سِتَّةَ أَيَّامٍ وَحَصّنَهُ»[٢].

ت. **تِقْسِيمُ المَهَامِّ:** وَزَّعَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْمَالَ الحَفْرِ بِالتَّسَاوِي بَيْنَ أَصْحَابِهِ، لِكُلِّ عَشَرَةٍ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا[٣]، «وَوَكَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكُلِّ جَانِبٍ مِنَ الْخَنْدَقِ قَوْمًا يَحْفِرُونَهُ، فَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَحْفِرُونَ مِنْ جَانِبِ رَاتِجٍ إِلَى ذُبَابٍ، وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ تَحْفِرُ مِنْ ذُبَابٍ إِلَى جَبَلِ بَنِي عُبَيْدٍ»[٤].

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَّ الْخَنْدَقَ مِنْ أَحْمَرِ

(١) كما ذكره الدكتور شوقي أبو خليل "رحمه الله "في كتابه أطلس السيرة النبوية.

(٢) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢/٤٥٤).

(٣) وَيَخْتَلِفُ طُولُ الذِّرَاعِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخَر، فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ ٥٢ سَنْتِيمِتْرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ ٤٦ سَنْتِيمِتْرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِغَيْرِ ذَلِكَ.

(٤) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢/٤٤٦).

السَّبْخَتَيْنِ؛ طَرَفَ بَنِي حَارِثَةَ عَامَ حِزْبِ الْأَحْزَابِ حَتَّى بَلَغَ الْمَذَاحِجَ، فَقَطَعَ لِكُلِّ عَشَرَةٍ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا(١).

وَأَحْكَمَ النَّبِيُّ ﷺ سَيْطَرَتَهُ عَلَى سَيْرِ العَمَلِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ تَرْكَ وَاجِبَهُ إِلَّا بِأَمْرٍ مِنْهُ، حَتَّى أُنْجِزَتْ أَعْمَالُ حَفْرِ الخَنْدَقِ قَبْلَ وُصُولِ المُشْرِكِينَ إِلَى «المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ».



وَقَدْ ظَهَرَتْ فِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ أَحَدُ أَهَمِّ الصِّفَاتِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَتَوَفَّرَ فِي القِيَادَةِ وَالأَفْرَادِ، وَهِيَ خُلُقُ «**المُبَادَرَةِ**»:

---

(١) رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ (٦٥٤١) كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ، وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي التَّلْخِيصِ (٣/٦٩١): «سَنَدُهُ ضَعِيفٌ»، وَذَلِكَ بِلَفْظِ: عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَّ الْخَنْدَقَ عَامَ حَرْبِ الْأَحْزَابِ حَتَّى بَلَغَ الْمَذَاحِجَ، فَقَطَعَ لِكُلِّ عَشَرَةٍ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، فَاحْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ سَلْمَانُ مِنَّا، وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: سَلْمَانُ مِنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ**». وَأَوْرَدَهُ الهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَوَائِدِ وَمَنْبَعِ الفَوَائِدِ (٦/١٣٠) بِاللفْظِ الوَارِدِ فِي المَتْنِ، وَقَالَ: «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ المُزَنِيّ، وَقَدْ ضَعَّفَهُ الجُمْهُورُ، وَحَسَّنَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثَهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ»، وَلَمْ نَهْتَدِ إِلَى الحَدِيثِ فِي مَظَانِّهِ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ الطَّبَرَانِيّ.

- **المُبَادَرَةُ مِنَ القِيَادَةِ:**

عَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا، إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا**»(١).

- **المُبَادَرَةُ مِنَ الأَفْرَادِ:**

«عَنْ أَيُّوبَ بْنِ النُّعْمَانِ عَنْ أَبِيهِ: قَالَ كَانَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ يَحْرُسُ الْخَنْدَقَ فِي أَصْحَابِهِ فَانْتَهَوْا إِلَى مَكَانٍ مِنْ الْخَنْدَقِ تَطْفُرُهُ الخَيْلُ، فَإِذَا طَلِيعَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِائَةُ فَارِسٍ أَوْ نَحْوُهَا، عَلَيْهِمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، يُرِيدُونَ أَنْ يُغَيِّرُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ عَلَيْهَا بِأَصْحَابِهِ، فَرَمَوْهُمْ بِالْحِجَارَةِ وَالنَّبْلِ حَتَّى أَجْهَضُوا عَنَّا وَوَلَّوْا. وَكَانَ فِي الْمُسْلِمِينَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، فَقَالَ لِأُسَيْدٍ: إِنَّ هَذَا مَكَانٌ مِنَ الْخَنْدَقِ مُتَقَارِبٌ، وَنَحْنُ نَخَافُ تَطْفُرَهُ خَيْلُهُمْ، وَكَانَ النَّاسُ عَجِلُوا فِي حَفْرِهِ. وَبَادَرُوا فَبَاتُوا يُوَسِّعُونَهُ حَتَّى صَارَ كَهَيْئَةِ الْخَنْدَقِ وَأَمَّنُوا أَنْ تَطْفُرَهُ خَيْلُهُمْ»(٢).

كَمَا ضَرَبَتْ لَنَا القِيَادَةُ النَّبَوِيَّةُ أَجْمَلَ مِثَالٍ فِي عَدَمِ إِسْتِئْثَارِهَا بِالمَزَايَا دُونَ النَّاسِ:

فَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الجُوعَ وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ حَجَرَيْنِ»(٣).

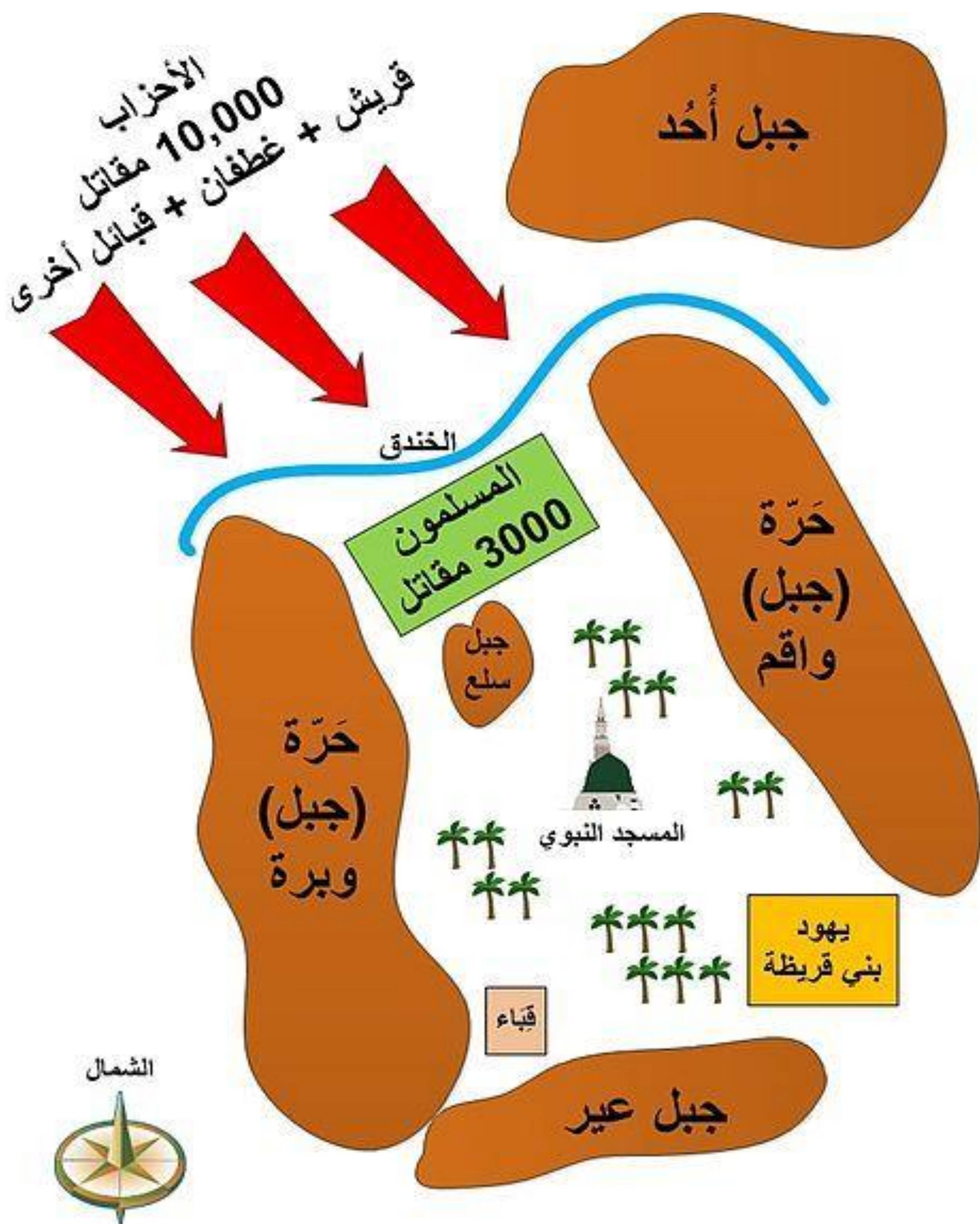
---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٢٨٣٧) كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ–بَابُ حَفْرِ الخَنْدَقِ.

(٢) المَغَازِي لِلوَاقِدِيِّ (٢/٤٦٤–٤٦٥).

(٣) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ (٢٣٧١) أَبْوَابُ الزُّهْدِ–بَابُ مَا جَاءَ فِي مَعِيشَةِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، وَأَوْرَدَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي ضَعِيفِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٤١٣–

٢٤٩٠) وَقَالَ ضَعِيفٌ، كَمَا أَشَارَ إِلَى ضَعْفِهِ فِي سِلْسِلَةِ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ (١٦١٥) وَقَالَ: «وَهُوَ ضَعِيفٌ مِنْ أَجْلِ سَيَّارٍ، وَهُوَ ابْنُ حَاتِمٍ العَنَزِيّ».


الأحزاب
10,000 مقاتل
قريش + غطفان + قبائل أخرى
جبل أُحُد
الخندق
المسلمون
3000 مقاتل
حَرّة
(جبل)
واقم
حَرّة
(جبل)
وبرة
جبل
سلع
المسجد النبوي
يهود
بني قريظة
قِبَاء
جبل عير
الشمال

٥. أَمْنُ القِيَادَةِ:

«وضُــــرِبَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قُبَّةٌ مِنْ أَدَمٍ، وَكَانَتْ الْقُبَّةُ عِنْدَ الْمَسْـــجِدِ الْأَعْلَى الَّذِي بِأَصْـلِ الْجَبَلِ – جَبَلِ الأحْزَابِ-، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْقِبُ بَيْنَ نِسَـائِهِ فَتَكُونُ عَائِشَـةُ أَيَّامًا، ثُمَّ تَكُونُ أُمُّ سَــــلَمَةَ ثُمَّ تَكُونُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، فَكَانَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثُ اللَّاتِي يُعْقِبُ بَيْنَهُنَّ فِي الْخَنْدَقِ، وَسَائِرُ نِسَائِهِ فِي أُطُمِ بَنِي حَارِثَةَ»(١).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «خَفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ إِلَّا عَلَى سِتَّةِ نَفَرٍ: أَرْبَعَةُ نَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ: طَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَعَلِيٌّ، وَسَـــعْدُ، وَمِنَ الْأَنْصَــــارِ: أَبُو دُجَانَةَ، وَالْحَارِثُ بْنُ الصِّمَّةِ»(٢).

وَعَنْ عَائِشَـةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: سَـهِرَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ، لَيْلَةً، فَقَالَ: «**لَيْتَ رَجُلًا صَـالِحًا مِنْ أَصْـحَابِي يَحْرُسُـنِي اللَّيْلَةَ**»(٣)، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَـمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلَاحٍ، فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا؟**»، قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا جَاءَ بِكَ؟**»، قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِـــي خَوْفٌ عَلَى رَسُـــولِ اللهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ. فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ نَامَ(٤).

---

(١) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢/٤٥٤).

(٢) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي المُعْجَمِ الكَبِيرِ (١٣٤١٠)، وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعِ الفَوَائِدِ (٦/١٣٥): «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ جَمَاعَةٌ لَمْ أَعْرِفْهُمْ».

(٣) قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ البَارِي (٦/٨٢): «وَفِي الْحَدِيثِ الْأَخْذُ بِالْحَذَرِ وَالِاحْتِرَاسِ مِنَ الْعَدُوِّ وَأَنَّ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَحْرُسُوا سُلْطَانَهُمْ خَشْيَةَ الْقَتْلِ، وَفِيهِ الثَّنَاءُ عَلَى مَنْ تَبَرَّعَ بِالْخَيْرِ وَتَسْمِيَتُهُ صَالِحًا، وَإِنَّمَا عَانَى النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ مَعَ قُوَّةِ تَوَكُّلِهِ لِلِاسْتِنَانِ بِهِ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ ظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا اشْتَدَّ الْبَأْسُ كَانَ أَمَامَ الْكُلِّ، وَأَيْضًا فَالتَّوَكُّلُ لَا يُنَافِي تَعَاطِي الْأَسْبَابِ؛ لِأَنَّ التَّوَكُّلَ عَمَلُ الْقَلْبِ وَهِيَ عَمَلُ الْبَدَنِ».

(٤) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٢٨٨٥) كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ -بَابُ الحِرَاسَةِ فِي الغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ٤٠ (٢٤١٠) كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ف- بَابٌ فِي فَضْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ڤ، وَاللَّفْظُ لَهُ.

٦.مَجْمُوعَاتُ المُتَابَعَةِ لِلقُوَّاتِ:

«وَقُبَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَضْرُوبَةٌ مِنْ أَدَمٍ فِي أَصْلِ الْجَبَلِ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ؓ ، وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى خَنْدَقِهِمْ يَتَنَاوَبُونَ مَعَهُمْ بِضْعَةً وَثَلَاثُونَ فَرَسًا، وَالْفُرْسَانُ يَطُوفُونَ عَلَى الْخَنْدَقِ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ، يَتَعَاهَدُونَ رِجَالًا وَضَعُوهُمْ فِي مَوَاضِعَ مِنْهُ»(١).

٧.الشِّعَارُ:

وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ شِعَارَيْنِ فِي تِلْكَ المَعْرَكَةِ، شِعَارٌ لِلاسْتِنْفَارِ وَالطَّوَارِئِ «يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي»، وَشِعَارٌ عِنْدَ التَّلَاحُمِ؛ لِلتَّمَايُزِ وَلِعَدَمِ اخْتِلَاطِ المُسْلِمِينَ بِبَعْضِهِمْ «حم لَا يُنْصَرُونَ». حَتَّى لَا يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: وَاللهِ إِنِّي لَفِي جَوْفِ اللَّيْلِ فِي قُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ إِلَى أَنْ سَمِعْتُ الْهَيْعَةَ وَقَائِلٌ يَقُولُ: يَا خَيْلَ اللهِ. وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَعَلَ شِعَارَ الْمُهَاجِرِينَ «يَا خَيْلَ اللهِ»(٢).

«فَلَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ قِتَالٌ جَمِيعًا حَتَّى انْصَرَفُوا، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَدَعُونَ يَبْعَثُونَ الطَّلَائِعَ بِاللَّيْلِ يَطْمَعُونَ فِي الْغَارَةِ، وَخَرَجَتْ بَعْدَ ذَلِكَ طَلِيعَتَانِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلًا، فَالْتَقَيَا وَلَا يَشْعُرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ وَلَا يَظُنُّونَ إِلَّا أَنَّهُمْ الْعَدُوُّ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ جِرَاحَةٌ وَقَتْلٌ، وَلَسْنَا نَعْرِفُ مَنْ قَتَلَ وَلَمْ يُسَمَّ لَنَا. ثُمَّ نَادَوْا بِشَعَارِ الْإِسْلَامِ وَكَفَّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ وَكَانَ شَعَارُهُمْ: حم لَا يُنْصَرُونَ» (٣).

٨.الإِشْرَافُ المُبَاشِرُ مِنَ القِيَادَةِ النَّبَوِيَّةِ لِلمَعْرَكَةِ:

---

(١) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢/٤٥٧).

(٢) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢/٤٦٦).

(٣) المَصْدَرُ السَّابِقُ (٢/٤٧٤).

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «وَاللهِ إِنِّي لَفِي جَوْفِ اللَّيْلِ فِي قُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ إِلَى أَنْ سَمِعْتُ الْهَيْعَةَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: «يَا خَيْلَ اللهِ»... فَفَزِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِصَوْتِهِ، فَخَرَجَ مِنْ الْقُبَّةِ فَإِذَا نَفَرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ عِنْدَ قُبَّتِهِ يَحْرُسُونَهَا، مِنْهُمْ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ، فَقَالَ: «**مَا بَالُ النَّاسِ؟**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ: «**اذْهَبْ فَانْظُرْ ثُمَّ ارْجِعْ إِلَيَّ إِنْ شَاءَ اللهُ فَأَخْبِرْنِي**»... فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمًا حَتَّى جَاءَهُ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا عَمْرُو بْنُ عَبْدٍ فِي خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ،... قَالَتْ: فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَبِسَ دِرْعَهُ وَمِغْفَرَهُ وَرَكِبَ فَرَسَهُ وَخَرَجَ مَعَهُ أَصْحَابُهُ حَتَّى أَتَى تِلْكَ الثَّغْرَةَ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ رَجَعَ وَهُوَ مَسْرُورٌ، قَالَتْ: فَنَامَ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ وَسَمِعْتُ هَائِعَةً أُخْرَى، فَفَزِعَ فَوَثَبَ... فَعَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَبِسَ دِرْعَهُ وَرَكِبَ فَرَسَهُ ثُمَّ خَرَجَ مَعَهُ أَصْحَابُهُ إِلَى تِلْكَ الثَّغْرَةِ»[١].

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِالْخَنْدَقِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَاهَدُ ثَغْرَةً مِنَ الْجَبَلِ يَخَافُ مِنْهَا، فَيَأْتِي فَيَضْطَجِعُ فِي حِجْرِي ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَسَمَّعُ»[٢].

٩. التَّعْبِئَةُ النَّفْسِيَّةُ لِلجُنْدِ:

عَنْ ابْنِ كَعْبٍ قَالَ: فَلَمَّا اشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ نَافَقَ نَاسٌ كَثِيرٌ وَتَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ قَبِيحٍ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا فِيهِ النَّاسُ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْكَرْبِ جَعَلَ يُبَشِّرُهُمْ وَيَقُولُ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُفَرَّجَنَّ عَنْكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْبَلَاءِ،**

---

(١) المَغَازِي لِلوَاقِدِيِّ (٢/٤٦٦-٤٦٧).

(٢) رَوَاهُ البَزَّارُ فِي مُسْنَدِهِ، وَأَوْرَدَهُ الهَيْثَمِيُّ عَنْهُ فِي كَشْفِ الأَسْتَارِ عَنْ زَوَائِدِ البَزَّارِ (١٨٠٦) كِتَابُ الهِجْرَةِ وَالمَغَازِي- بَابُ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ، وَقَالَ: «قُلْتُ: فِي الصَّحِيحِ طَرَفٌ مِنْهُ. قَالَ الْبَزَّارُ: لا نَعْلَمُ رَوَاهُ إِلا عَائِشَةُ بِهَذَا الإِسْنَادِ». وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعِ الفَوَائِدِ (٦/١٣٥): «رَوَاهُ البَزَّارُ عَنْ شَيْخِهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَبِيبٍ، وَهُوَ ضَعِيفٌ».

فَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ آمِنًا، وَأَنْ يَدْفَعَ اللهُ ﷻ مَفَاتِحَ الْكَعْبَةِ، وَلَيُهْلِكَنَّ اللهُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَلَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

❖ اشْتِدَادُ المِحْنَةِ عَلَى المُسْلِمِينَ «خِيَانَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ وَنَقْضُهَا لِلعَهْدِ»:

بَعْدَمَا أَقْبَلَتْ «قُرَيْشُ» وَحُلَفَاؤُهَا بِجَيْشٍ عَرَمْرَمٍ بَلَغَ عَشَـرَةَ آلَافِ مُقَاتِلٍ، وَنَزَلُوا عَلَى الجَانِبِ الآخَرِ مِنَ الخَنْدَقِ، مَا لَبِثَتْ أَنْ أَرْسَلَتِ الاسْتِخْبَارَاتُ العَسْكَرِيَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ لِسَيِّدِنَا «عُمَرَ ﵁» بِأَنَّ «بَنِي قُرَيْظَةَ» نَقَضَتِ العَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ المُسْلِمِينَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، بَلَغَنِي أَنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ نَقَضَتِ الْعَهْدَ وَحَارَبَتْ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»(٢).

وَقَدْ كَانَ بَلَاءً شَدِيدًا عَلَى المُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى:﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ: ١١]، فَقَامَتْ جُيُوشُ الأَحْزَابِ فِي تَشْدِيدِ الحِصَارِ عَلَى المُسْلِمِينَ بَعْدَ انْضِمَامِ «بَنِي قُرَيْظَةَ» إِلَيْهَا، وَاشْتَدَّ الكَرْبُ وَتَأَزَّمَ المَوْقِفُ، وَكَانَ ظَنُّ المُسْلِمِينَ بِاللهِ رَاسِخًا، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ: ٢٢].

أَمَّا المُنَافِقُونَ فَقَدِ انْسَحَبُوا مِنَ الجَيْشِ، وَزَادَ خَوْفُهُمْ حَتَّى قَالُوا: «كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَحَدُنَا اليَوْمَ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى

(١) رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الكُبْرَى ()، وَكَذَا فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٣/٤٠٢).

(٢) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢/٤٥٧).

الغَائِطِ»[1]، وَطَلَبَ البَعْضُ الآخَرُ الإِذْنَ لَهُمْ فِي الرُّجُوعِ إِلَى بُيُوتِهِمْ بِحُجَّةِ أَنَّهَا عَوْرَةٌ.

❖ تَعَامُلُ القِيَادَةِ النَّبَوِيَّةِ مَعَ المُتَغَيِّرَاتِ:

١. الاسْتِطْلَاعُ وَالتَّأَكُّدُ مِنْ مِصْدَاقِيَّةِ المَعْلُومَاتِ الوَارِدَةِ:

عَنْ جَابِرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ؟**»، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ؟**». فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ؟**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**»[2].

«فَذَهَبَ الزُّبَيْرُ فَنَظَرَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْتهمْ يُصْلِحُونَ حُصُونَهُمْ وَيُدْرِبُونَ طُرُقَهُمْ وَقَدْ جَمَعُوا مَاشِيَتَهُمْ»[3].

٢. حِرْصُ القِيَادَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى الاسْتِطْلَاعِ بِشَكْلٍ دَائِمٍ[4]، وَمِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ، وَالحِفَاظُ عَلَى المَعْنَوِيَّاتِ القَوِيَّةِ لِلْمُقَاتِلِينَ، وَمُحَارَبَةِ أَيِّ مُثَبِّطَاتٍ نَفْسِيَّةٍ لَهُمْ:

بَعْدَمَا وَصَلَ الخَبَرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الاسْتِخْبَارَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ، قَامَ بِإِرْسَالِ «الزُّبَيْرِ رضي الله عنه» فِي اسْتِطْلَاعٍ مَبْدَئِيٍّ، وَرَجَعَ بِأَنَّ «بَنِي قُرَيْظَةَ» تَقُومُ بِأَعْمَالٍ مُرِيبَةٍ، وَهِيَ أَعْمَالُ الاسْتِعْدَادِ لِلْقِتَالِ كَمَا مَرَّ مَعَنَا آنِفًا، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ

---

(١) السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ (١/٥٢٢).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٤١١٣) كِتَابُ المَغَازِي–بَابُ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ وَهِيَ الأَحْزَابُ.

(٣) المَغَازِي لِلْوَاقِدِيِّ (٢/٤٥٧).

(٤) وَمِنَ المَعْلُومِ فِي الحَرْبِ الحَدِيثَةِ أَنَّ الاسْتِطْلَاعَ يَكُونُ بِشَكْلٍ دَائِمٍ وَمُسْتَمِرٍّ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ تَجَدُّدِ المَعْلُومَاتِ وَالمُسْتَجَدَّاتِ وَالمُتَغَيِّرَاتِ، وَلِأَنَّهُ كُلَّمَا زَادَتِ المَعْلُومَاتُ زَادَتْ إِمْكَانِيَّتُكَ فِي التَّعَامُلِ مَعَ المَوْقِفِ، وَيَكُونُ الاسْتِطْلَاعُ قَبْلَ المَعْرَكَةِ وَفِي أَثْنَائِهَا وَبَعْدَهَا، وَيَكُونُ فِي السِّلْمِ وَالحَرْبِ، وَهَذَا الأَمْرُ كَانَ مَعْمُولًا بِهِ عَلَى نَحْوٍ فَعَّالٍ فِي غَزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا.

السَّـــعْدَيْنِ إِلَى «بَنِي قُرَيْظَةَ»، فَقَالَ لَهُمْ: «**انْطَلِقُوا حَتَّى تَنْظُرُوا، أَحَقٌّ مَا بَلَغَنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْ لَا؟ فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَنُوا لِي لَحْنًا أَعْرِفُهُ**[1]، **وَلَا تَفُتُّوا فِي أَعْضَـــادِ النَّـاسِ، وَإِنْ كَـانُوا عَلَى الْوَفَـاءِ فِيمَـا بَيْنَنَـا وَبَيْنَهُمْ فَـاجْهَرُوا بِـهِ لِلنَّـاسِ**». قَـالَ: فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْهُمْ، فَوَجَدُوهُمْ عَلَى أَخْبَثِ مَا بَلَغَهُمْ عَنْهُمْ، فِيمَا نَالُوا مِنْ رَسُــولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالُوا: مَنْ رَسُـولُ اللَّهِ؟ لَا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَا عَقْدَ. فَشَـاتَمَهُمْ سَـعْدُ ابْن مُعَاذٍ وَشَـاتَمُوهُ، وَكَانَ رَجُلًا فِيهِ حِدَّةٌ، فَقَالَ لَهُ سَـعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: دَعْ عَنْكَ مُشَـاتَمَتَهُمْ، فَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَرْبَى مِنْ الْمُشَاتَمَةِ. ثُمَّ أَقْبَلَ سَعْدٌ وَسَعْدٌ وَمَنْ مَعَهُمَا، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَـلَّمُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالُوا: عَضَــلٌ وَالْقَارَّةُ، أَيْ كَغَدْرِ عَضَــلٍ وَالْقَارَّةِ بِأَصْــحَابِ الرَّجِيعِ، خُبَيْبٍ وَأَصْــحَابِهِ، فَقَالَ رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ، أَبْشِــرُوا يَا مَعْشَــرَ الْمُسْلِمِينَ**[2]»[3].

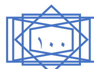
٣.نَشْرُ الاسْتِخْبَارَاتِ العَسْكَرِيَّةِ وَالتَّعَامُلُ مَعَ المُسْتَجَدَّاتِ:

وَمِنْ جَدِيدٍ أَرْسَــلَتِ الاسْــتِخْبَارَاتُ النَّبَوِيَّةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ «بَنِي قُرَيْظَةَ قَرَّرَتِ الإِغَارَةَ عَلَى بَيْضَــةِ الْمَدِينَةِ لَيْلًا، وَقَدْ أَرْسَــلُوا حُيَيَّ بْنَ أَخْطَبَ إِلَى قُرَيْشٍ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مِنْهُمْ أَلْفُ رَجُلٍ وَمِنْ غَطَفَانَ أَلْفٌ فَيُغِيرُوا بِهِمْ.

(١) يَظْهَرُ هُنَا حِرْصُ النَّبِيِّ ﷺ وَاهْتِمَامِهِ بِالتَّكَتُّمِ عَلَى الأَخْبَارِ الَّتِي قَدْ تُحْبِطُ المَعْنَوِيَّاتِ، وَعَدَمِ الإِعْلَانِ بِهَا إِلَّا وَقْتَ الحَاجَةِ، خَاصَّةً وَأَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ مَشْغُولُونَ بِحَفْرِ الخَنْدَقِ، وَقَدْ أَصَابَهُمْ مِنَ الخَوْفِ وَالرَّوعِ مِنْ جَرَّاءِ تَجَمُّعِ الأَحْزَابِ مَا أَصَابَهُمْ، فَكَيْفَ كَانَتْ حَالُهُمْ لِتَكُونَ لَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ جِيرَانَهُمْ وَحُلَفَاءَهُمْ مِنْ «بَنِي قُرَيْظَةَ» قَدْ نَقَضُوا العَهْدَ وَانْقَلَبُوا عَلَيْهِمْ.

(٢) هُنَا يَظْهَرُ اهْتِمَامُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِرَفْعِ مَعْنَوِيَّاتِ أَصْحَابِهِ وَإِعْلَاءِ هِمَمِهِمْ، رُغْمَ عِلْمِهِ وَإِحَاطَتِهِ بِالظُّرُوفِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا جَيْشُ المُسْلِمِينَ.

(٣) السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَدَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِلبَيْهَقِيِّ (٣/٤٢٩-٤٣٠).



فَجَاءَ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْخَبَرُ بِذَلِكَ فَعَظُمَ الْبَلَاءُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَبْعَثُ سَلَمَةَ بْنَ أَسْلَمَ بْنِ حَرِيشٍ الْأَشْهَلِيِّ فِي مِائَتَيْ رَجُلٍ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ يَحْرُسُونَ الْمَدِينَةَ وَيُظْهِرُونَ التَّكْبِيرَ، وَمَعَهُمْ خَيْلُ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا أَصْبَحُوا أَمِنُوا»(١).

٤. اسْتِخْدَامُهُ ﷺ لِأُسْلُوبِ الدَّوْرِيَّاتِ(٢):

وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَطُوفُونَ بِالْخَنْدَقِ عَلَى شَكْلِ دَوْرِيَّاتٍ حَتَّى الصَّبَاحِ وَيَتَنَاوَبُونَ ذَلِكَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَكَانُوا عَلَى أَشَدِّ الحَذَرِ وَالحِيطَةِ مِنْ أَيِّ خَطَرٍ.

«عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ قَالَ: خَرَجَ نَبَّاشُ بْنُ قَيْسٍ لَيْلَةً مِنْ حِصْنِهِمْ يُرِيدُ الْمَدِينَةَ، وَمَعَهُ عَشَرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ أَشِدَّائِهِمْ وَهُمْ يَقُولُونَ عَسَى أَنْ نُصِيبَ مِنْهُمْ غِرَّةً. فَانْتَهَوْا إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَيَجِدُونَ نَفَرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَصْحَابِ سَلَمَةَ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ حَرِيشٍ فَنَاهَضُوهُمْ، فَرَامُوهُمْ سَاعَةً بِالنَّبْلِ، ثُمَّ انْكَشَفَ الْقُرَيْظِيُّونَ مُوَلِّينَ.

وَبَلَغَ سَلَمَةَ بْنَ أَسْلَمَ وَهُمْ بِنَاحِيَةِ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَقْبَلَ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى حُصُونِهِمْ، فَجَعَلُوا يُطِيفُونَ بِحُصُونِهِمْ حَتَّى خَافَتْ الْيَهُودُ، وَأَوْقَدُوا النِّيرَانَ عَلَى آطَامِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا يَطْلُعُوا مِنْ حِصْنِهِمْ، وَخَافُوا خَوْفًا شَدِيدًا»(٣).

٥. اسْتِخْدَامُهُ ﷺ الحَرْبَ النَّفْسِيَّةَ:

إِنَّ الحَرْبَ الحَدِيثَةَ تَعْتَمِدُ عَلَى بَثِّ الشَّائِعَاتِ المُثِيرَةِ لِتَصْدِيعِ الصُّفُوفِ وَبَلْبَلَةِ الأَفْكَارِ، وَقِسْمُ بَثِّ الشَّائِعَاتِ لَهُوَ مِنْ أَهَمِّ أَقْسَامِ شُعَبِ الاسْتِخْبَارَاتِ فِي تَشْكِيلَاتِ الجُيُوشِ، وَهِيَ أُسْلُوبٌ مِنْ أَشَدِّ أَسَالِيبِ الحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ فَتْكًا.

---

(١) المَغَازِي لِلوَاقِدِيِّ (٢/٤٦٠).

(٢) الدَّوْرِيَّاتُ هِيَ عَمَلِيَّةُ إِرْسَالٍ لِلقُوَّاتِ بِشَكْلٍ مُفَاجِيءٍ عَلَى مَوَاقِعِ العَدُوِّ وَمَرَاكِزِهِ وَعَلَى دَوْرِيَّاتِهِ وَقُرْبَ خُطُوطِهِ التَّقْلِيدِيَّةِ، وَيُسْتَخْدَمُ لِزَعْزَعَةِ العَدُوِّ وَتَشْتِيتِهِ وَقَلْبِ خِطَطِهِ، كَمَا تُسْتَخْدَمُ أَيْضًا فِي الحِمَايَةِ وَالاسْتِطْلَاعِ.

(٣) المَغَازِي لِلوَاقِدِيِّ (٢/٤٦٢).

وَقَدِ اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الأُسْلُوبَ فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ عِنْدَمَا كَلَّفَ بِهَذِهِ المُهِمَّةِ «نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودٍ الغَطَفَانِيَّ رضي الله عنه» عِنْدَمَا أَتَاهُ مُسْلِمًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّمَا أَنْتُ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا إِنِ اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ**»(١).

قَالَ «ابْنُ هِشَامٍ»: «قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فِيمَا وَصَفَ اللَّهُ مِنْ الْخَوْفِ وَالشِّدَّةِ، لِتَظَاهُرِ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ، وَإِتْيَانِهِمْ إِيَّاهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّ نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ عَامِرِ بْنِ أُنَيْفِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ قُنْفُذِ بْنِ هِلَالِ بْنِ خَلَاوَةَ بْنِ أَشْجَعَ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، وَإِنَّ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّمَا أَنْتُ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا إِنْ اسْتَطَعْتُ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ**». فَخَرَجَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَكَانَ لَهُمْ نَدِيمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: يَا بَنِي قُرَيْظَةَ، قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي إِيَّاكُمْ، وَخَاصَّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، قَالُوا: صَدَقْتُ، لَسْتُ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ لَيْسُوا كَأَنْتُمْ، الْبَلَدُ بَلَدُكُمْ، فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ، لَا تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَحَوَّلُوا مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَإِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ قَدْ جَاءُوا لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ ظَاهَرْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ، وَبَلَدُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ بِغَيْرِهِ، فَلَيْسُوا كَأَنْتُمْ، فَإِنْ رَأَوْا نُهْزَةً أَصَابُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ لَحِقُوا بِبِلَادِهِمْ وَخَلَّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ بِبَلَدِكُمْ، وَلَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ إِنْ خَلَا بِكُمْ، فَلَا تُقَاتِلُوا مَعَ الْقَوْمِ حَتَّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ، يَكُونُونَ بِأَيْدِيكُمْ ثِقَةً لَكُمْ عَلَى أَنْ تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُنَاجِزُوهُ، فَقَالُوا لَهُ: لَقَدْ أَشَرْتُ بِالرَّأْيِ.

---

(١) السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَام (٢/٢٢٩).

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، فَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ: قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي لَكُمْ وَفِرَاقِي مُحَمَّدًا، وَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقًّا أَنْ أُبْلِغَكُمُوهُ، نُصْحًا لَكُمْ، فَاكْتُمُوا عَنِّي، فَقَالُوا: نَفْعَلُ، قَالَ: تَعْلَمُوا أَنَّ مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَقَدْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ: إِنَّا قَدْ نَدِمْنَا عَلَى مَا فَعَلْنَا، فَهَلْ يُرْضِيكَ أَنْ نَأْخُذَ لَكَ مِنَ الْقَبِيلَتَيْنِ، مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ رِجَالًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَنُعْطِيكَهُمْ، فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ ثُمَّ نَكُونُ مَعَكَ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُمْ؟ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ: أَنْ نَعَمْ. فَإِنْ بَعَثَتْ إِلَيْكُمْ يَهُودُ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُمْ رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ فَلَا تَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا.

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى غَطَفَانَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ، إِنَّكُمْ أَصْلِي وَعَشِيرَتِي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَا أَرَاكُمْ تَتَّهِمُونِي، قَالُوا: صَدَقْتُ، مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ، قَالَ: فَاكْتُمُوا عَنِّي، قَالُوا: نَفْعَلُ، فَمَا أَمْرُكَ؟، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ وَحَذَّرَهُمْ مَا حَذَّرَهُمْ.

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ السَّبْتِ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ، وَكَانَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ لِرَسُولِهِ ﷺ أَنْ أَرْسَلَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَرُءُوسُ غَطَفَانَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ، فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ، فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّا لَسْنَا بِدَارِ مُقَامٍ، قَدْ هَلَكَ الْخُفُّ وَالْحَافِرُ ، فَاغْدُوا لِلْقِتَالِ حَتَّى نُنَاجِزَ مُحَمَّدًا، وَنَفْرُغَ مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ: إِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ، وَهُوَ يَوْمٌ لَا نَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا، وَقَدْ كَانَ أَحْدَثَ فِيهِ بَعْضُنَا حَدَثًا، فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكُمْ، وَلَسْنَا مَعَ ذَلِكَ بِالَّذِينَ نُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُعْطُونَا رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ، يَكُونُونَ بِأَيْدِينَا ثِقَةً لَنَا حَتَّى نُنَاجِزَ مُحَمَّدًا، فَإِنَّا نَخْشَى إِنَّ ضَرَّسَتْكُمُ الْحَرْبُ، وَاشْتَدَّ عَلَيْكُمْ الْقِتَال أَن تَنْشُرُوا إِلَى بِلَادِكُمْ وَتَتْرُكُونَا، وَالرَّجُلَ فِي بَلَدِنَا، وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِذَلِكَ مِنْهُ.

فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهِمْ الرُّسُلُ بِمَا قَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، قَالَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ: وَاَللَّهِ إنَّ الَّذِي حَدَّثَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقٌّ، فَأَرْسِلُوا بَنِي قُرَيْظَةَ: إنَّا وَاَللَّهِ لَا نَدْفَعُ إلَيْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ رِجَالِنَا، فَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْقِتَالَ فَاخْرُجُوا فَقَاتِلُوا، فَقَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، حِينَ انْتَهَتْ الرُّسُلُ إلَيْهِمْ بِهَذَا: إنَّ الَّذِي ذَكَرَ لَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقٌّ، مَا يُرِيدُ الْقَوْمُ إلَّا أَنْ يُقَاتِلُوا، فَإِنْ رَأَوْا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ انْشَمَرُوا إلَى بِلَادِهِمْ. وَخَلَّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ فِي بَلَدِكُمْ، فَأَرْسِلُوا إلَى قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ: إنَّا وَاَللَّهِ لَا نُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُعْطُونَا رَهْنًا، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ، وَخَذَّلَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ، وَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الرِّيحَ فِي لَيَالٍ شَاتِيَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، فَجَعَلَتْ تَكْفَأُ قُدُورَهُمْ، وَتَطْرَحُ أَبْنِيَتَهُمْ»(١).

٦.الانْدِسَاسُ فِي صُفُوفِ العَدُوِّ(٢):

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: قَالَ فَتًى مِنَّا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، رَأَيْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَصَحِبْتُمُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ: فَكَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ كُنَّا نَجْهَدُ، قَالَ: وَاللهِ لَوْ أَدْرَكْنَاهُ مَا تَرَكْنَاهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَلَجَعَلْنَاهُ عَلَى أَعْنَاقِنَا، قَالَ: فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْخَنْدَقِ، وَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ هَوِيًّا، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «**مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرَ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ يَشْرُطُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ يَرْجِعُ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ**»، فَمَا قَامَ رَجُلٌ، ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «**مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرَ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ، ثُمَّ يَرْجِعُ يَشْرِطُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجْعَةَ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ**»، فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعَ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَشِدَّةِ الْجُوعِ، وَشِدَّةِ الْبَرْدِ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ دَعَانِي رَسُولُ اللهِ

(١) السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ (٢/٢٣١).

(٢) وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَتَوَافَرَ فِيمَنْ يُكَلَّفُ بِالمَهَامِ الصَّعْبَةِ وَالخَاصَّةِ بَعْضُ الصِّفَاتِ الدَّقِيقَةِ، مِنْ أَهَمِّهَا الذَّكَاءُ وَسُرْعَةُ البَدِيهَةِ، وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ.

ﷺ، فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي، فَقَالَ: «**يَا حُذَيْفَةُ، فَاذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ فَانْظُرْ مَا يَفْعَلُونَ، وَلَا تُحْدِثَنَّ شَـــيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا**»، قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ، وَالرِّيحُ وَجُنُودُ اللهِ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ لَا تَقِرُّ لَهُمْ قِدْرًا، وَلَا نَارًا وَلَا بِنَاءً، فَقَامَ أَبُو سُـــفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَـــرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرْ امْرُؤٌ مَنْ جَلِيسُـــهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي إِلَى جَنْبِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ وَاللهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ، وَبَلَغَنَا عَنْهُمُ الَّذِي نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ، وَاللهِ مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ، وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ، وَلَا يَسْـتَمْسِـكُ لَنَا بِنَاءٌ، فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ، ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ فَجَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ ضَــــرَبَهُ فَوَثَبَ عَلَى ثَلَاثٍ، فَمَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ، وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي، ثُمَّ شِئْتُ لَقَتَلْتُهُ بِسَـهْمٍ، قَالَ حُذَيْفَةُ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَـلِّي فِي مِرْطٍ لِبَعْضِ نِسَـــائِهِ مُرَحَّلٍ، فَلَمَّا رَآنِي أَدْخَلَنِي إِلَى رَحْلِهِ، وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَـجَدَ وَإِنَّهُ لَفِيهِ، فَلَمَّا سَـلَّمَ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، وَسَـمِعَتْ غَطَفَانُ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ، فَانْشَمَرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ(١)(٢).

---

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٢٣٣٣٤)، وَقَالَ شُعَيْبُ الأَرْنَاؤُوط: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ».

(٢) وَفِي الحَدِيثِ فَائِدَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَهِيَ أَنَّهُ لَا مَجَالَ لِلاجْتِهَادَاتِ فِي الأَوَامِرِ العَسْكَرِيَّةِ، وَعَلَى المُجَاهِدِ أَنْ يَقُومَ بِتَنْفِيذِ الأَوَامِرِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ فِيهَا وَلَا نُقْصَانٍ، فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا نَرَى فِي سَاحَاتِ الجِهَادِ مَنْ يُفْسِدُ العَمَلَ وَالغَايَةَ الَّتِي أُرْسِلَ مِنْ أَجْلِهَا بِسَبَبِ اجْتِهَادَاتٍ شَخْصِيَّةٍ، وَلَعَلَّ مِنَ الأَسْبَابِ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى كَشْفِ مُعَسْكَرِ «عِزِّ الدِّينِ القَسَّامِ» اجْتِهَادَاتٌ شَخْصِيَّةٌ، وَقَدْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى مَقْتَلِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ المُجَاهِدِينَ فِي وَقْتِهَا.

❖ شِدَّةُ تَضَرُّعِ الرَّسُولِ ﷺ وَنُزُولُ النَّصْرِ:

وَعِنْدَمَا اشْتَدَّ الكَرْبُ عَلَى المُسْلِمِينَ تَوَجَّهُوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ مِنْ شَيْءٍ نَقُولُهُ؟ فَقَدْ بَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ. فَقَالَ: «**نَعَم، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا**»[(١)]. وَثَبُتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ دَعَا عَلَى الأحْزَابِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ**»[(٢)]، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا مِنَ المَلَائِكَةِ، فَزَلْزَلُوهُمْ وَقَذَفُوا فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وَكَفَأَتِ الرِّيحُ قُدُورَهُمْ وَقَلَعَتْ خِيَامَهُمْ وَضَرَبَهُمُ البَرْدُ القَارِسُ حَتَّى لَمْ يُقَرَّ لَهُمْ قَرَارٌ، وَبَدَأُوا يَتَهَيَّؤُونَ لِلرَّحِيلِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا.

❖ مِنْ نَتَائِجِهَا:

كَانَتْ غَزْوَةُ «الأحْزَابِ» فَاصِلَةً فِي حَيَاةِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَهَا: «**اليَوْمَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ**»[(٣)].

---

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (١٠٩٩٦) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﭬ، وَقَالَ شُعَيْبُ الأَرْنَاؤُوط: «إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وَفِيهِ سَقْطٌ»، وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعِ الفَوَائِدِ (١٠/١٣٦): «رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالبَزَّارُ، وَإِسْنَادُ البَزَّارِ مُتَّصِلٌ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَكَذَلِكَ رِجَالُ أَحْمَدَ، إِلَّا أَنَّ فِي نُسْخَتِي مِنَ المُسْنَدِ: عَنْ رُبَيْحِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، وَهُوَ فِي البَزَّارِ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ».

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٢٩٣٣) كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ-بَابُ الدُّعَاءِ عَلَى المُشْرِكِينَ بِالهَزِيمَةِ وَالزَّلْزَلَةِ، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ٢١ (١٧٢٢) كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ-بَابُ اسْتِحْبَابِ الدُّعَاءِ بِالنَّصْرِ عِنْدَ لِقَاءِ العَدُوِّ، كِلَاهُمَا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ﭬ.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٤١١٠) مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدٍ ﭬ، كِتَابُ المَغَازِي-بَابُ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ وَهِيَ الأَحْزَابُ.

❖ دُرُوسٌ مِنْ غَزْوَةِ «الأَحْزَابِ»:

١. إنَّ غَزْوَةَ «الأَحْزَابِ» تَتَكَرَّرُ فِي زَمَانِنَا هَذَا كَثِيرًا، حَيْثُ يَتَكَالَبُ الأَعْدَاءُ وَيَتَحَالَفُونَ لِلقَضَاءِ عَلَى الإِسْلَامِ.

٢. إنَّ غَزْوَةَ «الأَحْزَابِ» تُعَلِّمُنَا أَنَّ النَّصرَ وَجَلْبَهُ وَتَأْخِيرَهُ إِنَّمَا هُوَ بِأَيْدِينَا؛ فَإِنْ نَصَرْنَا اللهَ ﷻ جَاءَنَا النَّصْرُ، وَإِنِ ابْتَعَدْنَا عَنْ مَنْهَجِ اللهِ وَهَجَرْنَا كِتَابَهُ ابْتَعَدَ عَنَّا النَّصْرُ وَتَأَخَّرَ، قَالَ تَعَالَى: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ: ٧].

٣. إنَّ الكُفَّارَ مَهْمَا أَعَدُّوا لِضَرْبِ المُسْلِمِينَ، وَمَهْمَا فَعَلُوا وَخَطَّطُوا وَمَكَرُوا فَإِنَّ مَكْرَهُمْ سَيَرْتَدُّ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ نُورَ اللهِ لَا يَنْطَفِئُ.

٤. إنَّ غَزْوَةَ «الأَحْزَابِ» تُعْطِينَا دَرْسًا فِي قَطْعِ العِلَاقَاتِ وَتَجَنُّبِ تَوْقِيعِ المُعَاهَدَاتِ مَعَ اليَهُودِ؛ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ غَدْرٍ وَلَا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا مِيثَاق، قَالَ ﷻ: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ١٣].

٥. **اهْتِمَامُ النَّبِيِّ ﷺ بِالصَّلَاةِ وَأَدَائِهَا فِي وَقْتِهَا:** فَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المُشْرِكِينَ لِأَنَّهُمْ شَغَلُوا المُسْلِمِينَ عَنِ الصَّلَاةِ بِسَبَبِ انْشِغَالِ المُسْلِمِينَ بِصَدِّهِمْ وَرَدِّ

هَجَمَاتِهِمْ، فَقَالَ: «**مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ**»(١).

٦. **التَّفَاؤُلُ وَالأَمَلُ:** فَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ كُلِّ الظُّرُوفِ العَصِيبَةِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِالمُسْلِمِينَ مِنْ حِصَارٍ جَمَاعِيٍّ وَجُوعٍ وَخَوْفٍ وَشِدَّةِ بَرْدٍ وَمُعَانَاةٍ شَدِيدَةٍ فِي حَفْرِ الخَنْدَقِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَيْأَسُوا وَلَمْ يَفْقِدُوا ثِقَتَهُمْ بِوَعْدِ اللهِ وَنَصْرِهِ، بَلْ ازْدَادُوا إِيمَانًا وَيَقِينًا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ: ٢٢].

٧. **أَهَمِّيَّةُ الدُّعَاءِ:** فَرَسُولُ اللهِ ﷺ لَجَأَ إِلَى الدُّعَاءِ، هَذَا السِّلَاحُ القَوِيُّ، عِنْدَمَا اشْتَدَّ الكَرْبُ عَلَى المُسْلِمِينَ.



(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٢٩٣١) كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ–بَابُ الدُّعَاءِ عَلَى المُشْرِكِينَ بِالهَزِيمَةِ وَالزَّلْزَلَةِ، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ٢٠٢ (٦٢٧) كِتَابُ المَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ–بَابُ التَّغْلِيظِ فِي تَفْوِيتِ صَلَاةِ الْعَصْرِ، كِلَاهُمَا مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ.

البَابُ التَاسِعُ

حَـرْبُ يَـهُود

مِنَ الخُطُوَاتِ الهَامَّةِ الَّتِي اتَّخَذَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بِنَائِهِ لِلدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ الجَدِيدَةِ فِي «المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ» إِصْدَارُ وَثِيقَةٍ(١) نَظَّمَ بِمُوجَبِهَا العَلَاقَاتِ بَيْنَ المُجْتَمَعِ المُسْلِمِ الجَدِيدِ نَفْسِهِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الكُتَلِ البَشَرِيَّةِ الَّتِي تَعَايَشَتْ فِي «المَدِينَةِ»، وَبِخَاصَّةٍ اليَهُودُ، إِذْ كَانَ مِنَ الضَّرُورِيِّ تَنْظِيمُ العَلَاقَةِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَأَنْفُسِهِمْ وَبَيْنَ المُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ وَخُصُوصًا بَعْدَ الفَتْرَةِ القَبَائِلِيَّةِ وَالعَصَائِبِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَسُودُ الجَزِيرَةَ العَرَبِيَّةَ آنَ ذَاكَ، مِنْ أَجْلِ تَوْفِيرِ العَدْلِ وَالسَّلَامِ لِلمُجْتَمَعِ أَجْمَع، وَقَدْ جَاءَ فِي هَذِهِ الوَثِيقَةِ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِب، وَمَنْ تَبِعَهُمْ، فَلَحِقَ بِهِمْ، وَجَاهَدَ مَعَهُمْ،

إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ، الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ، بَيْنَهُمْ، وَهُمْ يَفْدُونَ عَانِيَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ،

وَبَنُو عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ(٢) يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، كُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا

---

(١) أَطْلَقَ ابْنُ إِسْحَقَ وَالمُتَقَدِّمُونَ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ وَالمَغَازِي عَلَى هَذِهِ الوَثِيقَةِ اسْمَ المُوَادَعَةِ، وَسَمَّاهَا الصَّلَّابِيُّ الوَثِيقَةَ أَوِ الصَّحِيفَةَ، وَأَطْلَقَ عَلَيْهَا صَفِيُّ الرَّحْمَنِ المُبَارَكْفُورِيّ مِيثَاقَ التَّحَالُفِ الإِسْلَامِيِّ، وَسَمَّاهَا الحُمَيْدِيُّ صَحِيفَةَ المُعَاهَدَةِ بَيْنَ أَهْلِ المَدِينَةِ، وَسَمَّاهَا البُوطِيُّ وَثِيقَةً بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَقَدْ آثَرْنَا نَحْنُ تَسْمِيَتَهَا بِالدُّسْتُورِ؛ فَهُوَ المُصْطَلَحُ الرَّسْمِيُّ المُتَعَارَفُ عَلَيْهِ، وَالَّذِي يُسْتَخْدَمُ فِي الآوِنَةِ المُتَأَخِّرَةِ لِلوَثِيقَةِ الَّتِي تُنَظِّمُ شَأْنَ الدَّوْلَةِ، فَالمُعَاهَدَاتُ تُنَظِّمُ العَلَاقَاتِ الخَارِجِيَّةَ بَيْنَ دَوْلَةٍ وَأُخْرَى، أَمَّا الدُّسْتُورُ فَيُطْلَقُ عَلَى الوَثِيقَةِ الَّتِي تُنَظِّمُ الشَّأْنَ العَامَّ الدَّاخِلِيَّ لِلدَّوْلَةِ.

(٢) قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ وَالأَثَرِ (١٨٩/٢): «إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ عَلَى رِبَاعَتِهِمْ: يُقَالُ القَوْمُ عَلَى رِبَاعَتِهِمْ وَرِبَاعِهِمْ: أَيْ عَلَى اسْتِقَامَتِهِمْ، يُرِيدُ أَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ. وَرِبَاعَةُ الرَّجُلِ: شَأْنُهُ وَحَالُهُ الَّتِي هُوَ رَابِعٌ عَلَيْهَا: أَيْ ثَابِتٌ مُقِيمٌ».

بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو سَاعِدَةَ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو الْحَارِثِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو جُشَمٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهِمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو النَّجَّارِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو النَّبِيتِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو الْأَوْسِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ،

وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا [١] بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلٍ.

وَأَنْ لَا يُحَالِفَ مُؤْمِنٌ مَوْلَى مُؤْمِنٍ دُونَهُ،

وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ، أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةَ [٢] ظُلْمٍ، أَوْ إِثْمٍ، أَوْ عُدْوَانٍ، أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا، وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ،

وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ، وَلَا يَنْصُرُ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ،

وَإِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ وَاحِدَةٌ، يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ،

وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ،

وَإِنَّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسْوَةَ، غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصَرِينَ

---

(١) قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ (٣/٤٢٤): «وَلَا يُتْرَكُ فِي الْإِسْلَامِ مُفْرَحٌ: هُوَ الَّذِي أَثْقَلَهُ الدَّيْنُ وَالغُرْمُ. وَقَدْ أَفْرَحَهُ يُفْرِحُهُ إِذَا أَثْقَلَهُ. وَأَفْرَحَهُ إِذَا غَمَّهُ. وَحَقِيقَتُهُ: أَزَلْتُ عَنْهُ الفَرَحَ».

(٢) قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ (٢/١١٧): «أَوِ ابْتَغَى دَسِيعَةَ ظُلْمٍ: أَيْ طَلَبَ دَفْعًا عَلَى سَبِيلِ الظُّلْمِ... وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالدَّسِيعَةِ العَطِيَّةَ: أَي ابْتَغَى مِنْهُمْ أَنْ يَدفَعُوا إِلَيْهِ عَطِيَّةً عَلَى وَجْهِ ظُلْمِهِمْ».

عَلَيْهِمْ،

وَإِنَّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ، لَا يُسَالَمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ،

وَإِنَّ كُلَّ غَازِيَةٍ غَزَتْ مَعَنَا يُعْقِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا،

وَإِن الْمُؤمِنِينَ يَبِيءُ [(١)] بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِمَا نَالَ دِمَاءَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،

وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى أَحْسَنِ هُدًى وَأَقْوَمِهِ،

وَإِنَّهُ لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالًا لِقُرَيْشٍ وَلَا نَفْسًا، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ عَلَى مُؤْمِنٍ،

وَإِنَّهُ مَنْ اعْتَبَطَ [(٢)] مُؤْمِنًا قَتْلًا عَنْ بَيِّنَةٍ فَإِنَّهُ قَوَدٌ بِهِ إِلَّا أَنْ يَرْضَى وَلِيُّ الْمَقْتُولِ،

وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافَّةٌ، وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ إِلَّا قِيَامٌ عَلَيْهِ،

وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَقَرَّ بِمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، أَنْ يَنْصُرَ مُحْدِثًا وَلَا يُؤْوِيهِ، وَأَنَّهُ مَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ، فَإِنَّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ،

وَإِنَّكُمْ مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ،

وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ،

وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ،

لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمَيْنِ دِينُهُمْ، مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ، فَإِنَّهُ لَا يُوتِغُ [(٣)] إِلَّا نَفْسَهُ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ،

وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي النَّجَّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا

---

(١) قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ (١/١٥٩): «وَأَصْلُ البَوَاءِ اللُّزُومُ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا» أَي الْتَزَمَهُ وَرَجَعَ بِهِ».

(٢) قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ (٣/١٧٢): «مَنِ اعْتَبَطَ مُؤْمِنًا قَتْلًا فَإِنَّهُ قَوَدٌ: أَيْ قَتَلَهُ بِلَا جِنَايَةٍ كَانَتْ مِنْهُ وَلَا جَرِيرَةٍ تُوجِبُ قَتْلَهُ».

(٣) قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ (٥/١٤٩): «حَتَّى يَكُونَ عَمَلُهُ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُهُ أَوْ يُوتِغُهُ: أَيْ يُهْلِكُهُ».

لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ، فَإِنَّهُ لَا يُوتِغُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ،

وَإِنَّ جَفْنَةَ بَطْنٌ مِنْ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ،

وَإِنَّ لِبَنِي الشَّطِيبَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ،

وَإِنَّ الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ، وَإِنَّ مَوَالِيَ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ،

وَإِنَّ بِطَانَةَ يَهُودَ كَأَنْفُسِهِمْ،

وَإِنَّهُ لَا يَخْرَجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ،

وَإِنَّهُ لَا يُنْحَجَزُ عَلَى ثَأْرٍ جُرْحٌ،

وَإِنَّهُ مَنْ فَتَكَ فَبِنَفْسِهِ فَتَكَ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ، إِلَّا مِنْ ظَلَمَ،

وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَبَرِّ هَذَا،

وَإِنَّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتَهُمْ، وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النُّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ، وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ،

وَإِنَّهُ لَمْ يَأْثَمْ امْرُؤٌ بِحَلِيفِهِ،

وَإِنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ،

وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ،

وَإِنَّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ،

وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍّ وَلَا آثِمٌ،

وَإِنَّهُ لَا تُجَارُ حُرْمَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا،

وَإِنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَتْقَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبَرِّهِ،
وَإِنَّهُ لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا،
وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ،
وَإِذَا دُعُوا إِلَى صُلْحٍ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ، فَإِنَّهُمْ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ، وَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، إِلَّا مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ، عَلَى كُلِّ أُنَاسٍ حِصَّتُهُمْ مِنْ جَانِبِهِمْ الَّذِي قِبَلَهُمْ،
وَإِنَّ يَهُودَ الْأَوْسِ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ، عَلَى مِثْلِ مَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، مَعَ الْبِرِّ الْمَحْضِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ.
وَإِنَّ الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ، لَا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ،
وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبَرِّهِ،
وَإِنَّهُ لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَآثِمٍ، وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ، وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ،
وَإِنَّ اللَّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَى، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» (١).

وَالمُتَأَمِّلُ فِي بُنُودِ هَذِهِ الوَثِيقَةِ يُدْرِكُ مَدَى العَدَالَةِ وَالكَرَمِ اللَّامُتَنَاهِي الَّذِي اتَّسَمَتْ بِهِ مُعَامَلَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْيَهُودِ، كَمَا أَنَّهَا اشْتَمَلَتْ عَلَى جَمِيعِ مَا تَحْتَاجُهُ الدَّوْلَةُ، وَتَنْتَظِمُ بِهِ عِلَاقَةُ الأَفْرَادِ بِالدَّوْلَةِ، وَعَلَاقَةُ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ.

وَسَنُرَكِّزُ فَقَطْ عَلَى بَعْضِ بُنُودِ الوَثِيقَةِ، وَالَّتِي تَخُصُّ يَهُودَ «المَدِينَةِ»، وَهُمْ «بَنُو قَيْنُقَاع» وَ«بَنُو النَّضِيرِ» وَ«بَنُو قُرَيْظَةَ»:

١. **رَدْعُ الخَائِنِينَ لِلعُهُودِ: «وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ، أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةَ ظُلْمٍ، أَوْ إِثْمٍ، أَوْ عُدْوَانٍ، أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ**

(١) السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ (٢/١٤٧-١٥٠).

جَمِيعًا، وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ».

٢. **حِمَايَةُ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَالأَقَلِّيَّاتِ غَيْرِ الإِسْلَامِيَّةِ: «وَإِنَّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسْوَةَ، غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصَرِينَ عَلَيْهِمْ».**

وَهَذَا الأَمْرُ أَصْلٌ فِي رِعَايَةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَالمُعَاهَدِينَ، أَوِ الأَقَلِّيَّاتِ غَيْرِ الإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تَخْضَعُ لِسِيَادَةِ الدَّوْلَةِ وَسُلْطَانِ المُسْلِمِينَ، فَلَهُمْ حَقُّ النُّصْرَةِ وَالحِمَايَةِ مِنْ أَيِّ عُدْوَانٍ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ سَوَاءً مِنَ المُسْلِمِينَ أَوْ مِنْ غَيْرِ المُسْلِمِينَ، مِنْ دَاخِلِ الدَّوْلَةِ أَوْ مِنْ خَارِجِهَا.

٣. **المَرْجِعِيَّةُ فِي الحُكْمِ إِلَى الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ: وَإِنَّكُمْ مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»، «وَإِنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».**

٤. **حُرِّيَّةُ الاعْتِقَادِ وَمُمَارَسَةِ الشَّعَائِرِ لَهُمْ: «وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمَيْنِ دِينُهُمْ، مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ، فَإِنَّهُ لَا يُوتِغُ إِلَّا نَفْسَهُ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ».**

٥. **الدَّعْمُ المَالِيُّ لِلدِّفَاعِ عَنِ الدَّوْلَةِ مَسْؤُولِيَّةُ الجَمِيعِ: «وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ».**

فَعَلَى كُلِّ يَهُودِ «المَدِينَةِ» الإِنْفَاقُ عَلَى الجَيْشِ الَّذِي سَيَكُونُ عَلَى عَاتِقِهِ حِمَايَةُ «المَدِينَةِ»، وَهُوَ جَيْشُ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ.

٦. **الاسْتِقْلَالُ المَالِيُّ لِكُلِّ طَائِفَةٍ: «وَإِنَّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتَهُمْ».**

٧. **وُجُوبُ الدِّفَاعِ المُشْتَرَكِ ضِدَّ أَيِّ عُدْوَانٍ: «وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ**

يَثْرِبَ»، «وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ».

وَفِي هَذَا النَّصِّ دَلِيلٌ صَرِيحٌ عَلَى وُجُوبِ الدِّفَاعِ المُشْتَرَكِ، ضِدَّ أَيِّ عُدْوَانٍ عَلَى مَبَادِئِ هَذِهِ الوَثِيقَةِ.

٨. **النُّصْحُ وَالبِرُّ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ: «وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النُّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ، وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ».**

فَالأَسَاسُ فِي العَلَاقَةِ بَيْنَ جَمِيعِ طَوَائِفِ الدَّوْلَةِ هُوَ النُّصْحُ المُتَبَادَلُ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِنَفْعِ البِلَادِ وَالعِبَادِ، «**دُونَ الإِثْمِ**» وَالَّذِي تُحَدِّدُهُ وَتُنَظِّمُهُ الشَّرِيعَةُ الإِسْلَامِيَّةُ.

- **خِيَانَةُ يَهُودٍ وَنَقْضُهَا لِلعُهُودِ وَالمَوَاثِيقِ:**

بَعْدَمَا أَبْرَمَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاهَدَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَهُودِ «المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ» - كَمَا مَرَّ آنِفًا- كَانَ النَّبِيُّ ﷺ حَرِيصًا كُلَّ الحِرْصِ عَلَى تَنْفِيذِ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ المُعَاهَدَةِ، وَبِالفِعْلِ لَمْ يَأْتِ مِنَ المُسْلِمِينَ مَا يُخَالِفُ أَيًّا مِنْ نُصُوصِهَا، وَلَكِنَّ اليَهُودَ الَّذِين مَلَأُوا تَارِيخَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ بِالغَدْرِ وَالخِيَانَةِ وَنَكْثِ العُهُودِ، لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ تَمَاشَوْا مَعَ طَبَائِعِهِمُ القَدِيمَةِ الرَّاسِخَةِ فِيهِمْ، والَّتِي مَسَخَ اللهُ بِهَا أَقْوَامًا مِنْهُمْ وَغَضِبَ عَلَى أَقْوَامٍ أُخَرَ، وَلَزَمُوا طَرِيقَ الدَّسَائِسِ وَالمُؤَامَرَةِ وَالتَّحْرِيشِ وَإِثَارَةِ القَلَاقِلِ وَالاضْطِرَابِ فِي صُفُوفِ المُسْلِمِينَ، وَلَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ سَبَبًا مِنْ أَسْبَابِ الغَدْرِ حَتَّى يُسْتَأْصَلُوا بِهِ.

غَزْوَةُ «بَنِي قَيْنُقَاعٍ»

❖ أَسْبَابُ الغَزْوَةِ:

السَّبَبُ غَيْرُ المُبَاشِرِ: بَعْدَمَا انْتَصَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يومَ «بَدْرٍ» وقَدِمَ «الْمَدِينَةَ»، بَدَأَتْ يَهُودُ بِإخْرَاجِ ضَغَائِنِهِمْ وَالتَّحْرِيشِ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ وقَطَعِ مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْعَهْدِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ الْيَهُودَ فِي سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا**»، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا، لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل فِي ذَلِكَ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [سُورَةُ آل عمران:١٢-١٣](١).

السَّبَبُ المُبَاشِرُ: «أَنَّ امْرَأَةً نَزِيعَةً مِنَ الْعَرَبِ كَانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَبَيْنَمَا هِيَ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، جَلَسَتْ عِنْدَ صَائِغٍ فِي حُلِيٍّ لَهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ يَهُودِ قَيْنُقَاعَ فَجَلَسَ مِنْ وَرَائِهَا وَلَا تَشْعُرُ، فَجَعَلَ ثَوْبَهَا إِلَى ظَهْرِهَا بِشَوْكَةٍ، فَلَمَّا قَامَتِ الْمَرْأَةُ بَدَتْ عَوْرَتُهَا فَضَحِكُوا مِنْهَا. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَاتَّبَعَهُ فَقَتَلَهُ،

---

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ (٣٠٠١) كِتَابُ الخَرَاجِ وَالإِمَارَةِ وَالفَيْءِ-بَابُ كَيْفَ كَانَ إِخْرَاجُ الْيَهُودِ مِنَ الْمَدِينَةِ؟، وَأَوْرَدَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي ضَعِيفِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٤٣٠/٢) وَقَالَ: «هَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ؛ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ مَجْهُولٌ كَمَا قَالَ الحَافِظُ».

فَاجْتَمَعَتْ بَنُو قَيْنُقَاعَ وَتَحَايَشُوا فَقَتَلُوا الرَّجُلَ»(١).

❖ تَحْرِيضُ المُنَافِقِينَ:

«وَقَدْ كَانَ ابْنُ أُبَيٍّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَحَصَّنُوا، وَزَعَمَ أَنَّهُ سَيَدْخُلُ مَعَهُمْ، فَخَذَلَهُمْ وَلَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمْ، وَلَزِمُوا حِصْنَهُمْ فَمَا رَمَوْا بِسَهْمٍ وَلَا قَاتَلُوا حَتَّى نَزَلُوا عَلَى صُلْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحُكْمِهِ، وَأَمْوَالُهُمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ»(٢).

❖ تَحَرُّكُ القِيَادَةِ النَّبَوِيَّةِ:

سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ بَعْدَمَا «اسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ المُنْذِرِ عَلَى المَدِينَةِ»(٣)، وَأَعْطَى لِوَاءَ المُسْلِمِينَ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، «فَحَاصَرَهُمْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً أَشَدَّ الْحِصَارِ حَتَّى قَذَفَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَقَالُوا: أَفَنَنْزِلُ وَنَنْطَلِقُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا، إِلَّا عَلَى حُكْمِي**»، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»(٤).

❖ تَعَامُلُ القِيَادَةِ النَّبَوِيَّةِ مَعَ رَأْسِ النِّفَاقِ:

عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، أَنَّ بَنِي قَيْنُقَاعَ كَانُوا أَوَّلَ يَهُودَ نَقَضُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحَارَبُوا مِنْهَا بَيْنَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ. فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَقَامَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنُ سَلُولَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ أَمْكَنَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْهُمْ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَحْسِنْ فِي مَوَالِيَّ - وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ- فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَحْسِنْ فِي مَوَالِيَّ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ

---

(١) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/١٧٦-١٧٧).

(٢) المَصْدَرُ السَّابِقُ (١/١٧٨).

(٣) المَصْدَرُ السَّابِقُ (١/١٨٠).

(٤) المَصْدَرُ السَّابِقُ (١/١٧٧).

دِرْعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْسِلْنِي**»، وَغَضِبَ حَتَّى رُئِيَ لِوَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ظِلَالٌ، فَقَالَ لَهُ: «**وَيْحَكَ أَرْسِلْنِي**». فَقَالَ: وَاللهِ لَا أُرْسِلُكَ حَتَّى تُحْسِنَ فِي مَوَالِيَّ أَرْبَعُمِائَةِ حَاسِرٍ، وَثَلَاثُمِائَةِ دَارِعٍ، مَنْ مَنَعُونِي مِنَ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ تَحْصُدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ، إِي وَاللهِ إِنِّي لَامْرُؤٌ أَخْشَى الدَّوَائِرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُمْ لَكَ**»(١).

وَيَظْهَرُ فِي هَذَا الخَبَرِ فِقْهُ النَّبِيِّ ﷺ السِّيَاسِيُّ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ «ابْنِ سَلُولٍ»؛ الَّذِي حَرِصَ عَلَى إِحْدَاثِ بَلْبَلَةٍ وَفِتْنَةٍ فِي مُجْتَمَعِ المُؤْمِنِينَ، حَيْثُ لا يَزَالُ الكَثِيرُونَ حَدِيثِي عَهْدٍ بِالإِسْلَامِ، وَلا يَزَالُ نِفَاقُ «ابْنِ سَلُولٍ» لَمْ يَظْهَرْ لِكَثِيرٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ، فَسَلَكَ مَعَهُ ﷺ أُسْلُوبَ المُدَارَاةِ، وَقَدْ حَقَّقَ هَذَا الأُسْلُوبُ نَجَاحًا بَاهِرًا، وَقَدْ ظَهَرَتْ حَقِيقَةُ «ابْنِ سَلُولٍ» لِجَمِيعِ النَّاسِ، حَتَّى لِأَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَمِنْهُمْ وَلَدُهُ «عَبْدُ اللهِ»، فَكَانُوا يَكْبَحُونَهُ وَيَمْنَعُونَهُ تَارَةً، وَيُعَنِّفُونَهُ وَيُهَدِّدُونَهُ تَارَةً أُخْرَى.

❖ تَوْزِيعُ القِيَادَةِ النَّبَوِيَّةِ لِلمَهَامِّ:

١. **إِيثَاقُ الأُسَارَى:** «فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَرُبِطُوا... فَكَانُوا يُكَتَّفُونَ كِتَافًا... وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى كِتَافِهِمُ الْمُنْذِرَ بْنَ قُدَامَةَ السَّالِمِيَّ. قَالَ: فَمَرَّ بِهِمُ ابْنُ أُبَيٍّ وَقَالَ: حُلُّوهُمْ. فَقَالَ الْمُنْذِرُ: أَتَحُلُّونَ قَوْمًا رَبَطَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ وَاللهِ لَا يَحُلُّهُمْ رَجُلٌ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ»(٢).

٢. **قَبْضُ الأَمْوَالِ وَجَمْعُهَا:** وَقَدْ عَيَّنَ ﷺ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بِقَبْضِ أَمْوَالِهِمْ(٣).

٣. **الإِجْلَاءُ وَالتَّرْحِيلُ:** «وقد جَعَلَ ﷺ لذلك عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، وَأَلَحَّ عُبَادَةُ بِالرَّحِيلِ

---

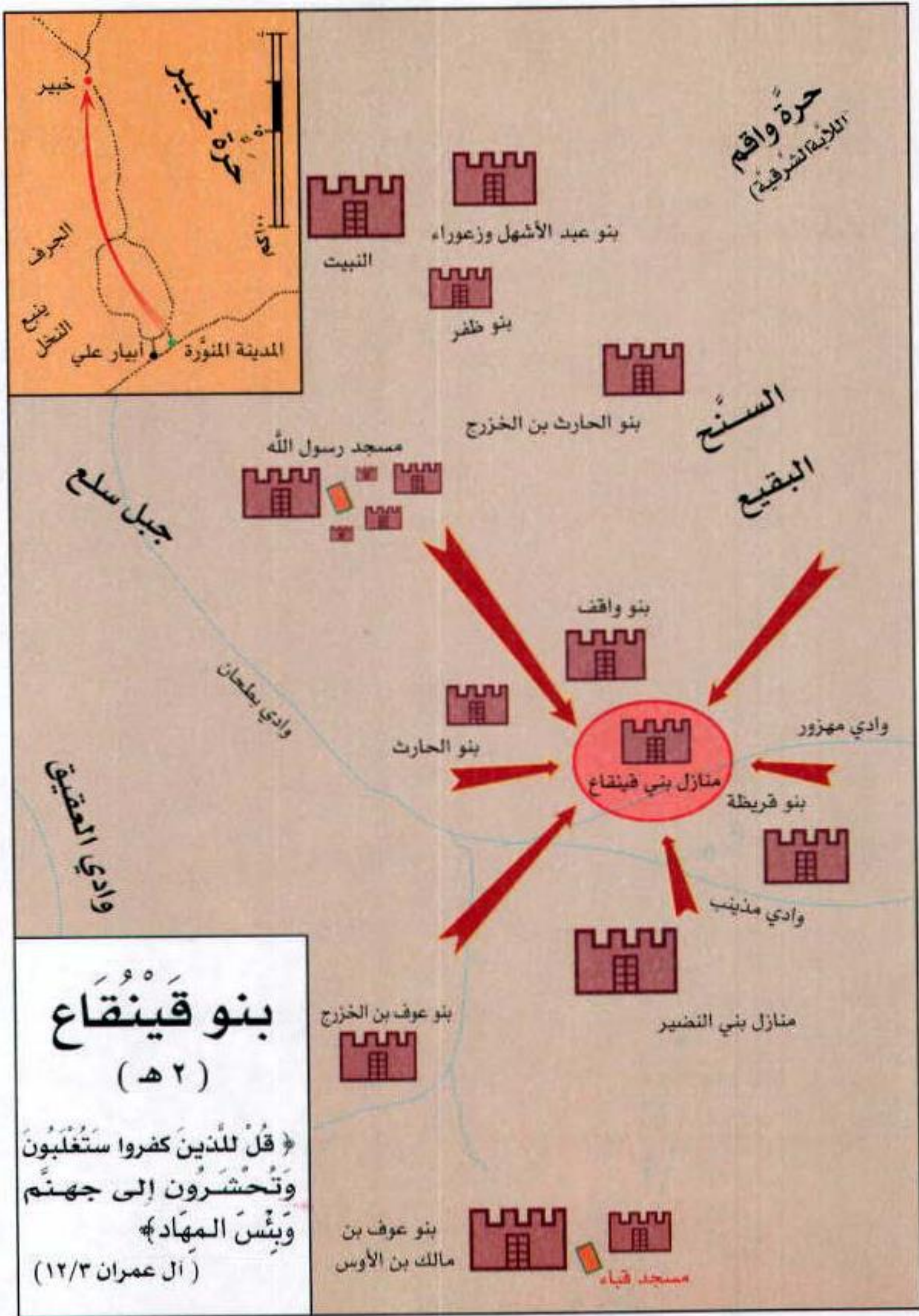
(١) السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ (٣/٥١-٥٢)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ (٣/١٧٤) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٢) المَغَازِي لِلوَاقِدِيِّ (١/١٧٧).

(٣) قَالَ الوَاقِدِيُّ فِي المَغَازِي (١/١٧٨): «كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ هُوَ الَّذِي أَجْلَاهُمْ وَقَبَضَ أَمْوَالَهُمْ».

وَالْإِجْلَاءِ، وَطَلَبُوا التَّنَفُّسَ، فَقَالَ لَهُمْ: وَلَا سَــــاعَةً مِنْ نَهَارٍ، لَكُمْ ثَلَاثٌ لَا أَزِيدُكُمْ عَلَيْهَا، هَذَا أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَوْ كُنْت أَنَا مَا نَفَّسْتُكُمْ. فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثٌ خَرَجَ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى سَلَكُوا إلَى الشَّامِ، وَهُوَ يَقُولُ: الشَّرَفَ الْأَبْعَدَ، الْأَقْصَى، فَأَقْصَى. وَبَلَغَ خَلْفَ ذُبَابٍ، ثُمَّ رَجَعَ وَلَحِقُوا بِأَذْرِعَاتٍ»[1]، وَالَّتِي تَقَعُ عَلَى حُدُودِ الشَّــــامِ، وَبِهَا أقَامُوا، وَلَمْ يَبْقَوْا فِيهَا طَوِيلًا حَتَّى هَلَكَ أَكْثَرُهُمْ، وَبِذَلِكَ تَخَلَّصَ المُسْــــلِمُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ، نِصْــــفِ الطَّابُورِ الخَامِسِ المُفْسِــــدِ الَّذِي كَانَ يَعِيشُ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَيَنْقِلُ أَخْبَارَهُمْ وَيَكْشِفُ أَسْرَارَهُمْ لِأَعْدَائِهِمُ المُشْرِكِينَ.

(١) المَصْدَرُ السَّابِقُ (١/١٧٩).



بنو قَينُقَاع
(٢ هـ)
﴿ قُلْ للَّذِينَ كفروا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إلى جهنَّم وَبِئْسَ المِهَادُ﴾
(آل عمران ٣/١٢)
حرة خيبر
خيبر
الجرف
ينبع النخل
أبيار علي
المدينة المنوَّرة
حرة واقم
(اللابة الشرقية)
بنو عبد الأشهل وزعوراء
النبيت
بنو ظفر
بنو الحارث بن الخزرج
السنح
البقيع
مسجد رسول الله
جبل سلع
بنو واقف
وادي بطحان
بنو الحارث
منازل بني قينقاع
وادي مهزور
بنو قريظة
وادي العقيق
وادي مذينب
منازل بني النضير
بنو عوف بن الخزرج
بنو عوف بن مالك بن الأوس
مسجد قباء

غَزْوَةُ «بَنِي النَّضِيرِ»

قَالَ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ: «كَانَتْ عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ قَبْلَ أُحُدٍ، وَجَعَلَهَا أَبُو إِسْحَاقَ بَعْدَ بِئْرِ مَعُونَةَ وَأُحُدٍ»(١).

بَعْدَ انْتِصَارِ المُسْلِمِينَ فِي مَعْرَكَةِ «بَدْرٍ» وَإِجْلَاءِ يَهُودِ «بَنِي قَيْنُقَاعَ» وَقَتْلِ رَأْسِ الكُفْرِ «كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ» خَنَسَتِ اليَهُودُ عَلَى مَضَضٍ وَقَهْرٍ، حَتَّى كَانَتْ وَقْعَةُ «أُحُدٍ» الَّتِي هُزِمَ فِيهَا المُسْلِمُونَ، فَعَادُوا مِنْ جَدِيدٍ إِلَى مَكْرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَكَاشَفُوا بِالعَدَاوَةِ وَالغَدْرِ، وَاسْتَأْنَفُوا اتِّصَالَاتِهِمْ بِأَهْلِ النِّفَاقِ فِي «المَدِينَةِ» وَأَهْلِ الكُفْرِ بِـ «مَكَّةَ» سِرًّا؛ لِيَأْخُذُوا المُسْلِمِينَ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ، وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ صَبَرَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَمْ يَأْخُذْهُمْ بِدَيْدَنِ اليَهُودِ المُعْتَادِ وَبِجَرِيرَةِ جِيرَانِهِمْ مِنْ «بَنِي قَيْنُقَاعَ».

❖ سَبَبُ الغَزْوَةِ:

«أَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ مِنْ بِئْرِ مَعُونَةَ حَتَّى كَانَ بِقَنَاةٍ، فَلَقِيَ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ فَنَسَبَهُمَا فَانْتَسَبَا، فَقَابَلَهُمَا حَتَّى إِذَا نَامَا وَثَبَ عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا. ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى وَرَدَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ سَاعَتِهِ فِي قَدْرِ حَلْبِ شَاةٍ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِئْسَ مَا صَنَعْتَ، قَدْ كَانَ لَهُمَا مِنَّا أَمَانٌ وَعَهْدٌ**»، فَقَالَ: مَا شَعَرْتُ، كُنْتُ أَرَاهُمَا عَلَى شِرْكِهِمَا، وَكَانَ قَوْمُهُمَا قَدْ نَالُوا مِنَّا مَا نَالُوا مِنَ الْغَدْرِ بِنَا. وَجَاءَ بِسَلَبِهِمَا»(٢).

فَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُ فِي دِيَتِهِمَا، وَكَانَتْ بَنُو النَّضِيرِ حُلَفَاءَ لِبَنِي عَامِرٍ. فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ السَّبْتِ فَصَلَّى فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ وَمَعَهُ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مُعَلَّقًا فِي تَرْجَمَةِ بَابُ حَدِيثِ بَنِي النَّضِيرِ، وَمَخْرَجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فِي دِيَةِ الرَّجُلَيْنِ، وَمَا أَرَادُوا مِنَ الغَدْرِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ- كِتَابُ المَغَازِي.

(٢) المَغَازِي لِلوَاقِدِيِّ (١/٣٦٤).

رَهْطٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، ثُمَّ جَاءَ بَنِي النَّضِيرِ فَيَجِدُهُمْ فِي نَادِيهِمْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَكَلَّمَهُمْ رسول الله ﷺ أن يُعِينُوهُ فِي دِيَةِ الْكِلَابِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ قَتَلَهُمَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ. فَقَالُوا: نَفْعَلُ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا أَحْبَبْت، قَدْ أَنَى لَك أَنْ تَزُورَنَا وَأَنْ تَأْتِيَنَا، اجْلِسْ حَتَّى نُطْعِمَك. وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَنِدٌ إلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ.

ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ إلَى بَعْضٍ فَتَنَاجَوْا، فَقَالَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، قَدْ جَاءَكُمْ مُحَمَّدٌ فِي نَفِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لَا يَبْلُغُونَ عَشَرَةً- وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، وَطَلْحَةُ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ- فَاطْرَحُوا عَلَيْهِ حِجَارَةً مِنْ فَوْقِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ تَحْتَهُ فَاقْتُلُوهُ، فَلَنْ تَجِدُوهُ أَخْلَى مِنْهُ السَّاعَةَ، فَإِنَّهُ إِنْ قُتِلَ تَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ، فَلَحِقَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قُرَيْشٍ بِحَرَمِهِمْ، وَبَقِيَ مَنْ هَاهُنَا مِنْ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ حُلَفَاؤُكُمْ، فَمَا كُنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَصْنَعُوا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَمِنْ الْآنَ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ جَحَّاشٍ: أَنَا أَظْهَرُ عَلَى الْبَيْتِ فَأَطْرَحُ عَلَيْهِ صَخْرَةً. قَالَ سَلَّامُ بْنُ مِشْكَمٍ: يَا قَوْمِ، أَطِيعُونِي هَذِهِ الْمَرَّةَ وَخَالِفُونِي الدَّهْرَ، وَاللهِ إِنْ فَعَلْتُمْ لَيُخْبَرَنَّ بِأَنَّا قَدْ غَدَرْنَا بِهِ، وَإِنَّ هَذَا نَقْضُ الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَلَا تَفْعَلُوا، أَلَا فَوَاللهِ لَوْ فَعَلْتُمُ الَّذِي تُرِيدُونَ لَيَقُومَنَّ بِهَذَا الدِّينِ مِنْهُمْ قَائِمٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَسْتَأْصِلُ الْيَهُودَ وَيُظْهِرُ دِينَهُ. وَقَدْ هَيَّأَ الصَّخْرَةَ لِيُرْسِلَهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَحْدُرَهَا، فَلَمَّا أَشْرَفَ بِهَا جَاءَ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا هَمُّوا بِهِ، فَنَهَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيعًا كَأَنَّهُ يُرِيدُ حَاجَةً، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَجَلَسَ أَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ قَامَ يَقْضِي حَاجَةً، فَلَمَّا يَئِسُوا مِنْ ذَلِكَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: مَا مُقَامُنَا هَا هُنَا بِشَيْءٍ، لَقَدْ وَجَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَمْرٍ...

فَعَادُوا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُمْتَ وَلَمْ نَشْعُرْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَمَّتْ الْيَهُودُ بِالْغَدْرِ بِي، فَأَخْبَرَنِي اللهُ بِذَلِكَ فَقُمْتُ**»، ثُمَّ أَرْسَلَ ﷺ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ يَدْعُوهُ، فَلَمَّا جَاءَ مُحَمّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: «اذْهَبْ إِلَى يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ،

فَقُلْ لَهُمْ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ أَنْ أُخْرُجُوا مِنْ بَلَدِهِ...

فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ يَقُولُ لَكُمْ: قَدْ نَقَضْتُمُ الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتُ لَكُمْ بِمَا هَمَمْتُمْ بِهِ مِنَ الْغَدْرِ بِي... وَيَقُولُ: اخْرُجُوا مِنْ بَلَدِي، فَقَدْ أَجَّلْتُكُمْ عَشْرًا فَمَنْ رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ... فَمَكَثُوا عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا يَتَجَهَّزُونَ»[1]، أَيْ لِلرَّحِيلِ.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ كَتَبُوا إِلَى ابْنِ أُبَيٍّ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مَعَهُ الْأَوْثَانَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ: إِنَّكُمْ آوَيْتُمْ صَاحِبَنَا، وَإِنَّا نُقْسِمُ بِاللَّهِ لَتُقَاتِلُنَّهُ، أَوْ لَتُخْرِجُنَّهُ أَوْ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا حَتَّى نَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ، وَنَسْتَبِيحَ نِسَاءَكُمْ. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، اجْتَمَعُوا لِقِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَهُمْ، فَقَالَ: «**لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمُ الْمَبَالِغَ، مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرَ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ، وَإِخْوَانَكُمْ**»، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ تَفَرَّقُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَكَتَبَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ إِلَى الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ وَالْحُصُونِ، وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ. وَهِيَ الْخَلَاخِيلُ، فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ النَّبِيَّ ﷺ، أَجْمَعَتْ بَنُو النَّضِيرِ بِالْغَدْرِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلْيَخْرُجْ مِنَّا ثَلَاثُونَ حَبْرًا، حَتَّى نَلْتَقِيَ بِمَكَانِ الْمَنْصَفِ فَيَسْمَعُوا مِنْكَ، فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَآمَنُوا بِكَ آمَنَّا بِكَ. فَقَصَّ خَبَرَهُمْ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْكَتَائِبِ فَحَصَرَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: «**إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَلَيْهِ**»، فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُوهُ عَهْدًا،

---

(١) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/٣٦٤-٣٦٧).

فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ غَدَا الْغَدُ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِالْكَتَائِبِ، وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُعَاهِدُوهُ، فَعَاهَدُوهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ، وَغَدَا عَلَى بَنِي النَّضِيرِ بِالْكَتَائِبِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ...»(١).

❖ أَهْلُ النِّفَاقِ مِنْ جَدِيدٍ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ: ١١].

وَبَعْدَمَا تَهَيَّأَ «بَنُو النَّضِيرِ» لِلرَّحِيلِ «فَمَكَثُوا يَتَجَهَّزُونَ لِذَلِكَ أَيَّامًا... إِذْ جَاءَهُمْ رَسُولُ ابْنِ أُبَيٍّ، أَتَاهُمْ سُوَيْدٌ وَدَاعِسٌ فَقَالَا: يَقُولُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ: لَا تَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَأَقِيمُوا فِي حُصُونِكُمْ، فَإِنَّ مَعِي أَلْفَيْنِ مِنْ قَوْمِي وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ يَدْخُلُونَ مَعَكُمْ حِصْنَكُمْ فَيَمُوتُونَ مِنْ آخِرِهِمْ قَبْلَ أَنْ يُوصَلَ إِلَيْكُمْ، وَتَمُدُّكُمْ قُرَيْظَةُ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَخْذُلُوكُمْ، وَيَمُدُّكُمْ حُلَفَاؤُكُمْ مِنْ غَطَفَانَ»(٢).

«فَأَرْسَلَ حُيَيٌّ أَخَاهُ جُدَيَّ بْنَ أَخْطَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّا لَا نَبْرَحُ مِنْ دَارِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَاصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ. وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ ابْنَ أُبَيٍّ فَيُخْبِرَهُ بِرِسَالَتِهِ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَيَأْمُرَهُ بِتَعْجِيلِ مَا وَعَدَ مِنَ النَّصْرِ...

فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُ، فَأَظْهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ التَّكْبِيرَ، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ لِتَكْبِيرِهِ، وَقَالَ: حَارَبَتِ الْيَهُودُ» (٣).

---

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ (٣٠٠٤) كِتَابُ الْخَرَاجِ وَالْإِمَارَةِ وَالْفَيْءِ-بَابٌ فِي خَبَرِ النَّضِيرِ.

(٢) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/٣٦٧-٣٦٨).

(٣) المَصْدَرُ السَّابِقُ (١/٣٧٠).

❖ انْطِلَاقُ قُوَّاتِ المُسْلِمِينَ:

«وَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ بَعْدَمَا اسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَصَلَّى الْعَصْرَ بِفَضَاءِ بَنِي النَّضِيرِ»(١).

❖ رَدَّةُ فِعْلِ قُوَّاتِ العَدُوِّ:

«فَلَمَّا رَأَى بَنُو النَّضِيرِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ قَامُوا عَلَى جُدُرِ حُصُونِهِمْ... - «وَكَانَتِ الْيَهُودُ إِذَا غَلَبُوا عَلَى دَرْبٍ أَوْ دَارٍ نَقَبُوهَا مِنْ أَدْبَارِهَا ثُمَّ حَصَّنُوهَا وَدَرَّبُوهَا»(٢)-، وَجَعَلُوا يَرْمُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ المُسْلِمِينَ بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ حَتَّى أَظْلَمُوا»(٣)، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ: ١٤].

❖ أَمْنُ القِيَادَةِ:

«فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعِشَاءَ [أَيْ بِفَضَاءِ بَنِي النَّضِيرِ] رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِ الدِّرْعُ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ. وَقَدْ اسْتَعْمَلَ عَلِيًّا رضي الله عنه عَلَى الْعَسْكَرِ، وَيُقَالُ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه. وَبَاتَ الْمُسْلِمُونَ يُحَاصِرُونَهُمْ، يُكَبِّرُونَ حَتَّى أَصْبَحُوا، ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ بِالْمَدِينَةِ، فَغَدَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ بِفَضَاءِ بَنِي خَطْمَةَ... وَحُمِلَتْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قُبَّةٌ مِنْ أَدَمٍ»(٤).

---

(١) المَصْدَرُ السَّابِقُ بِتَمَامِهِ.

(٢) دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِلبَيْهَقِيِّ (٣/٣٥٨).

(٣) المَغَازِي لِلوَاقِدِيِّ (١/٣٧٢-٣٧٣).

(٤) المَغَازِي لِلوَاقِدِيِّ (١/٣٧١).

❖ مَسْؤُولُ المُعَسْكَرِ:

وَقَدْ عَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ نَائِبًا لَهُ حِينَ غَادَرَ الْمُعَسْكَرَ، قِيلَ أَنَّهُ عَلِيٌّ ﷺ، وَقِيلَ أَبَا بَكْرٍ ﷺ.

❖ التَّمْهِيدُ لِلاقْتِحَامِ:

بَعْدَمَا بَاتَ الْمُسْلِمُونَ لَيْلَتَهُمْ يُحَاصِرُونَ «بَنِي النَّضِيرِ»، وَيُكَبِّرُونَ، قَامَتِ القِيَادَةُ النَّبَوِيَّةُ بِالاسْتِطْلَاعِ لِلبَحْثِ عَنْ ثَغَرَاتٍ فِي دِفَاعَاتِ العَدُوِّ، وَكُلَّمَا «ظَهَرَ ﷺ عَلَى دَرْبٍ أَوْ دَارٍ هَدَمَ حِيطَانَهَا لِيَتَّسِعَ الْمَكَانُ لِلْقِتَالِ»(١).

❖ مَسْؤُولُ الإِمْدَادِ:

وَكَانَ المَسْؤُولُ عَنْ إِمْدَادَاتِ الطَّعَامِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ﷺ، «فَكَانَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ يَحْمِلُ التَّمْرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ»(٢).

❖ الحَرْبُ النَّفْسِيَّةُ:

- **قَتْلُ «عَمْرِو بْنِ جِحَاشٍ»:**

وَكَانَ مِنْ سَادَاتِ «بَنِي النَّضِيرِ»، وَهُوَ الَّذِي اخْتِيرَ لِاغْتِيَالِ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ فِي قَتْلِهِ أَثَرٌ نَفْسِيٌّ شَدِيدٌ عَلَى اليَهُودِ؛ إِذْ شَهِدُوا بِقُدْرَةِ القِيَادَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى اخْتِرَاقِ صُفُوفِهِمْ وَتَنْفِيذِ عَمَلِيَّاتٍ تَصِلُ لِرُؤُوسِهِمْ.

«قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ آلِ يَامِينَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِيَامِينَ: **«أَلَمْ تَرَ مَا لَقِيتُ مِنْ ابْنِ عَمِّكَ، وَمَا هَمَّ بِهِ مِنْ شَأْنِي؟»**، فَجَعَلَ يَامِينُ بْنُ عُمَيْرٍ

---

(١) دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِلبَيْهَقِيِّ (٣/٣٥٨).

(٢) المَغَازِي لِلوَاقِدِيِّ (١/٣٧٢).

لِرَجُلٍ جُعْلًا عَلَى أَنْ يَقْتُلَ لَهُ عَمْرَو بْنَ جِحَاشٍ، فَقَتَلَهُ فِيمَا يَزْعُمُونَ»(١).

قَالَ «الوَاقِدِيُّ»: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لابْنِ يَامِينَ: «**أَلَمْ تَرَ إِلَى ابْنِ عَمِّكَ عَمْرِو بْنِ جِحَاشٍ، وَمَا هَمَّ بِهِ مِنْ قَتْلِي؟**»، وَهُوَ زَوْجُ أُخْتِهِ، كَانَتِ الرَّوَاعُ بِنْتُ عُمَيْرٍ، تَحْتَ عَمْرِو بْنِ جِحَاشٍ، فَقَالَ ابْنُ يَامِينَ: أَنَا أَكْفِيكَهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَجَعَلَ لِرَجُلٍ مِنْ قَيْسٍ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ عَلَى أَنْ يَقْتُلَ عَمْرَو بْنَ جِحَاشٍ، وَيُقَالُ: خَمْسَةَ أَوْسُقٍ مِنْ تَمْرٍ، فَاغْتَالَهُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ ابْنُ يَامِينَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِقَتْلِهِ فَسُرَّ بِذَلِكَ»(٢).

- **القَطْعُ وَالحَرْقُ:**

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﭫ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَطَعَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَحَرَّقَ(٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﭫ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّهُ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَقَطَعَ»، وَهِيَ البُوَيْرَةُ، وَلَهَا يَقُولُ حَسَّانُ:

وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ * حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

قَالَ: فَأَجَابَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ:

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعٍ * وَحَرَّقَ فِي نَوَاحِيهَا السَّعِيرُ

سَتَعْلَمُ أَيُّنَا مِنْهَا بِنُزْهٍ * وَتَعْلَمُ أَيُّ أَرْضَيْنَا تَضِيرُ(٤)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بَنِي النَّضِيرِ، فَذَكَرَ الْقِصَّةَ،

---

(١) السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ (٣/٢٠٢).

(٢) المَغَازِي لِلوَاقِدِيِّ (١/٣٧٤).

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٤٥٣٢)، وَقَالَ شُعَيْبُ الأَرْنَاؤُوط: «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ».

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٤٠٣٢) كِتَابُ المَغَازِي-بَابُ حَدِيثِ بَنِي النَّضِيرِ، وَمَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فِي دِيَةِ الرَّجُلَيْنِ، وَمَا أَرَادُوا مِنَ الغَدْرِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ: فَصَارَ إِلَيْهِمْ فَتَحَصَّنُوا، فَقَطَعَ النَّبِيُّ ﷺ النَّخْلَ وَحَرَقَ، فَنَادَوْا حِينَ رَأَوُا النَّخْلَ يُقْطَعُ وَيُحْرَقُ: يَا مُحَمَّدُ قَدْ كُنْتَ تَنْهَى عَنِ الْفَسَادِ فَمَا بَالُ قَطْعِ النَّخْلِ وَتَحْرِيقِهِ، وَكَانَ مِنْ أَنْفُسِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ: ٥] الآيَةَ(١).

«فَأَرْسَلَ حُيَيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ كُنْتَ تَنْهَى عَنِ الْفَسَادِ، لِمَ تَقْطَعُ النَّخْلَ؟ نَحْنُ نُعْطِيكَ الَّذِي سَأَلْتَ، وَنَخْرُجُ مِنْ بِلَادِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا أَقْبَلُهُ الْيَوْمَ، وَلَكِنِ اخْرُجُوا مِنْهَا وَلَكُمْ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ إِلَّا الْحَلْقَةُ»**، ثُمَّ نَزَلَتِ الْيَهُودُ عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ إِلَّا الْحَلْقَةُ»(٢)، وَلَمْ يَطُلِ الحِصَارُ، فَقَدْ دَامَ سِتَّ لَيَالٍ فَقَطْ، وَقِيلَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ، حَتَّى قَذَفَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ: ٢].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: «حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَقُرَيْظَةُ، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى يَهُودَ المَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ

---

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي المَرَاسِيلِ (٣٤٦) بَابٌ فِي قَطْعِ الشَّجَرِ، قَالَ شُعَيْبُ الأَرْنَاؤُوط: «رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَقَدْ رُوِيَ نَحْوَ هَذَا مَرْفُوعًا عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ (٣٣٠٣)».

(٢) المَغَازِي لِلوَاقِدِيِّ (١/٣٧٣).

يَهُودِ المَدِينَةِ»[1].

❖ أمْوَالُ «بَنِي النَّضِيرِ»:

قَالَ تَعالَى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ: ٦-٩].

رَوَى الْوَاقِدِيّ عَنْ مَعمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيّ عَن خَارِجَة بْنِ زَيْدٍ عَنْ أُمِّ الْعَلَاء قَالَت: «فَلَمّا غَنِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَنِي النّضِيرِ دَعَا ثَابِتَ بْنَ قَيسِ بْنِ شَمّاسٍ، فَقَالَ: «**أُدْعُ لِي قَوْمَك**»، قَالَ ثَابِتٌ: الْخَزْرَجَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْأَنْصَارَ كُلّهَا**»، فَدَعَا لَهُ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ، فَتَكَلّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمّ ذَكَرَ الْأَنْصَارَ وَمَا صَنَعُوا بِالْمُهَاجِرِينَ، وَإِنْزَالَهُمْ إيّاهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَأَثَرَتَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، ثُمّ قَالَ: «**إنْ أَحْبَبْتُمْ قَسَمْت بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ مِمّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيّ مِنْ بَنِي النّضِيرِ**»، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ السّكْنَى فِي

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِه (٤٠٢٨) كِتَابُ المَغَازِي–بَابُ حَدِيثِ بَنِي النَّضِيرِ، وَمَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فِي دِيَةِ الرَّجُلَيْنِ، وَمَا أَرَادُوا مِنَ الغَدْرِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

مَسَاكِنِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، **«وَإِنْ أَحْبَبْتُمْ أَعْطَيْتهمْ وَخَرَجُوا مِنْ دُورِكُمْ»**. فَتَكَلَّمَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلْ تَقْسِمُهُ لِلْمُهَاجِرِينَ، وَيَكُونُونَ فِي دُورِنَا كَمَا كَانُوا. وَنَادَتْ الْأَنْصَارُ: رَضِينَا وَسَلَّمْنَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«اللهُمّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ»**.

فَقَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَى الْمُهَاجِرِينَ وَلَمْ يُعْطِ أحَدًا مِنَ الأنْصَارِ مِنْ ذَلِكَ الفَيْءِ شَيْئًا، إلّا رَجُلَيْنِ كَانَا مُحْتَاجَيْنِ، سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، وَأَبَا دُجَانَةَ. وَأَعْطَى سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ سَيْفَ ابْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ، وَكَانَ سَيْفًا لَهُ ذِكْرٌ عِنْدَهُمْ» (١).

وَعَنْ أبِي بَكْرٍ عَنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ: لَمَّا ظَهَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ: **«إِنَّ إِخْوَانَكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَيْسَتْ لَهُمْ أَمْوَالٌ، فَإِنْ شِئْتُمْ قَسَمْتُ هَذِهِ الْأَمْوَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَكُمْ جَمِيعًا، وَإِنْ شِئْتُمْ أَمْسَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ فَقَسَمْتُ هَذِهِ فِيهِمْ خَاصَّةً؟»**، قَالُوا: لَا، بَلِ اقْسِمْ هَذِهِ فِيهِمْ، وَاقْسِمْ لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ. فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ :٩]، قَالَ: وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، جَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا، فَوَاللَّهِ مَا مَثَلُنَا وَمَثَلُكُمْ إِلَّا مَا قَالَ طُفَيْلٌ الْغَنَوِيُّ لِبَنِي جَعْفَرٍ:

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَزْلَقَتْ * بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتِ

أَبَوْا أَنْ يَمَلُّونَا وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا * تُلَاقِي الَّذِي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتِ

فَذُو الْمَالِ مَوْفُورٌ وَكُلُّ مُعَصَّبٌ * إِلَى حُجُرَاتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظَلَّتِ (٢)

---

(١) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (١/٣٧٩).

(٢) تَارِيخُ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ لابْنِ شَبَّةَ (٢/٤٨٨-٤٨٩).

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: «وَخَلَّوْا الْأَمْوَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانَت لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً، يَضَعُهَا حَيْثُ يَشَاءُ، فَقَسَّمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ دُونَ الْأَنْصَارِ. إِلَّا أَنَّ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ وَأَبَا دُجَانَةَ سِمَاكَ بْن خَرَشَةَ ذَكَرَا فَقْرًا، فَأَعْطَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» (١).

وَعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، مِمَّا لَمْ يُوجِفِ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ، فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِ، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلاَحِ وَالْكُرَاعِ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٢).

وَهُنَا تَرَى شَخْصِيَّةَ القَائِدِ الحَكِيمِ وَالعَظِيمِ، الَّذِي يُرَبِّي جَمَاعَتَهُ وَيُطَيِّبُ خَوَاطِرَ أَهْلِ الفَضْلِ، وَيُعْطِي أَهْلَ الحَاجَةِ، مَعَ أَنَّ الفَيْءَ للهِ وَرَسُولِهِ خَاصَّةً مِنْ دُونِ النَّاسِ.

❖ مَا نَزَلَ فِي «بَنِي النَّضِيرِ»:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ سُورَةُ الحَشْرِ، قَالَ: أُنْزِلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ (٣).

---

(١) السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لابْنِ هِشَام (٣/٢٠١-٢٠٢).

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِه (٢٩٠٤) كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ-بَابُ المِجَنّ وَمَنْ يَتَّرِسُ بِتُرْسِ صَاحِبِهِ، ومُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ٤٨ (١٧٥٧) كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ-بَابُ حُكْمِ الْفَيْءِ، كِلَاهُمَا مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه.

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٤٠٢٩) كِتَابُ المَغَازِي-بَابُ حَدِيثِ بَنِي النَّضِيرِ، وَمَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فِي دِيَةِ الرَّجُلَيْنِ، وَمَا أَرَادُوا مِنَ الغَدْرِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

غَزْوَةُ «بَنِي قُرَيْظَةَ»

❖ قُوَّاتُ الطَّرَفَيْنِ:

أ. المُسْلِمُونَ:

ثَلَاثَةُ آلَافٍ، بِقِيَادَةِ الرَّسُولِ ﷺ، مَعَهُمْ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ فَارِسًا.

ب. بَنُو قُرَيْظَةَ:

سُتُّمَائَةُ مُقَاتِلٍ إِلَى سَبْعِمَائَةِ مُقَاتِلٍ، بِقِيَادَةِ «كَعْبِ بْنِ أَسَدٍ»، يُعَاوِنُهُ «حُيَيِّ بْنُ أَخْطَب»، رَأْسُ يَهُودِ، الَّذِينَ حَشَدُوا الأَحْزَابَ وَجَمَعُوهَا حَوْلَ «المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ».

❖ سَبَبُ الغَزْوَةِ:

بَعْدَ أَنْ أُجْلِيَ يَهُودُ «بَنِي النَّضِيرِ» مِنَ «المَدِينَةِ» إِلَى «خَيْبَرَ» أَخَذُوا يَرْسُمُونَ الخُطَطَ لِلانْتِقَامِ مِنَ المُسْلِمِينَ بِدَافِعِ البُغْضِ وَالحِقْدِ، فَتَوَجَّهُوا إِلَى القَبَائِلِ المُخْتَلِفَةِ لِتَحْرِيضِهَا عَلَى حَرْبِ المُسْلِمِينَ، فَوَافَقَتْ «قُرَيْشٌ» وَ«غَطَفَان» وَقَبَائِلُ أُخْرَى، وَدَخَلَتْ فِيمَا بَعْدُ يَهُودُ «بَنِي قُرَيْظَةَ»، وَنَقَضَتِ العَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

❖ التَّجَهُّزُ لِلغَزْوَةِ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: «قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ؟ وَاللهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ»، قَالَ: «**فَإِلَى أَيْنَ؟**»، قَالَ: «هَا هُنَا»، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ

ﷺ إِلَيْهِمْ»[1].

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ طَلَبِ الْأَحْزَابِ، وَنَزَلَ الْمَدِينَةَ وَضَعَ لَأْمَتَهُ، وَاغْتَسَلَ، وَاسْتَجْمَرَ»[2]. وَزَادَ دُحَيْمٌ فِي حَدِيثِهِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَنَزَلَ جِبْرِيلُ** عليه السلام، **فَقَالَ: عَذِيرُكَ مِنْ مُحَارِبٍ، أَلَا أَرَاكَ قَدْ وَضَعْتَ اللَّأْمَةَ وَمَا وَضَعْنَاهَا بَعْدُ**»، فَوَثَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَزِعًا. [3]

❖ العَتَادُ الحَرْبِيُّ:

وَلَبِسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السِّلَاحَ وَالْمِغْفَرَ وَالدِّرْعَ وَالْبَيْضَةَ وَأَخَذَ قَنَاةً بِيَدِهِ وَتَقَلَّدَ التُّرْسَ[4].

❖ أَمْنُ القِيَادَةِ:

وَرَكِبَ ﷺ فَرَسَهُ وَحَفَّ بِهِ أَصْحَابُهُ وَتَلَبَّسُوا السِّلَاحَ وَرَكِبُوا الْخَيْلَ، وَكَانَتْ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ فَرَسًا، وَكَانَ رَسُولُ ﷺ قَدْ قَادَ فَرَسَيْنِ وَرَكِبَ وَاحِدًا، يُقَالُ لَهُ اللَّحَيْفُ، فَكَانَتْ ثَلَاثَةُ أَفْرَاسٍ مَعَهُ، وَعَلِيٌّ رضي الله عنه فَارِسٌ ، وَمَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ.

وَفِي بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه فَارِسٌ وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَعُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَارِسٌ، وَسَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ.

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِه (٤١١٧) كِتَابُ المَغَازِي–بَابُ مَرْجِعِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَحْزَابِ، وَمَخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ.

(٢) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي المُعْجَمِ الكَبِيرِ (١٦٠) وَالأَوْسَطِ (٨١٩٥) وَمُسْنَدِ الشَّامِيِّينَ (٢٩١٨)، وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعِ الفَوَائِدِ (٦/١٤٠): «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ».

(٣) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي المُعْجَمِ الكَبِيرِ (١٦٠)، وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعِ الفَوَائِدِ (٦/١٤٠): «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، غَيْرَ مَرْزُوقِ بْنِ أَبِي الهُذَيْلِ، وَهُوَ ثِقَةٌ».

(٤) المَغَازِي لِلوَاقِدِيِّ (٢/٤٩٧).

وَمِنْ بَنِي زُهْرَةَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَــعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ. وَمِنْ بَنِي تَيْمٍ: أَبُو بَكْرٍ الصّــدّيقُ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ. وَمِنْ بَنِي عَدِيّ: عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ. وَمِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ: عَبْدُ اللهِ بْنُ مَخْرَمَةَ. وَمِنْ بَنِي فِهْرٍ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرّاحِ.

وَمِنْ الْأَوْسِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَمُحَمّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَبُو نَائِلَةَ وَسَــعْدُ بْنُ زَيْدٍ. وَمِنْ بَنِي ظَفَرٍ قَتَادَةُ بْنُ النّعْمَانِ. وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ: عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ وَمَعْنُ بْنُ عَدِيّ وَثَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَمَةَ. وَمِنْ بَنِي سَلِمَةَ: الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَقُطْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ حَدِيدَةَ. وَمِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ النّجّارِ: عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيّ. وَفِي بَنِي زُرَيْقٍ رُقَادُ بْنُ لَبِيدٍ وَفَرْوَةُ بْنُ عَمْرٍو، وَأَبُو عَيّاشٍ وَمُعَاذُ بْنُ رِفَاعَةَ. وَمِنْ بَنِي سَــاعِدَةَ: سَــعْدُ بْنُ عُبَادَةَ(١).

❖ حِرْصُ الصَّحَابَةِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَأَدَبِ الخِلَافِ:

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ: «**لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**»، فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ. فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ(٢)

❖ مَسْؤُولُ الإِمْدَادِ:

كَانَ سَــعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رضي الله عنه يَمُدُّ قُوَّاتِ المُسْــلِمِينَ بِالمُؤْنَةِ وَالتَّمْرِ مِنَ «المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ».

---

(١) المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢/٤٩٧-٤٩٨).

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٩٤٦) كِتَابُ صَلَاةِ الخَوْفِ-بَابُ صَلاةِ الطَّالِبِ وَالمطْلُوبِ رَاكِبًا وَإِيمَاءً.

❖ التَّنْظِيمُ لِلقِتَالِ:

دَعَا رَسُــولُ الله ﷺ عَلِيّا رضي الله عنه فَدَفَعَ إِلَيْهِ لِوَاءً، وَكَانَ اللّوَاءُ عَلَى حَالِهِ لَمْ يُحَلّ مِنْ مَرْجِعِهِ مِنْ الْخَنْدَقِ... ثُمَّ قَدَّمَ رَسُــــولُ الله ﷺ الرّمَاةَ، وَعَبّأَ أَصْـــــحَابَهُ فَأَحَاطُوا بِحُصُـــــونِهِمْ مِنْ كُلّ نَاحِيَةٍ، فَجَعَلَ الْمُسْـــــلِمُونَ يُرَامُونَهُمْ بِالنّبْلِ وَالْحِجَارَةِ، وَجَعَلَ الْمُسْـلِمُونَ يَعْتَقِبُونَ فَيُعْقِبُ بَعْضُــهُمْ بَعْضًــا، فَمَا بَرِحَ رَسُـولُ الله ﷺ يُرَامِيهِمْ حَتّى أَيْقَنُوا بِالْهَلَكَةِ [(١)].

❖ التَّعْبِئَةُ النَّفْسِيَّةُ:

قَالَ مُحَمّد بْنُ مَسْـلَمَةَ: حَصَـرْنَاهُمْ أَشَـدّ الْحِصَــارِ، فَلَقَدْ رَأَيْتنَا يَوْمَ غَدَوْنَا عَلَيْهِمْ قَبْلَ الْفَجْرِ فَجَعَلْنَا نَدْنُو مِنْ الْحِصْنِ وَنَرْمِيهِمْ مِنْ كَثَبٍ، وَلَزِمْنَا حُصُونَهُمْ فَلَمْ نُفَارِقْهَا حَتّى أَمْسَيْنَا، وَحَضّنَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الْجِهَادِ وَالصّبْرِ [(٢)].

وَعَنْ عَائِشَــةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَــعَ السِّــلاَحَ وَاغْتَسَـلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: «قَدْ وَضَـعْتَ السِّـلاَحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَـعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ»، قَالَ: «**فَإِلَى أَيْنَ؟**»، قَالَ: «هَا هُنَا»، وَأَشَــارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ»[(٣)].

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَتْ رضي الله عنها: «أُصِـيبَ سَـعْدٌ يَوْمَ الخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، يُقَالُ لَـهُ حِبَّانُ بْنُ العَرِقَةِ وَهُوَ حِبَّانُ بْنُ قَيْسٍ، مِنْ بَنِي مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ رَمَاهُ فِي الأَكْحَلِ، فَضَـــرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي المَسْـــجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ غ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ

(١) المَغَازِي للوَاقِدِيّ (٢/٤٩٧-٥٠١).

(٢) المَصْدَرُ السَّابِقُ (٢/٥٠١).

(٣) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ قَرِيبًا.

مِنَ الغُبَارِ، فَقَالَ: «قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللَّهِ مَا وَضَعْتُهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَأَيْنَ؟**»، فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَرَدَّ الحُكْمَ إِلَى سَعْدٍ، قَالَ: «فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ: أَنْ تُقْتَلَ المُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ، وَأَنْ تُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ». قَالَ هِشَامٌ، فَأَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ سَعْدًا قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ، حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الحَرْبَ فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتَتِي فِيهَا»، فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ فَلَمْ يَرُعْهُمْ، وَفِي المَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: «يَا أَهْلَ الخَيْمَةِ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟»، فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ مِنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[١].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَقُرَيْظَةُ، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى يَهُودَ المَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ المَدِينَةِ»[٢].

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَكَانَ جَمِيعُ مَا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبْعًا وَعِشْرِينَ غَزْوَةً أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا بِنَفْسِهِ وَدَّانُ، وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بُوَاطٍ إِلَى نَاحِيَةِ رَضْوَى، ثُمَّ غَزْوَةُ الْعَشِيرَةِ، مِنْ بَطْنِ يَنْبُعَ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْأُولَى يَطْلُبُ كُرْزَ بْنَ

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٤١٢٢) كِتَابُ المَغَازِي-بَابُ مَرْجِعِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَحْزَابِ، وَمَخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ.

(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٤٠٢٨) كِتَابُ المَغَازِي-بَابُ حَدِيثِ بَنِي النَّضِيرِ، وَمَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فِي دِيَةِ الرَّجُلَيْنِ، وَمَا أَرَادُوا مِنَ الغَدْرِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

جَابِرٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ حَتَّى بَلَغَ الكُدْرَ مَاءً لِبَنِي سُلَيْمٍ، ثُمَّ غَزْوَةٌ يَطْلُبُ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ حَتَّى بَلَغَ قَرْقَرَ الكُدْرِ، ثُمَّ غَزْوَةُ غَطَفَانَ إِلَى نَجْدٍ، وَهِيَ غَزْوَةُ ذِي أَمَرَ، ثُمَّ غَزْوَةُ نَجْرَانَ، مَعْدِنٌ بِالْحِجَازِ فَوْقَ الْفَرْعِ، ثُمَّ غَزْوَةُ أُحُدٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْرَاءَ الْأَسَدِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ، أَجْلَاهُمْ إِلَى خَيْبَرَ، ثُمَّ غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَجْرَانَ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْآخِرَةِ لِمِيعَادِ أَبِي سُفْيَانَ وَهِيَ غَزْوَةُ السَّوِيقِ، ثُمَّ غَزْوَةُ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، ثُمَّ غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي لِحْيَانَ مِنْ هُذَيْلٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ ذِي قَرَدٍ يَطْلُبُ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ، ثُمَّ غَزْوَةُ الْحُدَيْبِيَةِ لَا يُرِيدُ قِتَالًا فَصَدَّهُ الْمُشْرِكُونَ، ثُمَّ غَزْوَةُ خَيْبَرَ، ثُمَّ اعْتَمَرَ عُمْرَةَ الْقَضَاءِ، ثُمَّ غَزْوَةُ الْفَتْحِ فَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ غَزْوَةُ حُنَيْنٍ، ثُمَّ غَزْوَةُ الطَّائِفِ.

ثُمَّ غَزْوَةُ تَبُوكَ قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ فِي تِسْعِ غَزَوَاتٍ: غَزْوَتِهِ بَدْرًا، وَغَزْوَتِهِ أُحُدًا، وَغَزْوَتِهِ الْخَنْدَقَ، وَغَزْوَتِهِ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَغَزْوَتِهِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَغَزْوَتِهِ خَيْبَرَ، وَغَزْوَتِهِ الْفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَغَزْوَتِهِ حُنَيْنًا، وَغَزْوَتِهِ الطَّائِفَ.

وَكَانَتْ بُعُوثُهُ ﷺ وَسَرَايَاهُ ثَمَانِيًّا وَثَلَاثِينَ، مِنْ بَيْنَ بَعْثٍ وَسَرِيَّةٍ: غَزْوَةُ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ أَسْفَلَ مِنْ ثَنِيَّةِ ذِي الْمَرْوَةِ، ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَاحِلَ الْبَحْرِ، مِنْ نَاحِيَةِ الْعِيصِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يُقَدِّمُ غَزْوَةَ حَمْزَةَ قَبْلَ غَزْوَةِ عُبَيْدَةَ، وَغَزْوَةُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ الْخَرَّارَ، وَغَزْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ جَحْشٍ نَخْلَةَ، وَغَزْوَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الْقَرَدَةَ، وَغَزْوَةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ، وَغَزْوَةُ مَرْثَدِ بْنِ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ الرَّجِيعَ، وَغَزْوَةُ الْمُنْذِرِ بْنِ عَمْرٍو بِئْرَ مَعُونَةَ، وَغَزْوَةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ذَا القصّة، من لمريق الْعِرَاقِ، وَغَزْوَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ تُرْبَةَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ، وَغَزْوَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْيَمَنَ، وَغَزْوَةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلْبِيِّ، كَلْبِ لَيْثٍ، الْكَدِيدَ، فَأَصَابَ بَنِي الْمُلَوَّحِ.

وَغزْوَةُ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ مِنْ أَهْلِ فَدَكَ، وَغزْوَةُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ السُّلَمِيُّ رضي الله عنه أَرْضَ بَنِي سُلَيْمٍ أُصِيبَ بِهَا هُوَ وَأَصْحَابُهُ جَمِيعًا، وَغَزْوَةُ عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ رضي الله عنه الغَمْرَةَ، وَغزْوَةُ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ رضي الله عنه قَطَنَ مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَاحِيَةِ نَجْدٍ قُتِلَ فِيهَا مَسْعُودُ بْنُ عُرْوَةَ رضي الله عنه، وَغَزْوَةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ رضي الله عنه أَخِي بَنِي حَارِثَةَ إِلَى القُرْطَا مِنْ هَوَازِنَ، وَغَزْوَةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَرَّةَ رضي الله عنه بِفَدَكَ، وَغَزْوَةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ أَيْضًا إِلَى نَمِرٍ وَحَنَانَ بَلَدَيْنِ مِنْ أَرْضِ خَيْبَرَ، وَغَزْوَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنه الْجَمُومَ مِنْ أَرْضِ بَنِي سُلَيْمٍ، وَغَزْوَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ أَيْضًا جُذَامٍ مِنْ أَرْضِ حَسْمَى.

وَغَزْوَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ أَيْضًا الطَّرْفِ مِنْ نَاحِيَةِ نَخْلٍ مِنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ، وَغَزْوَةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَادِي الْقُرَى لَقِيَ بِهِ بَنِي فَزَارَةَ وَأُصِيبَ بِهَا أُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وارْتُثَّ زَيْدٌ مِنْ بَيْنِ الْقَتْلَى، وَفِيهَا أُصِيبَ وَرْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَدَاسٍ، فَلَمَّا قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ نَذَرَ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهُ غُسْلٌ مِنْ جَنَابَةٍ حَتَّى يَغْزُو فَزَارَةَ، فَلَمَّا اسْتُلَّ مِنْ جِرَاحِهِ، بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جَيْشٍ إِلَى بَنِي فَزَارَةَ فَلَقِيَهُمْ بِوَادِي الْقُرَى فَأَصَابَ مِنْهُمْ، وَقَتَلَ قَيْسَ بْنَ المِشْجَرِ الْيَعْمَرِيَّ، وَمَسْعَدَةَ بْنَ حِكْمَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَدْرٍ، وَأَسَرَ أُمَّ قِرْفَةَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَبِيعَةَ بْنِ زَيْدٍ كَانَتْ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَغَزْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه مَرَّتَيْنِ إِحْدَاهُمَا الَّتِي أَصَابَ فِيهَا الْبَشِيرَ بْنَ رِزَامٍ الْيَهُودِيَّ.

وَغَزْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكٍ رضي الله عنه إِلَى خَيْبَرَ فَأَصَابَ فِيهَا أَبَا رَافِعٍ سَلَّامَ بْنَ أَبِي الْحُقَيْقِ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ رضي الله عنه وَأَصْحَابَهُ فِيمَا بَيْنَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَقَتَلُوهُ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُنَيْسٍ رضي الله عنه إِلَى خَالِدِ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ نُبَيْحٍ الْهُذَلِيِّ وَهُوَ بِنَخْلَةَ أَوْ بِعُرَنَةَ يَجْمَعُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ لِيَغْزُوهُ فَقَتَلَهُ.

وَغَزْوَةُ ابْنِ حَارِثَةَ، وَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه مُؤْتَةَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ فَأُصِيبُوا بِهَا، وَغَزْوَةُ كَعْبِ بْنِ عُمَيْرٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه ذَاتَ أَطْلَاحٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ أُصِيبَ بِهَا هُوَ وَأَصْحَابُهُ جَمِيعًا، وَغَزْوَةُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بَلْعَنْبَرَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَغَزْوَةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلْبِيِّ، كَلْبَ لَيْثٍ أَرْضَ بَنِي مُرَّةَ، وَغَزْوَةُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ رضي الله عنه ذَاتَ السَّلَاسِلِ مِنْ أَرْضِ بَلِيٍّ وَعُذْرَةَ، وَغَزْوَةُ ابْنِ أَبِي حَدْرَدٍ رضي الله عنه وَأَصْحَابِهِ إِلَى بَطْنِ أَصَمَّ، وَكَانَ قَبْلَ الْفَتْحِ.

وَغَزْوَةُ ابْنِ أَبِي حَدْرَدٍ الْأَسْلَمِيِّ إِلَى الْغَابَةِ، وَسَرِيَّةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه، ثُمَّ سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ، وَزَوَّدَهُمْ جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ. قَالَ: فَحَدَّثَنَا سَعِيدٌ، قَالَ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ تَكَلَّمَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُسَيْلِمَةُ بْنُ حَبِيبٍ بِالْيَمَامَةِ فِي بَنِي حَنِيفَةَ وَالْأَسْوَدُ بْنُ كَعْبٍ الْعَنْسِيُّ بِصَنْعَاءَ (١).

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أُمَرَاءَهُ وَعُمَّالَهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ إِلَى كُلِّ مَا أَوْطَأَ الْإِسْلَامُ مِنَ الْبُلْدَانِ: فَبَعَثَ الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيَّ رضي الله عنه إِلَى صَنْعَاءَ، فَخَرَجَ الْعَنْسِيُّ عَلَيْهِ وَهُوَ بِهَا، وَبَعَثَ زِيَادَ بْنَ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيَّ أَخَا بَنِي بَيَاضَةَ رضي الله عنه إِلَى حَضْرَمَوْتَ وَعَلَى صَدَقَاتِهَا، وَبَعَثَ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رضي الله عنه عَلَى صَدَقَاتِ طَيِّئٍ، وَأَسَدٍ، وَبَعَثَ مَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ رضي الله عنه عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي حَنْظَلَةَ، وَفَرَّقَ صَدَقَاتِ بَنِي سَعْدٍ عَلَى رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ: فَبَعَثَ الزِّبْرِقَانَ بْنَ بَدْرٍ رضي الله عنه عَلَى نَاحِيَةٍ مِنْهَا، وَبَعَثَ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ رضي الله عنه عَلَى نَاحِيَةٍ مِنْهُمْ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ رضي الله عنه عَلَى الْبَحْرَيْنِ، وَبَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه إِلَى أَهْلِ نَجْرَانَ لِيَجْمَعَ صَدَقَاتِهِمْ وَيُقْدِمَ عَلَيْهِ بِجِزْيَتِهِمْ، وَقَدْ كَانَ مُسَيْلِمَةُ كَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: مِنْ مُسَيْلِمَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُشْرِكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَكَ، وَإِنَّ لَنَا

(١) السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لابْنِ هِشَامٍ (٤/٢٥٦).

نِصْفَ الْأَرْضِ وَلِقُرَيْشٍ نِصْفَ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّ قُرَيْشًا يَعْتَدُونَ، وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَسُولَانِ لَهُ بِهَذَا الْكِتَابِ(١).

عَنْ قَتَادَةَ: أَنَّ مَغَازِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَرَايَاهُ كَانَتْ ثَلَاثَةً وَأَرْبَعِينَ: أَرْبَعٌ وَعِشْرِينَ سَرِيَّةً بَعَثَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً خَرَجَ فِيهَا يَلْقَى، ثَمَانٍ بِنَفْسِهِ: بَدْرًا، وَأُحُدًا، والْأَحْزَابَ، والمُرَيْسِيعَ، وَقُدَيْدًا، وخَيْبَرَ، وَفَتحَ مَكَّةَ، وحُنَيْنًا، وَكَانَتِ الْحُدَيْبِيَةُ فِي سَنَةِ سِتٍّ، وَكَانَتِ الْعُمْرَةُ فَصَدَّهُ الْمُشْرِكُونَ وَصَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ يَعْتَمِرَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ وَاعْتَمَرَ سَنَةَ سَبْعٍ، وَكَانَ الْفَتْحُ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ، وَحَجَّ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه سَنَةَ تِسْعٍ، وَقَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَلَى النَّاسِ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ: ١]. وَحَجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَنَةَ عَشْرٍ، وَصَدَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَتُوُفِّيَ بِهَا فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ.

---

(١) المَصْدَرُ السَّابِقُ (٤/٢٤٦-٢٤٧).

موقع الخنـــدق
حرة واقم
(الحرة الشرقية)
بنو حارثة
بنو عبد الأشهل وزعوراء
النبيت
ثنيّة الوداع
بنو ظفر
بنو الحارث من الخزرج
السّنح
البَقيع
مسجد رسول الله ﷺ
جبل سَلْع
بنو زُرَيق
بنو واقف
وادي بطحان
بنو الحارث
منازل بني قينقاع
وادي مهزور
بنو قريظة
وادي مذينب
بنو عوف بن الخزرج
منازل بني النّضير
بنو عوف بن مالك بن أوس
مسجد قُبَاء



موقع بني قريظة

غزوة بني قُرَيْظَة

(٥ هـ)

أبو لبابة
رفاعة بن عبد المنذر
﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إنّ الله غفورٌ رحيم ﴾
(التوبة ٩/١٠٢)

✵ ✵ ✵

البَابُ العَاشِرُ

فَتحُ مكَّة

❖ سبب الفتح:

كانت بنو بكرٍ قد دخلَت مع قريشٍ في عهد الحُديبيةِ، كما دخلَت خُزاعةُ مع المسلمينَ، وقد أسلمَ عددٌ منهم، وكان بين القبيلتينِ دماءٌ وثاراتٌ في الجاهليّةِ فاستغلَّت بنو بكر الهدنةَ وأغاروا على خزاعةَ، وقتلوا منهم أكثرَ من عشرينَ، وقامت قريش بدورها بنقضِ الهدنة مع النبيِّ ﷺ وذلك بإعانتِها بني بكرٍ بالخيل والسلاح والرجال، فبلغ الخبرُ النبيَّ ﷺ فقال: واللهِ لأمنعنَّكم ما أمنعُ نفسي منه.

فبعث النبي ﷺ لقريش يُخيِّرُهم بين:

١ –أن يدُوا قتْلى خزاعة. (أي: يدفعوا دية قتلى خزاعة).

٢ –أو يبْرَؤُوا من حِلْفِ بني نُفاثة.

٣ –أو ينبذ إليهم عهدَهُم على سواء. (أي: فيتحلَّل كلّ فريق من الالتزام بعقده وعهده).

فاجتمعتْ رؤوس قريشٍ للتَّشاوُر فيما عرض عليْهِم رسولُ الله ﷺ فتعجَّل "قرظة بن عمرو" من بين القَوْمِ فقال: "لا ندي، ولا نبرأن ولكن ننبذُ إليه على سواء". ورجع مبعوثُ رسولِ الله ﷺ بِما سمع منهم، فأخبر به رسول الله ﷺ[1].

---

(١)شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢ هـ)، ن: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٧ هـ-١٩٩٦م، (٣/٣٨٤).

❖ ندمُ قريش

أحسَّت قريش بسوءِ فعلتها، وخافت نتائجَها فأسرعَت بإرسال أبي سفيانَ إلى المدينةِ ليُشهرَ العقدَ ويزيدَ في المدَّة.

روى البيهقي في دلائله عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ جَمِيعًا، قَالَا: ثُمَّ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللهِ ﷺ طَوَتْهُ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ مَا أَدْرِي أَرَغِبْتِ بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ، أَوْ رَغِبْتِ بِهِ عَنِّي؟ فَقَالَتْ: بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنْتَ مُشْرِكٌ نَجِسٌ، فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ، وَاللهِ لَقَدْ أَصَابَكِ شَيْءٌ بَعْدِي، ثُمَّ خَرَجَ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ، يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَكَلَّمَهُ أَنْ يُكَلِّمَ لَهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ؛ فَقَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، ثُمَّ أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَكَلَّمَهُ فَقَالَ عُمَرُ: أَأَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَاللهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ لَكُمْ إِلَّا الذَّرَّ لَجَاهَدْتُكُمْ بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَدَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعِنْدَهَا حَسَنٌ غُلَامٌ يَدِبُّ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّكَ أَمَسُّ الْقَوْمِ بِي رَحِمًا، وَأَقْرَبُهُمْ مِنِّي قَرَابَةً، وَقَدْ جِئْتُ فِي حَاجَةٍ، فَلَا أَرْجِعَنَّ كَمَا جِئْتُ خَائِبًا، فَاشْفَعْ لِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، وَاللهِ لَقَدْ عَزَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَمْرٍ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُكَلِّمَهُ فِيهِ، فَالْتَفَتَ إِلَى فَاطِمَةَ، فَقَالَ: يَا بِنْتَ مُحَمَّدٍ هَلْ لَكِ أَنْ تَأْمُرِي بُنَيَّكِ هَذَا فَيُجِيرُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَكُونَ سَيِّدَ الْعَرَبِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ؟ فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا بَلَغَ بُنَيِّي ذَاكَ أَنْ يُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَا يُجِيرُ أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِنِّي أَرَى الْأُمُورَ قَدِ اشْتَدَّتْ عَلَيَّ فَانْصَحْنِي، قَالَ: وَاللهِ مَا أَعْلَمُ شَيْئًا يُغْنِي عَنْكَ، وَلَكِنَّكَ سَيِّدُ بَنِي كِنَانَةَ فَقُمْ فَأَجِرْ

بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ الْحَقْ بِأَرْضِكَ، فَقَالَ: أَوَ تَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِّي شَيْئًا؟ قَالَ: لَا، وَاللهِ مَا أَظُنُّهُ وَلَكِنْ لَا أَجِدُ لَكَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ. ثُمَّ رَكِبَ بَعِيرَهُ، فَانْطَلَقَ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى قُرَيْشٍ قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: جِئْتُ مُحَمَّدًا فَكَلَّمْتُهُ فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ جِئْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ فَوَاللهِ مَا وَجَدْتُ فِيهِ خَيْرًا، ثُمَّ جِئْتُ عُمَرَ فَوَجَدْتُهُ أَعْدَى الْعَدُوِّ، ثُمَّ جِئْتُ عَلِيًّا فَوَجَدْتُهُ أَلْيَنَ الْقَوْمِ، وَقَدْ أَشَارَ عَلَيَّ بِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِي هَلْ يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا أَمْ لَا؟ قَالُوا: بِمَاذَا أَمَرَكَ؟ قَالَ: أَمَرَنِي أَنْ أُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ فَفَعَلْتُ، فَقَالُوا: هَلْ أَجَازَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَالُوا: وَيْحَكَ وَاللهِ إِنْ زَادَ الرَّجُلُ عَلَى أَنْ لَعِبَ بِكَ، فَمَا يُغْنِي عَنَّا مَا قُلْتَ، فَقَالَ: لَا، وَاللهِ مَا وَجَدْتُ غَيْرَ ذَلِكَ"......(١)

❖ تطلّع القيادةِ النبويَّةِ لفتحِ مكّة:

بعدما نقضَت قريش العهدَ والعقدَ بينها وبين المسلمينَ، عزمَتِ القيادةُ النبويّةُ على فتحِ مكّة، وبدأت ببناءِ الخطّة القتاليّة على قاعدة عسكريّة مهمَّة جدّاً والتي تُعَدُّ القاعدةَ العسكريّةَ رقمَ واحدٍ في عواملِ النجاح العسكريّ وهي: (المباغَتة والمفاجَأة)(٢) وهذه القاعدة تُبنى على ركن أساسيٍّ هو المحافظة على المعلومةِ العسكريّة في مراحلِها كافّةً، وقد حرِصَ النبيُّ ﷺ على أمنِ المعلومة العسكريّة في كلِّ المراحل في فتحِ مكّة كما سيأتي.

(١) دلائل النبوة للبيهقي، بَابُ نَقْضِ قُرَيْشٍ مَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْحُدَيْبِيَةِ، (٥/٥).

(٢) من أهم القواعد الحربية هي قاعدة المباغتة والمفاجأة لقوات العدو، فبهذه القاعدة يمكن للقوة العسكرية التي تفقد عنصر التكافؤ العددي التغلب على هذا الأمر، كما أنَّه من المعروف أن هذا الأمر له تأثير ساحق على معنويات قوات العدو وعلى انضباطها.

❖ المرحلة الأولى لاتّخاذ القرار:

لَمَّ هَمَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بفَتْح مكّةَ "أَمَرَ بِالْجِهَازِ[1] وَأمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يُجَهِّزُوهُ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصديق عَلَى ابْنَتِهِ عَائِشَةَ ، وَهِيَ تُحَرّكُ بَعْضَ جِهَازِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: " أَيْ بُنَيّةُ أَأَمَرَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُجَهِّزُوهُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ فَتَجَهّزْ قَالَ: فَأَيْنَ تَرَيْنَهُ يُرِيدُ؟" **قَالَتْ: (لَا) وَاَللّهِ مَا أَدْرِي.**[2]

فقد تميزت المرحلة الأولى لاتخاذ القرار بالحرب، كتمان المعلومة حتى عن أقرب الناس لنبي ﷺ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فمن أهم القواعد في الأمن والسرية:

* المعلومة على قدر الحاجة وليست على قدر الثقة.
* المعلومة للمعني بها.
* المعلومة تعطى بالوقت المناسب، وليس قبل أوانها.
* الدائرة الأولى هي دائرة الخطر وهي الدائرة الاجتماعية الأولى كونها مستهدفة من قبل العدو.

❖ الإجراءات العسكرية:

١ .الشورى:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفِيَّةِ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَعْضِ حُجَرِهِ فَجَلَسَ عِنْدَ بَابِهَا، وَكَانَ إِذَا جَلَسَ وَحْدَهُ لَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ حَتَّى يَدْعُوَهُ، قَالَ: ادعُ لي أَبَا بَكْرٍ، فَجَاءَ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَنَاجَاهُ طَوِيلًا، ثُمَّ أمرَهُ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ يَسَارِهِ ثُمَّ قَالَ: ادعُ لي عُمَرَ، فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَنَاجَاهُ طَوِيلًا، فَرَفَعَ عُمَرُ صَوْتَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُمْ رَأسُ الكُفْرِ، هُمُ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّكَ ساحِرٌ وَأَنَّكَ كَاهِنٌ وَأَنَّكَ كَذابٌ، وَأَنَّكَ مُفْتَرٍ، وَلَمْ يَدَع شَيْئًا مِمَّا كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ يَقُولُونَهُ إِلَّا ذَكَرَهُ، فَأَمَرَهُ أن يَجْلِسَ مِن

(١) العتاد الحربي وكل ما يخص الجاهزية للقتال.

(٢) سيرة ابن إسحاق (٣٩٧/٢).

الجَانِبِ الآخَرِ، فَجَلَسَ أحَدُهُمَا عَن يَمِينِهِ وَالآخَرُ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ، فَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثكُمْ بِمَثَلِ صَاحِبَيْكُمْ هَذَيْن؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأقْبَلَ بِوَجْهِهِ إِلَى أَبى بكرٍ فَقَالَ: إِنَّ إبْرَاهِيمَ كَانَ أَلْيَنَ في اللَّهِ مِنَ الدُّهْن باللَّبَنِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عُمَر، فَقَالَ: إِنَّ نُوحًا كَانَ أشَدَّ في اللَّهِ مِنَ الحَجَرِ، وَإِنَّ الأَمْرَ [أَمر عُمَرَ] فتجَهَّزُوا، فَقَامُوا فَتَبِعُوا أبَا بَكْرٍ فَقَالُوا: يا أبَا بَكْرٍ! إِنَّا كَرِهْنَا أَنْ نَسْألَ عُمَرَ مَا هَذَا الَّذِى [نَاجَاكَ به] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: قَالَ لي: كَيْفَ تأمرني في غَزْوِ مَكَّةَ؟ قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هُمْ قَوْمُكَ، حَتَّى رَأَيْتُ أَنَّهُ سيطيعني، ثُمَّ دَعَا عُمَرَ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُمْ رَأسُ الكُفْرِ، حَتَّى ذَكَرَ كُلَّ سُوءٍ كَانُوا يَقُولُونَهُ، وَايْمُ اللَّهِ لَا تُذَلُّ العَرَبُ حَتَّى تُذَلَّ أَهْلُ مَكَّةَ، فَأَمَرَكُمْ بِالجَهَازِ لِتَغْزُوا مَكَّةَ"(١).

٢.رفع الجاهزية وحشد القوات:

لَمّا أَبَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْغَزْوَ، أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَإِلَى مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقُولُ لَهُمْ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَحْضُرْ رَمَضَانَ بِالْمَدِينَةِ، وَبَعَثَ رَسُولًا فِي كُلّ نَاحِيَةٍ حَتّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَسْلَمَ، وَغِفَارَ، وَمُزَيْنَةَ، وَجُهَيْنَةَ، وَأَشْجَعَ.

وَبَعَثَ إلَى بَنِي سُلَيْمٍ، فَأَمّا بَنُو سُلَيْمٍ فَلَقِيَتْهُ بِقُدَيْدٍ، وَأَمّا سَائِرُ الْعَرَبِ فَخَرَجُوا مِنْ الْمَدِينَةِ(٢).

(١) مصنف ابن أبى شيبة في كتاب (المغازي) باب فتح مكة جـ ١٤ ص ٥٠٦ رقم ١٨٧٩٧ بلفظه وما بين الأقواس من الكنز جـ ١٠ ص ٥٢٩ – ٥٣٠ برقم ٣٠١٩٨.

(٢) مغازي الواقدي (٢/٧٩٩).

٣.اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع تسرب أي معلومة أو خبر للعدو:

- **نشر الاستخبارات الإسلامية داخل المدينة وخارجها:**

فقد بث النبي ﷺ الاستخبارات حتى لا تنتقل أخباره إلى قريش، وأخذ رسول الله ﷺ بالأنقاب[١]، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف على الأنقاب قيمًا بهم فيقول: " لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه... إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به[٢] ويسأل عنه أو ناحية مكة".

- **إحباط محاولة تسريب حاطب للمعلومات لصالح قريش:**

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِى رَافِعٍ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ: (انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ **فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ)**[٣]. فَخَرَجْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا فَإِذَا نَحْنُ بِظَعِينَةٍ فَقُلْنَا أخرجِي الْكِتَابَ فَقَالَتْ مَا مَعِيَ كِتَابٌ فَقُلْنَا لَهَا **لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ**[٤] فَأخرجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِى بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

---

(١) الأنقاب: جمع نقب، وهو كالعريف على القوم.

(٢) التحفظ: هو الاحتراز والتيقظ.

(٣) منع تسرب أي معلومة للعدو، من ضرورات الأمن العسكري.

(٤) إن العسكرية لا تهاون فيها ولا لين، مهما كان جنس من نتعامل معه فمثل هذا الموقف يحتاج إلى مثل هذه الصرامة والشدة التي كانت من سيدنا علي رضي الله عنه.

مِمَّنْ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ ....[1][2].

قال الواقدي: " كَتَبَ حَاطِبٌ إلَى ثَلَاثَةِ نَفَرٍ: صَفْوَانَ بْنِ أُمَيّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَعِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ: «إنّ رَسُولَ اللهِ قَدْ أَذّنَ فِي النّاسِ بِالْغَزْوِ، وَلَا أَرَاهُ يُرِيدُ غَيْرَكُمْ، وَقَدْ أَحْبَبْت أَنْ تَكُونَ لِي عِنْدَكُمْ يَدٌ بِكِتَابِي إلَيْكُمْ»[3]".

---

(١) بقية الحديث.....فَقَالَ : (مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟) . قَالَ: لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَاتِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لِي بِمَكَّةَ قَرَابَةٌ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا وَاللَّهِ مَا فَعَلْتُهُ شَكًّا فِي دِينِي وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :(إِنَّهُ قَدْ صَدَقَ). فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهُ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ). وَنَزَلَتْ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ).

(٢) رواه البخاري (١٥٥٧/٤) كتاب المغازي، باب غزوة الفتح وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ‘، (٤٠٢٥)، وفي (١٨٥٥/٤) كتاب التفسير، باب {لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، ح(٤٦٠٨)، ورواه أبو داود (٤٧/٣) أول كتاب الجهاد، باب في حكم الجاسوس إذا كان مسلما، ح(٢٦٥٠)، قال الشيخ الألباني: صحيح. ورواه الإمام أحمد بن حنبل (٧٩/١) مسند علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه، باب أسماء النبي ﷺ، ح(٦٠٠)، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) مغازي الواقدي (٦٩٧/٢).

٣.تضليل قوّات العدو:

قال الواقدي: " وَبَعَثَ رسول الله ﷺ أبا قَتَادَةَ بْنَ رِبْعِيّ فِي ثَمَانِيَّةِ نَفَرٍ إِلَى بَطْنِ إِضَمَ لِيَظُنَّ ظَانٌّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَوَجّهَ إِلَى تِلْكَ النّاحِيَةِ، وَلِأَنْ تَذْهَبَ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ "(١).

٤.كتمان الوجهة:

حَرَصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلى **سِرّيَةِ تَحرُّكِ الْقُوّاتِ**، فَلَمّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَرْجَ، **كَانَ النّاسُ لَا يَدْرُونَ أَيْنَ تَوَجّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ**، إِلَى قُرَيْشٍ، أَوْ إِلَى هَوَازِنَ، أَوْ إِلَى ثَقِيفٍ؟(٢).

٥.اختيار الزمن المناسب:

انطلق ﷺ لعشرٍ من رمضانَ سنة ٨هـ، وهذا الوقت مظنة السلم والانشغال بالصيام والعبادة في مخيلة العدو آنذاك.

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢ هـ)، ن: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٧ هـ-١٩٩٦م، (٣/٣٧١).

(٢) قال الواقدي في المغازي: " كَانَ عُيَيْنَةُ فِي أَهْلِهِ بِنَجْدٍ فَأَتَاهُ الْخَبَرُ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُرِيدُ وَجْهًا، وَقَدْ تَجَمّعَتْ الْعَرَبُ إلَيْهِ، فَخَرَجَ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ حَتّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَيَجِدُ رَسُولَ اللهِ ' قَدْ خَرَجَ قَبْلَهُ بِيَوْمَيْنِ، فَسَلَكَ عَنْ رُكُوبِهِ فَسَبَقَ إلَى الْعَرْجِ، فَوَجَدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْعَرْجِ،
فَلَمّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَرْجَ أَتَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلَغَنِي خُرُوجُك وَمَنْ يَجْتَمِعُ إلَيْك فَأَقْبَلْت سَرِيعًا وَلَمْ أَشْعُرْ فَأَجْمَعُ قَوْمِي فَيَكُونُ لنا جلبة كثيرة، ولست أرى هيأة حَرْبٍ، لَا أَرَى أَلْوِيَةً وَلَا رَايَاتٍ! فَالْعُمْرَةَ تريد؟ فلا أرى هيأة الْإِحْرَامِ! فَأَيْنَ وَجْهُك يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: حَيْثُ يَشَاءُ اللهُ، وَذَهَبَ وَسَارَ مَعَهُ، وَوَجَدَ الأقرع بن حابس بالسّقيا، قَدْ وَافَاهَا فِي عَشَرَةِ نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فساروا معه، فلمّا نزل قديد عَقَدَ الْأَلْوِيَةَ وَجَعَلَ الرّايَاتِ. فَلَمّا رَأَى عُيَيْنَةُ الْقَبَائِلَ تَأْخُذُ الرّايَاتِ وَالْأَلْوِيَةَ عَضّ عَلَى أَنَامِلِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَلَامَ تَنْدَمُ؟ قَالَ: عَلَى قَوْمِي أَلّا يَكُونُوا نَفَرُوا مَعَ مُحَمّدٍ، فَأَيْنَ يُرِيدُ مُحَمّدٌ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: حَيْثُ يَشَاءُ اللهُ. فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ مَكّةَ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةَ".

٦.تقسيم الجند:

لَمْ يَعْقِدْ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْأَلْوِيَةَ وَالرّايَاتِ حَتّى انْتَهَى إلَى قُدَيْدٍ، وعَسْكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبِئْرِ أَبِي عِنَبَةَ، ثُمّ جَعَلَ رَايَاتِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى النحو التالي: كَانَ فِي الْمُهَاجِرِينَ ثَلَاثُ رَايَاتٍ؛ رَايَةٌ مَعَ الزّبَيْرِ، وَرَايَةٌ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرَايَةٌ مَعَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقّاصٍ. وَكَانَ فِي الْأَوْسِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَايَةٌ مَعَ أَبِي نَائِلَةَ، وَفِي بَنِي ظَفَرَ رَايَةٌ مَعَ قَتَادَةَ بْنِ النّعْمَانِ، وَفِي بَنِي حَارِثَةَ رَايَةٌ مَعَ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ، وَفِي بَنِي مُعَاوِيَةَ رَايَةٌ مَعَ جَبْرِ بْنِ عَتِيكٍ، وَفِي بَنِي خَطْمَةَ رَايَةٌ مَعَ أَبِي لُبَابَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، وَفِي بَنِي أُمَيّةَ رَايَةٌ مَعَ مُبَيّضٍ وَفِي بَنِي سَاعِدَةَ رَايَةٌ مَعَ أَبِي أَسِيدٍ السّاعِدِيّ، وَفِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ رَايَةٌ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ، وفى بني سلَمة رايةٌ مع قطبةَ بنِ عَامِرِ بْنِ حَدِيدَةَ، وَفِي بَنِي مَالِكِ بْنِ النّجّارِ رَايَةٌ مَعَ عُمَارَةَ بْنِ حَزْمٍ، وَفِي بَنِي مَازِنٍ رَايَةٌ مَعَ سَلِيطِ بْنِ قَيْسٍ، وَفِي بَنِي دِينَارٍ رَايَةٌ يَحْمِلُهَا.

٧.تقدُّم طلائعِ الجيش وإلقاءُ القبضِ على المشبوهين:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: لَمّا رَاحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ الْعَرْجِ تَقَدّمَتْ أَمَامَهُ جَرِيدَةٌ مِنْ خَيْلٍ[1] طَلِيعَةٍ، تَكُونُ أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمّا كَانَتْ بَيْنَ الْعَرْجِ وَالطّلُوبِ أَتَوْا بِعَيْنٍ مِنْ هَوَازِنَ إلَى رسول الله ﷺ فقالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْنَاهُ حِينَ طَلَعْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَتَغَيّبَ عَنّا فِي وَهْدَةٍ، ثُمّ جَاءَ فَأَوْفَى عَلَى نَشَزٍ فَقَعَدَ عَلَيْهِ، فَرَكَضْنَا إلَيْهِ فَأَرَادَ أن يَهْرُبَ مِنّا، وَإِذَا بَعِيرُهُ قَدْ عَقَلَهُ أَسْفَلَ مِنْ النّشَزِ وَهُوَ يُغَيّبُهُ، فَقُلْنَا: مِمّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، فَقُلْنَا: هُمْ أَهْلُ هَذَا الْبَلَدِ. فَقُلْنَا: مِنْ أَيّ بَنِي غِفَارٍ أَنْتَ؟ فَعَيِيَ وَلَمْ يُنْفِذْ لَنَا نَسَبًا، فَازْدَدْنَا بِهِ رِيبَةً وَأَسَأْنَا بَهْ الظّنَّ، فَقُلْنَا: فَأَيْنَ أَهْلُك؟ قَالَ: قَرِيبًا! وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إلَى نَاحِيَةٍ. قُلْنَا: عَلَى أَيّ مَاءٍ، وَمَنْ مَعَك هُنَالِكَ؟ فَلَمْ يُنْفِذْ لَنَا شَيْئًا، فَلَمّا رَأَيْنَا مَا خَلَطَ قُلْنَا: لَتُصْدِقَنّا أَوْ لَنَضْرِبَنّ عُنُقَك! قَالَ:

---

(١) والجريدة: الطائفة من الفرسان لا رجّالة فيها.

فَإِنْ صَدَقْتُكُمْ يَنْفَعُنِي ذَلِكَ عِنْدَكُمْ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنّي رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ مِنْ بَنِي نَصْرٍ، بَعَثَتْنِي هَوَازِنُ عَيْنًا. وَقَالُوا: ائْتِ الْمَدِينَةَ حَتّى تَلْقَى مُحَمّدًا فَتَسْتَخْبِرَ لَنَا مَا يُرِيدُ فِي أَمْرِ حُلَفَائِهِ، أَيَبْعَثُ إلَى قُرَيْشٍ بَعْثًا أَوْ يَغْزُوهُمْ بِنَفْسِهِ، وَلَا نَرَاهُ إلّا يَسْتَغْوِرُهُمْ، فَإِنْ خَرَجَ سَائِرًا أَوْ بَعَثَ بَعْثًا فَسِرْ مَعَهُ حَتّى تَنْتَهِيَ إلَى بَطْنِ سَرِفَ، فَإِنْ كَانَ يُرِيدُنَا أَوّلًا فَيَسْلُك فِي بَطْنِ سَرِفَ حَتّى يَخْرُجَ إلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ قُرَيْشًا فَسَيَلْزَمُ الطّرِيقَ[1]....

تنويه: إن من أسباب الفشل التي تعانيه الساحات الجهادية هي تركها لهدي رسول الله ﷺ، ومنهجه في السرية والكتمان على أعلى مستوياته، رغم الاختلاف التكنولوجي بين زمانه ﷺ وزماننا.

❖نقطة تجمُّع القوّات (المثابة):

لقد قطع القائد العام لجيوش المسلمين سيدنا (محمد رسول الله ﷺ)، مسافة (٤٠٩,٥ كلم) في الصحراء، بجيش قوامه العشرة آلاف، إلى قوم ملئت قوافلهم التجاري جزيرة العرب، ومع ذلك وصل ﷺ مشارف مكة ولم يصل الخبر إلى قريش.

(١) ....فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَأَيْنَ هَوَازِنُ؟ قَالَ: تَرَكْتهمْ بِبَقْعَاءَ وَقَدْ جَمَعُوا الْجُمُوعَ، وَأَجْلَبُوا فِي الْعَرَبِ، وَبَعَثُوا إلَى ثَقِيفٍ فَأَجَابَتْهُمْ، فَتَرَكْتُ ثَقِيفًا عَلَى سَاقٍ قَدْ جَمَعُوا الْجُمُوعَ، وَبَعَثُوا إلَى الْجُرَشِ فِي عَمَلِ الدّبّابَاتِ وَالْمَنْجَنِيقِ، وَهُمْ سَائِرُونَ إلَى جَمْعِ هَوَازِنَ فَيَكُونُونَ جَمْعًا. قال رسول الله ﷺ: وَإِلَى مَنْ جَعَلُوا أَمْرَهُمْ؟ قَالَ: إلَى فَتَاهُمْ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَكُلّ هَوَازِنَ قَدْ أَجَابَ إلَى مَا دَعَا إلَيْهِ مَالِكٌ؟ قَالَ: قَدْ أَبْطَأَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَهْلُ الْجِدّ وَالْجَلْدِ. قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: كَعْبٌ وَكِلَابٌ. قَالَ: مَا فَعَلَتْ هِلَالٌ؟ قَالَ: مَا أَقَلّ مَنْ ضَوَى إلَيْهِ مِنْهُمْ، وَقَدْ مَرَرْت بِقَوْمِك أَمْسِ بِمَكّةَ وَقَدْ قَدِمَ عَلَيْهِمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَرَأَيْتهمْ سَاخِطِينَ لِمَا جَاءَ بِهِ، وَهُمْ خَائِفُونَ وجلون، فقال رسول الله ﷺ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، مَا أَرَاهُ إلّا صَدَقَنِي! قَالَ الرّجُلُ: فَلْيَنْفَعَنّي ذَلِكَ؟ فَأَمَرَ بِهِ رسول الله ﷺ خالد بْنَ الْوَلِيدِ أَنْ يَحْبِسَهُ. (مغازي الواقدي ٢/٤٠٨)

فوالله إنك لتقف مدهوشاً مشدوهاً بالدقة والبراعة العسكرية الفذة التي كان يتمتع بها النبيﷺ، وتأكيداً لحرصهﷺ في معاركه كلها على التورية والكتمان.

قال الواقدي: " وَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ بِمَرّ الظّهْرَانِ، وَلَمْ يَبْلُغْ قُرَيْشًا حَرْفٌ وَاحِدٌ مِنْ مَسِيرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلَيْهِمْ، فَقَدْ اغْتَمُّوا وَهُمْ يَخَافُونَ أن يَغْزُوَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ"(١).

❖ البَدءُ بالحربِ النفسيّة:

وقد أمرَ النبيُّ ﷺ ببدءِ الحرب النفسيّةِ بعدما تجمَّع جيشُ المسلمينَ قربَ مكّةَ في مَرِّ الظّهْران، وتجلَّت في وقتِها أن يشعلَ كلُّ رجل من المسلمين شعلةَ نارٍ (مِشعَل) وكان قوامهم آنذاك عَشَرَةَ آلَافِ، فَأَوْقَدُوا عَشَرَةَ آلَافِ نَارٍ.

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَلْتَمِسُونَ الخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ **فَإِذَا هُمْ بِنِيرَانٍ كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ**(٢).

إن الأثر الذي يحدثه هذا المشهد في النفوس، لهو أثر مزلزل مهيب مخيف؛ بركان نيرانٍ لجيش عرمرم على مدِّ النظر، وصهيل خيل ورغاء إبل وقعقعة سلاح، في ليلة دهماء هادئة، ومن عدو ووقت غير متوقع، وبشكل مفاجئ، يجعل الحليم حيراناً عاجزاً مضطرباً.

---

(١) (٨١٤/٢).

(٢) رواه البخاري (١٥٥٩/٤) كتاب المغازي، باب أين ركز النبيﷺ الراية يوم الفتح، (٤٠٣٠).

❖ نجاح القيادة النبويّة بالمفاجأة والمباغتة للعدوّ:

عندما أشرقت نيران المسلمين ليل مكة، وكأن الشمس خرجت في غير اتجاه وغير وقت، دب الرعب والهلع فيهم، وخرج من يستطلع لهم الخبر، فصعدوا جبال مكة ليشهقوا شهقة المصدوم المدهوش الفَزِع، لمشهد لم تراه مكة يوماً، واستتبع هذا الهلع؛ التحزر والسؤال، ولم يكن في قائمة الإجابات تلك جيش المسلمين، وذلك: لقرب انهيار وزال الصلح والعهد بين قريش والمسلمين، فما برح أن عاد أبو سفيان من رحلته إلى المدينة يجر أذيال الفشل، فكيف لجيش المسلمين الوصول بعده بفترة وجيزة، رغم المسافة الشاسعة بين المدينة ومكة (٤٠٩,٥ كلم)، وانتشار العيون لقريش في صحراء جزيرة العرب.

إن ما حققته القيادة النبوية من سرعة في التعبئة والاستنفار، إضافة لسرعة نقل قوات ضخمة لمسافة كبيرة، وبكامل السرية والكتمان، لا يتحقق إلا لقائد راسخ في قدراته، مؤثر بكلماته، مطاع في توجيهاته، متفانٍ في إعداد وتدريب قواته.

قال الواقدي: "فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، فَلَقِيَا بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ فَاسْتَتْبَعَاهُ فَخَرَجَ مَعَهُمَا، فَلَمّا بَلَغُوا الْأَرَاكَ مِنْ مَرّ الظّهْرَانِ رَأَوا الْأَبْنِيَةَ وَالْعَسْكَرَ وَالنّيرَانَ، وَسَمِعُوا صَهِيلَ الْخَيْلِ وَرُغَاءَ الْإِبِلِ، فَأَفْزَعَهُمْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا وَقَالُوا: هَؤُلَاءِ بَنُو كَعْبٍ حَاشَتْهَا الْحَرْبُ! فَقَالَ بُدَيْلٌ: هَؤُلَاءِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي كَعْبٍ! قَالُوا: فَتَنَجّعَتْ[١] هَوَازِنُ عَلَى أَرْضِنَا! وَاللهِ مَا نَعْرِفُ هَذَا! إنّ هَذَا الْعَسْكَرَ مِثْلُ حَاجّ النّاسِ!".

وعَنِ ابْنِ عَبَّاس، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَضَى لِسَفَرِهِ، وَخَرَجَ لِعَشْرٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، فَصَامَ وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ، حَتَّى إِذْ كَانَ بِالْكَدِيدِ، أَفْطَرَ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانِ فِي عَشَرَةِ آلافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَبَّعَتْ سُلَيْمٌ وَأَلَّفَتْ مُزَيْنَةُ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَعْنِي مَرَّ الظَّهْرَانِ، **وَقَدْ عَمِيَتِ الأَخْبَارُ عَلَى**

---

[١] التنجع والانتجاع والنجعة: طلب الكلأ ومساقط الغيث.

قُرَيْشٍ فَلا يَأْتِيهِمْ خَبَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلا يَدْرُونَ مَا هُوَ فَاعِلٌ، خَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَتَحَسَّبُونَ وَيَنْظُرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبَرًا أَوْ يَسْمَعُونَهُ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قُلْتُ: وَاصَبَاحُ قُرَيْشٍ! لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ إِنَّهُ لَهَلاكُ قُرَيْشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، قَالَ: فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَيْضَاءِ، فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى جِئْتُ الأَرَاكَ أَقُولُ: لَعَلِّي أَلْقَى بَعْضَ الْحَطَّابَةِ أَوْ صَاحِبِ لَبَنٍ أَوْ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِيهِمْ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَخْرُجُوا إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ، إِنِّي لأَسِيرُ عَلَيْهَا وَأَلْتَمِسُ مَا خَرَجْتُ لَهُ **إِذْ سَمِعْتُ كَلامَ أَبِي سُفْيَانَ وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ وَهُمَا يَتَرَاجَعَانِ، وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ نِيرَانًا قَطُّ وَلا عَسْكَرًا، قَالَ: قَالَ بُدَيْلٌ: هَذِهِ وَاللَّهِ خُزَاعَةُ حَمَشَتْهَا الْحَرْبُ، قَالَ: قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: خُزَاعَةُ وَاللَّهِ أَذَلُّ وَأَلأَمُ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانَ خُزَاعَةَ وَعَسْكَرَهَا...**(١)

❖ استخدام الضغط النفسيّ على قيادة العدوّ:

إن براعة استخدام فن التأثير والضغط النفسي على قيادات العدو، يعد العنصر القاصم للخط الأول والأخير لأي صمود نفسي أو معنوي لأي جيش مهما بلغت قوته؛ فبانهيار القيادة تنهار الجيوش وتنتهي الحرب فعلياً، وخصوصاً إن عرف عن تلك القيادة ثباتها وحنكتها وشجاعتها، وهذا ما فعله النبيﷺ بصلابة أبي سفيان وجلده، وذلك من خلال أمور أهمها:

---

(١) الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣ هـ)، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ن: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، من حديث عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاس، برقم (١٤٤)، (١١/١٥٣).

١ .**حبس أبو سفيان للصباح:** وهي مدة كافية جداً لطبخ المعنويات الصلبة لأبي سفيان على نارٍ هادئة، فيقيناً سيراجع أبو سفيان حساباته من جديد، وخصوصاً بعد الرؤية القريبة والمعاينة المباشرة لقوة المسلمين العظيمة، وتلك الصورة التي لن تفارق مخيلته لمن يحاول ضرب عنقه.

واقع شديد وظروف عصيبة وساعات حرجة قلقلة يمر بها أبو سفيان.

٢ .**قتل ما تبقى من إرادة المقاومة أو الصمود:** رغم ما مورس على أبي سفيان من تأثير نفسي إلا أنه لم يكن كفيلاً للقضاء المبرم على جَلَدِهِ ورَبَاطَةِ جَأشِهِ، فأراد النبي ﷺ انهاء ما تبقى من تلك المعنويات حتى لا تحدث أي مقاومة محتملة من قريش، فأمر ﷺ العباس رضي الله عنه بحبس أبي سفيان في مضيق الوادي حتى تنهار بقايا معنوياته برؤيته عظم جيش المسلمين وقوته.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه:.....قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اذْهَبْ بِهِ –أي أبو سفيان– إِلَى رَحْلِكَ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَائْتِنَا بِهِ» ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، غَدَوْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: «وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ» ، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ! ، أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كَادَ يَقَعُ فِي نَفْسِي أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى شَيْئًا بَعْدُ، قَالَ: «وَيْلَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَشْهَدَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ» ، قَالَ: بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ! أَمَّا وَاللَّهِ هَذِهِ، فَإِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا حَتَّى الآنَ شَيْئًا، قَالَ الْعَبَّاسُ: قُلْتُ: وَيْلَكَ أَسْلِمْ وَاشْهَدْ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ، قَالَ: فَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ وَأَسْلَمَ، قَالَ الْعَبَّاسُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا، قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ» ، قَالَ: فَلَمَّا ذَهَبْتُ لأَنْصَرِفَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَبَّاسُ، احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ حَتَّى تَمُرَّ بِهِ

خُيُولُ اللَّهِ فَيَرَاهَا» ، قَالَ: فَحَبَسْتُهُ حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَمَرَّتْ بِهِ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا، فَكُلَّمَا مَرَّتْ بِهِ قَبِيلَةٌ، قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَنُو سُلَيْمٍ، قَالَ: يَقُولُ: مَا لِي وَلِبَنِي سُلَيْمٍ، ثُمَّ تَمُرُّ الْقَبِيلَةُ، فَيَقُولُ: مَنْ هَذِهِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، فَيَقُولُ: مَا لِي وَلِمُزَيْنَةَ، حَتَّى نَفِدَتِ الْقَبَائِلُ لَا تَمُرُّ قَبِيلَةٌ إِلا سَأَلَنِي عَنْهَا فَأُخْبِرُهُ إِلا قَالَ: مَا لِي وَلِبَنِي فُلانٍ، قَالَ: حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْخَضْرَاءِ، كَتِيبَةٌ فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ لَا يُرَى مِنْهُمْ إِلا الْحَدَقَ فِي الْحَدِيدِ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَنْ هَؤُلاءِ يَا عَبَّاسُ، قَالَ: قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، قَالَ: قَالَ: مَا لأَحَدٍ بِهَؤُلاءِ قَبْلُ، وَاللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عَظِيمًا، قَالَ: قُلْتُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ إِنَّهَا النُّبُوَّةُ، قَالَ: فَنَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: النَّجَاءَ إِلَى قَوْمِكَ، لِتَخْرُجَ إِلَيْهِمْ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ. . . يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ فِيمَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فَمَنْ دَخَلَ دَارِ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ(١)، قَالَ: فَقَامَتْ إِلَيْهِ هِنْدُ ابْنَةُ عُتْبَةَ فَأَخَذَتْ بِشَارِبِهِ، فَقَالَتْ: اقْتُلُوا الْحَمِيتَ الدَّسِمَ الأَحْمَسَ تَنَبَّى، وَلَعَلَّهُ بَئِسَ، مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ، قَالَ: وَيْلَكُمْ لَا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ

---

(١) لقد تحققت رغبة النبي ﷺ بكسر ما تبقى من العنفوان والروح القتالية، فقد وصل القائد الأشم ~بو سفيان¢ قومه بحالٍ رث يغني عن المقال بالاستسلام وعدم المقاومة أو القتال.

تخيل هذا الموقف وأنتم محل قريش: بعد حصار جيش عرمرم مجهول ومن دون أي استعدادات سابقة للمواجهة، وانتداب أحد أبرز القادة والمشهورين بالشجاعة والحنكة، ليقوم بمهمة التفاوض مع العدو، سيبنى بعودته أحد موقفين اثنين، بحسب حالته النفسية:

الأول– عودة القائد من دون أي تأثيرات نفسية عليه: فحينها ستجد فريقين من الناس، فريق يريد القتال والأخر الاستسلام.

الثاني– عودة القائد وهو بحالة نفسية رثة: ستجد أن الجمع كله قد انهار، بغض النظر عن بعض الحالات الفردية التي لا تقدم ولا تؤخر.

فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ مَا لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، فَقَالُوا: قَاتَلَكَ اللَّهُ وَمَا تُغْنِي عَنَّا دَارُكَ؟ قَالَ: وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ(١).

❖ عدم تهاون القيادة مع الأخطاء الفردية:

من أكبر المشاكل التي نجدها للأسف ممن يتزعم الحراك العسكري، هو التهاون بالأخطاء الفردية الصادرة من الأمراء أو القادة، والتغاضي عنها وكأن شيئاً لم يكن، وكأن للقوي الحق بفعل وقول أي شيء يحلو له فهو سيد الموقف والمرحلة، وهو صاحب المطرقة والسندان، وتجد بعضهم يتكلف بالتبرير بأنه خطأ فردي، لا يمت للجماعة بصلة.

وهذا التفكير أحمق أرعن بعيد عن الحكمة وتأليف قلوب الشعوب، بعيد عن منهج النبوة، فلم يتهاون النبي ﷺ مع الأخطاء الفردية وخصوصا الصادرة من أمراء الجيش بل تعامل بعها بشدة وقسوة.

فعَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ .... في فتح مكة أن سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ قال لأبي سفيان:" **يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ**". فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ:" يَا عَبَّاسُ حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمَارِ(٢)" ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ وَهِيَ أَقَلُّ الْكَتَائِبِ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَرَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي

---

(١) رواه الضياء في الأحاديث المختارة، برقم (١٤٤)، (١١/١٥٣).

(٢) قوله: حبذا يوم الذمار: يريد يوم القتال، والذمر: الحض على القتال، ومراد أبي سفيان بقوله يوم الذمار وهو بكسر المعجمة وتخفيف الميم أي الهلاك قال الخطابي تمنى أبو سفيان أن يكون له يد فيحمى قومه ويدفع عنهم وقيل المراد هذا يوم الغضب للحريم والأهل والانتصار لهم لمن قدر عليه وقيل المراد هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي من أن ينالني مكروه.

سُفْيَانَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟ قَالَ: (مَا قَالَ؟). قَالَ: كَذَا وَكَذَا. قَالَ: **(كَذَبَ سَعْدٌ وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ**[١][٢].

❖ استخدام أحدث العتاد الحربي:

عن ابن عباس:.........فَمَرَّتِ الْقَبَائِلُ على ركابها، فَكُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَأَقُولُ: بنو سليم. فيقول: ما لي وَلِبَنِي سُلَيْمٍ! ثُمَّ تَمُرُّ أخرى، فَيَقُولُ: مَنْ هؤلاء؟ فأقول: مزينة. فيقول: ما لي وَلِمُزَيْنَةِ! فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ كَتِيبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْخَضْرَاءُ فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ **لَا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقُ**، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في المهاجرين والأنصار. رواه البزار[٣].

عن ابن عباس دخل النبي ﷺ يوم الفتح مكة في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار فيها الرايات والألوية مع كل بطن من الأنصار راية ولواء

---

(١) قال بن إسحاق: زعم بعض أهل العلم أن سعدا قال: "اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة ".
فسمعها رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله ما آمن أن يكون لسعد في قريش صولة فقال لعلي: أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها. (فتح الباري لابن حجر ٨/٨).
قال ابن حجر: والذي يظهر في الجمع أن عليا أرسل بنزعها وأن يدخل بها ثم خشي تغير خاطر سعد فأمر بدفعها لابنه قيس ثم أن سعدا خشي أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير وهذه القصة الأخيرة قد ذكرها البزار من حديث أنس بإسناد على شرط البخاري (فتح الباري ٨/٨)، ويتجلى في هذا الموقف الأخوة والمحبة بين أصحاب النبي ﷺ و حرصهم بنفس الوقت على تنفيذ أوامر النبي ﷺ والمخافة من انكار رسول الله ؑ من مخالفة الأوامر.

(٢) رواه البخاري (١٥٥٩/٤) كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ؑ الراية يوم الفتح، (٤٠٣٠).

(٣) وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ طَرَفًا مِنْهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ طَرَفًا مِنْ قصة أبي سفيان مختصرًا جدًا.

في الحديد لا يرى منهم **إلا الحدق** ولعمر بن الخطاب فيها زجل **وعليه الحديد** بصوت عال وهو يزعها(١).

❖ إحكام القبضة على قوات العدو:

عندما وصل النبي ﷺ إلى ذي طوى وزع المهام، فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى، وجعل الزبير على المجنبة اليسرى، وجعل أبا عبيدة على المشاة وبطن الوادي، فقال: «يا أبا هريرة ادع لي الأنصار» فدعاهم فجاؤوا يهرولون، فقال: «يا معشر الأنصار، هل ترون أوباش قريش؟» قالوا: نعم، قال: «انظروا إذا لقيتموهم غدًا أن تحصدوهم حصدًا» وأخفى بيده ووضع يمينه على شماله وقال: «موعدكم الصفا»(٢).

وبعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم، وأمره أن يدخل من كداء من أعلى مكة وأمره أن يغرز رايته بالحجون، ولا يبرح حتى يأتيه، وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة، وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت، وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الأنصار في مقدمة رسول الله ﷺ، وأمرهم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم. وبهذا كانت المسئوليات واضحة، وكل قد عرف ما أسند إليه من مهام والطريق الذي ينبغي أن يسير فيه.

---

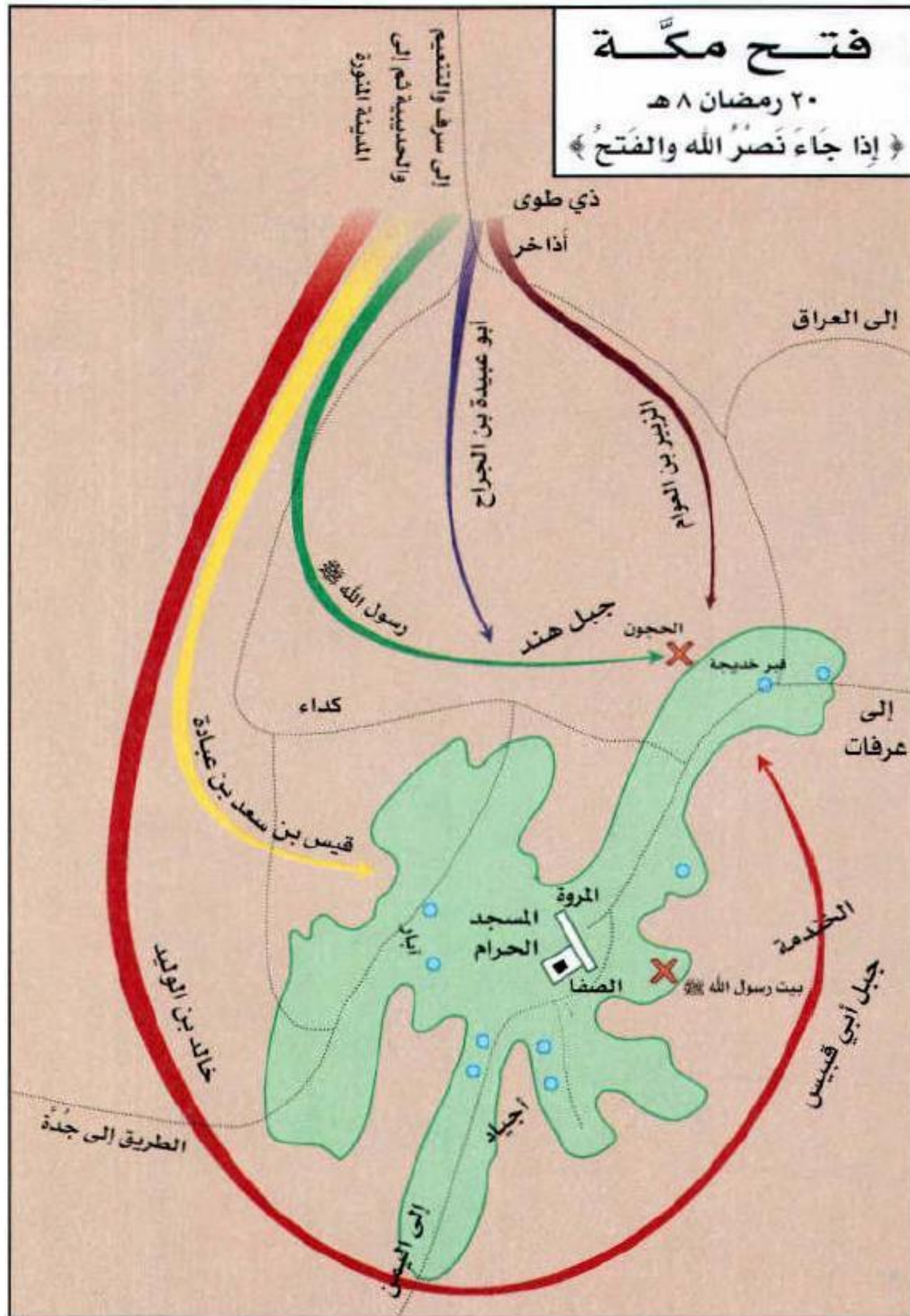
(١) . رواه ابن عساكر (٢٣/٤٥٠).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٧٨٠)، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ –بَابُ فَتْحِ مَكَّةَ، (٣/١٤٠٧).

ودخلت قوات المسلمين مكة من جهاتها الأربع في آنٍ واحدٍ، ولم تلق تلك القوات مقاومة، وكان في دخول جيش المسلمين من الجهات الأربع ضربة قاضية لفلول المشركين، حيث عجزت عن التجمع، وضاعت منها فرصة المقاومة، وهذا من التدابير الحربية الحكيمة التي لجأ إليها رسول الله ﷺ عندما أصبح في مركز القوة في العدد والعتاد، ولم يقاوم إلا عصبة صغيرة تم القضاء عليها بسرعة[١].

---

(١) فقد تجمع متطرفو قريش ومنهم صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو وغيرهم مع بعض حلفائهم في مكان اسمه (الخندمة) وتصدوا للقوات المتقدمة بالسهام، وصمموا على القتال، فأصدر خالد بن الوليد أوامره بالانقضاض عليهم، وما هي إلا لحظات حتى قضى على تلك القوة الضعيفة وشتت شمل أفرادها، وبذلك أكمل الجيش السيطرة على مكة المكرمة.



فتــح مكّــة
٢٠ رمضان ٨ هـ
﴿ إِذا جاءَ نَصْرُ الله والفَتْحُ ﴾
إلى سرف والتنعيم والحديبية ثم إلى المدينة المنورة
ذي طوى
أذاخر
إلى العراق
أبو عبيدة بن الجراح
الزبير بن العوام
رسول الله ﷺ
جبل هند
الحجون
قبر خديجة
كداء
إلى عرفات
قيس بن سعد بن عبادة
المروة
المسجد الحرام
الصفا
بيت رسول الله ﷺ
الخندمة
جبل أبي قبيس
خالد بن الوليد
الطريق إلى جدة
أجياد

❖ صورة القائد المنتصر:

ما أجملها من صورة، وما أبهاها من حلة، يتمثلها ويلبسها القائد الرباني فور كل نصر، وهو لباس التواضع ونسب الفضل والمنة لله العلي القدير.

إن هذه الصورة لا ترتسم إلا على من كان جهاده وحياته لله رب العالمين، وهذا لا يعني أن الفرح بالنصر مكروه أو مذموم، بل هو مطلوب ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [سُورَةُ يُونُسَ :٥٨]، ولكن بشرط ألا تعتلي هذه المشاعر مشاعر (الكبر والزهو والغرور ونسيان فضل العلي الكبير)، فما حُفِظ عن النبيﷺ رغم كثرة فتوحاته وانتصاراته، أنه اغترَّ أو تكبر بنصر، بل ازداد تواضعا إلى تواضعه.

فيوم الفتح دخل رسول الله ﷺ مكة وهو خافض رأسه متواضعًا لله، حتى إن عثنون لحيته التصق واسطة الرحل، وهو يقرأ سورة الفتح مستشعرًا نعمة الله، وشريط من الذكرى لحياة في الله طويلة الفصول: كيف خرج مُطارَدًا؟ وكيف عاد متنصراً شامخاً.

❖ أمن القيادة:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ قَاعِدًا، **وَأَبُو بَكْرٍ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِالسَّيْفِ**" رواه البزار [(١)].
- عَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَتْ: " دَخَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ **وَهُوَ فِي قُبَّةٍ لَهُ**" رواه أحمد.

(١) قَالَ الْبَزَّارُ: لا نَعْلَمُهُ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، قال الهيثمي (١٧٦/٦): رَوَاهُ الْبَزَّارُ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ وَهْبٍ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ.

❖ بلال يؤذِّن على ظهرِ الكعبة

وحان وقتُ صلاة الظهرِ، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذَّن على ظهر الكعبة، وكان ذلك إعلاناً عن ظهورِ الإسلام.

❖ تطهيرُ الكعبةِ والصلاةُ فيها:

فلمّا فرَغَ من الطوافِ دعا عثمانَ بن طلحةَ فأخذ منه مفتاحَ الكعبة، وأمر بفتحِها ثم أمر بما فيها من الأصنام فأخرِجَت وكسِّرَت، وأمرَ بما فيها من الصوَرِ فمُحِيَت، ثمَّ دخلها هو وأسامة بن زيدٍ وبلال فأغلق الباب وصلَّى ركعتينِ، ثم دار في البيت وكبَّر في نواحيه ووحَّد الله.

❖ لا تثريبَ عليكم:

ثمَّ فتحَ البابُ وكانت قريش قد ملأتِ المسجد الحرام صفوفاً فخطب خطبةً بليغةً بيَّن فيها كثيراً من أحكام الإسلام وأسقط أمورَ الجاهليَّة ثمَّ قال: (يا معشر قريش! ما ترون أنِّي فاعلٌ بكم) قالوا: خيراً، أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٌ، قال: (لا تثريبَ عليكمُ اليومَ اذهبوا فأنتمُ الطُّلَقاء)[1].

❖ يوم وفاء وبر:

ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي المَسْجِدِ، وَمِفْتَاحُ الكَعْبَةِ فِي يَدِهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اجْمَعْ لَنَا الحِجَابَةَ مَعَ السِّقَايَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) له شواهد كثيرة منها ما رواه ابن عساكر (٣/٣٨٤)، والبيهقي في سننه الكبرى ج ٩/ ص ١١٨ حديث رقم: ١٨٠٥٤، وذكره الطحاوي في شرح معاني الآثار ج ٣/ ص ٣٢٦،

ﷺ: "أَيْنَ عُثْمَانُ بنُ طَلْحَةَ؟ "، فَدُعِيَ له، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هَاكَ مِفْتَاحَكَ يَا عُثْمَانُ! اليَوْمُ يَوْمُ بِرٍّ وَوَفَاءٍ".(١)

❖ أناسٌ أهدِرَت دماؤُهم:

وكان رسولُ الله ﷺ قد أهدرَ يومَ الفتح دماءَ أناسٍ قد عظُمَت ذنوبُهم، وكَبُرَت جرائمُهم، فأمرَ بقتلِهم حتَّى ولو كانوا متعلِّقينَ بأستارِ الكعبة، فمنهم من قُتِل ومنهم من أدركَته عنايةُ اللهِ فأسلم.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَرْبُوعٍ - وَكَانَ يُسَمَّى الصَّرْمَ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: " أَرْبَعَةٌ لَا أُؤَمِّنُهُمْ فِي حِلٍّ وَلَا حَرَمٍ: الْحُوَيْرِثُ بْنُ نُفَيْلٍ، وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ، وَهِلَالُ بْنُ خَطَلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ". فَأَمَّا الْحُوَيْرِثُ فَقَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا مَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ فَقَتَلَهُ ابْنُ عَمٍّ لَهُ لَحًّاءٌ، وَأَمَّا هِلَالُ بْنُ خَطَلٍ فَقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ فَأَسْتَأْمَنَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه وَكَانَ أَخَاهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ. وَقَيْنَتَيْنِ كَانَتَا لِمَقِيسٍ تُغَنِّيَانِ بِهِجَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُتِلَتْ إِحْدَاهُمَا، وَأَقْبَلَتِ الْأُخْرَى فَأَسْلَمَتْ(٢).

❖ ومضة قيادية (بر ووفاء وحب وتقدير):

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: لَمَّا وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذِي طُوًى، قَالَ أَبُو قُحَافَةَ لِابْنَةٍ لَهُ مِنْ أَصْغَرِ وَلَدِهِ: أَيْ بُنَيَّةُ أَظْهِرِينِي عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ. قَالَ: وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ. قَالَتْ: فَأَشْرَفْتُ بِهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ مَاذَا تَرَيْنَ؟ قَالَتْ: أَرَى سَوَادًا مُجْتَمِعًا

---

(١) أخرجه ابن هشام ٥/ ٧٣ وابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ٣٠٠ عن ابن إسحاق.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد٦/١٧٣: (رَوَى أَبُو دَاوُدَ مِنْهُ طَرَفًا، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ. وَقَدْ تَقَدَّمَتْ أَحَادِيثُ نَحْوَ هَذَا قَبْلُ بِوَرَقَتَيْنِ فِي هَذَا الْمَعْنَى.).

قَالَ: تِلْكَ الْخَيْلُ. قَالَتْ: وَأَرَى رَجُلًا يَسْعَى بَيْنَ ذَلِكَ السَّوَادِ مُقْبِلًا وَمُدْبِرًا، قَالَ: يَا بُنَيَّةُ، ذَلِكَ الْوَازِعُ - يَعْنِي الَّذِي يَأْمُرُ الْخَيْلَ وَيَتَقَدَّمُ إِلَيْهَا - قَالَتْ: قَدْ وَاللَّهِ انْتَشَرَ السَّوَادُ، قَالَ: إِذًا وَاللَّهِ دَفَعَتِ الْخَيْلُ، أَسْرِعِي بِي إِلَى بَيْتِي. وَانْحَطَّتْ بِهِ، وَتَلَقَّاهُ الْخَيْلُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى بَيْتِهِ، وَفِي عُنُقِ الْجَارِيَةِ طَوْقٌ مِنْ وَرِقٍ فَتَلَقَّاهَا رَجُلٌ فَاقْتَلَعَهُ مِنْهَا. قَالَتْ: فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ أَتَى أَبُو بَكْرٍ بِأَبِيهِ يَقُودُهُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " **هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ؟** ". فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ مَسَحَ صَدْرَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: " أَسْلِمْ " فَأَسْلَمَ، وَدَخَلَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَأْسُهُ كَأَنَّهَا ثَغَامَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " غَيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ ". ثُمَّ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِيَدِ أُخْتِهِ، فَقَالَ: أَنْشُدُ اللَّهَ وَالْإِسْلَامَ طَوْقَ أُخْتِي، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: يَا أُخَيَّةُ، احْتَسِبِي طَوْقَكِ(١).

حب وتواضع وتقدير متبادل بين النبي ﷺ وصاحبه، مواقف في غاية الرقي والوفاء والأدب، تعجز الكلمات مجتمعة عن الوصف.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِأَبِيهِ أَبِي قُحَافَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُودُهُ - شَيْخٌ أَعْمَى - يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَلَا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى نَأْتِيَهُ؟ " قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ يُؤْجِرَهُ اللَّهُ. لَأَنَا كُنْتُ بِإِسْلَامِ أَبِي طَالِبٍ أَشَدَّ فَرَحًا مِنِّي

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٧٤: (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ وَزَادَ: فَوَاللَّهِ إِنَّ الْأَمَانَةَ الْيَوْمَ فِي النَّاسِ لَقَلِيلَةٌ. وَرِجَالُهُمَا ثِقَاتٌ. وَرَوَاهُ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ عَنْ أَسْمَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مِثْلَهُ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.).

بإِسْلَامِ أَبِي، أَلْتَمِسُ بِذَلِكَ قُرَّةَ عَيْنِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " صَدَقْتَ "[1].

❖ اللبنة الأولى في حياة القائد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:......... فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَمَّا الرَّجُلُ[2] فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، وَرَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَجَاءَ الْوَحْيُ وَكَانَ إِذَا جَاءَ الْوَحْيُ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا، فَإِذَا جَاءَ فَلَيْسَ أَحَدٌ يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى يَنْقَضِيَ الْوَحْيُ، فَلَمَّا انْقَضَى الْوَحْيُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ» قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ؟ " قَالُوا: قَدْ كَانَ ذَاكَ، قَالَ: «كَلَّا، إِنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ، وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ»، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ: وَاللهِ، مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَّا الضِّنَّ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ، وَيَعْذِرَانِكُمْ»[3].



(١) قال الهيثمي في منبع الزوائد ومنبع الفوائد٦/١٧٤: (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَالْبَزَّارُ، وَفِيهِ مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ.).

(٢) يقصدون النبيﷺ.

(٣) رواه مسلم برقم(١٧٨٠)، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ–بَابُ فَتْحِ مَكَّةَ (٣/١٤٠٥).

البَابُ الحَادِي عَشَرَ

غزوة حُنَيْن

شوّال السنة ٨ هـ

قوّات المسلمين	قوّات العدو
اثنا عشر ألفاً بين راكب وراجل بقيادة الرسول ﷺ: ألفان من أهل مكة وعشرةُ آلافٍ من المسلمين الذين حضروا فتح مكّة.	قبيلة هوازن (عدا عقيل بنَ كعبِ بنِ ربيعةَ، وبِشرَ بنَ كعبِ بن ربيعة وبني كلابِ بنِ ربيعة وسائر إخوتهم) ومعظم قبيلة ثقيف بقيادة مالكِ بنِ عوف النصريّ من هوازن.

❖ أسباب الغزوة:

لَمّا فَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكّةَ دبَّ الرعبُ في القبائل الوثنيّةِ المتبقّية في جزيرة العرب، وعلِموا أنَّ أمرَ حربِهم قريبٌ، فمَشَتْ أَشْرَافُ هَوَازِنَ بَعْضُهَا إلَى بَعْضٍ، وَثَقِيفٌ بَعْضُهَا إلَى بَعْضٍ، فعزموا على أن يبدؤوا المسلمين القتالَ وَحَشَدُوا وأعدُّوا العدَّة و قَالُوا: وَاَللهِ مَا لَاقَى مُحَمّدٌ قَوْمًا يُحْسِنُونَ الْقِتَالَ، فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ فَسِيرُوا إلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَسِيرَ إلَيْكُمْ.

ولمّا وصل الخبرُ إلى النبيّ ﷺ عن طريق العيون والاستخبارات العسكريّة النبويّة، قرّر أن يباغِتَ العدوَّ قبل أن يباغِتوا المسلمين ويهدِّدوا مكّة.

❖ قوات الاستطلاع:

أرسل النبيُّ ﷺ عبدَ الله بنِ أبي حدرد الأسلميَّ، وأمرَه أن يذهب الى منطقة تحشُّدِ المشركين للتأكُّد من صحَّة تلك الأخبار، وعاد عبد الله الأسلمي من واجبه

ليخبرَ المسلمين أنَّ قبائل هوازن وثقيف قد أنجزَت حشْدَها في منطقة وادي أوطاس، وأنها تنوي مهاجمةَ المسلمين.

❖ التجهُّز للمعركة:

١- وضعُ نائبٍ على مكّة:

كان رسولُ الله ﷺ إذا أراد الخروج إلى غزوة أو غيرها عيَّن أميراً يقوم مقامَه مدَّة غيابه -كما مرَّ معنا في كلِّ غزوة- يتابع أمور الناس ويتفقّد أحوالَهم ويحلُّ مشكلاتهم، فاستخلف الرسول ﷺ عتّابَ بنَ أسَيد على مكّة عند خروجه.

٢- عُدَّة الجيش:

سعى ﷺ لتأمين عدّة الجيش فطلب من صفوانَ بنِ أميّةَ دروعًا، وتكفَّل ﷺ بالضمان، وكان نوفل وصفوان لا يزالان على شِركهما، عن صفوان بن يعلى بن أميّة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «إذا أتتك رسُلي فأعطِهم -أو قال فادفع إليهم- ثلاثين درعاً وثلاثين بعيراً، أو أقلَّ من ذلك» فقال له: العاريةُ مؤدّاة يا رسول الله، قال: فقال النبيُّ ﷺ: «نعم» وفي رواية: أنَّ رسول الله ﷺ استعار منه يومَ حنينٍ دروعاً، فقال: أغَصبًا يا محمَّد؟ قال: «لا، بل عاريةٌ مضمونة» قال: فضاع بعضُها فعرضَ عليه رسول الله ﷺ أن يضَعَها له، فقال: أنا اليوم يا رسول الله في الإسلام أرغَبُ، قال أبو داود: وكان أعارَه قبل أن يُسلِمَ ثمَّ أسلَم.

وقد طلب أيضاً ﷺ من ابن عمِّه نوفلِ بن الحارث بن عبد المطَّلب ثلاثةَ آلافِ رمحٍ إعارةً، فقد ذكر بن عبد البرِّ أنَّ رسول الله -ﷺ- استقرض من حويطبِ بنِ عبد العزّى أربعينَ ألفَ درهمٍ، وأنَّ نوفل بن الحارث بن عبد

المطلب بن هاشم أعان رسول الله –ﷺ– يوم حنينٍ بثلاثة آلاف رمحٍ، فقال له رسول الله –ﷺ–: "كأنِّي أنظر إلى رماحك يا أبا الحارث تقصِفُ أصلابَ المشركين"

٣- **تنظيم الصفوف:**

أعدَّ رسول الله ﷺ جيشًا قَوامُه عشَرةُ آلاف –وهم من خرجوا معه من المدينة– وألفانِ من مسلمةِ الفتح؛ فكان عددُ مَن خرج في تلك الغزوة اثني عشَرَ ألفاً، عن أنس بن مالك –ﷺ– قال: لمّا كان يومُ حنين أقبلت هوازن وغطفان بذراريهم ونَعَمِهم، ومع النبيّ ﷺ يومئذ عشرةُ آلافٍ ومعه الطُّلَقاء وهم ألفانِ.

وكانت المقدِّمة مؤلَّفة من سليم بقيادة خالد بن الوليد وأمامها القطعات الراكبة من الفرسان، وكان القسم الأكبر مؤلَّفاً من القبائل الأخرى، وأمامَ كلِّ قبيلة رايتُها؛ وكانت الكتيبة الخضراء المؤلَّفة من المهاجرين والأنصار في مؤخّرة القسم الأكبر ومعها الرسولُ ﷺ.

٤- **الشِّعار:** وقد سَمّى ﷺ خَيْلَهُ خَيْلَ اللهِ، شِعَارَ الْمُهَاجِرِينَ بَنِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَجَعَلَ شِعَارَ الْأَوْسِ بَنِي عُبَيْدِ اللهِ.

❖ مَسِيرُ القوّات:

١- الحِرص على تحقيق المباغتة والمفاجأة:

ولقد قام النبي ﷺ بالإسراع بالجيش لتحقيقِ مبدأ المباغتة وليسبقَ أيَّ خبر يصلُ إلى العدو.

قال الواقدي: " وَكَانَ سَهْلُ بْنُ الْحَنْظَلِيّةِ الْأَنْصَارِيُّ يَقُولُ: سِرْنَا مَعَ النّبِيّ ﷺ فِي غَزْوَةِ هَوَازِنَ، فَأَسْرَعَ السّيْرَ".

عن سَهْلُ ابْنُ الْحَنْظَلِيَّةِ قال: " أَنَّهُمْ سَارُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَأَطْنَبُوا السَّيْرَ". رواه أبو داوود.

٢- الاستطلاع والتعبئة النفسيّة ما قبلَ المعركة:

وقد أرسل ﷺ فارساً ليستطلعَ له الجديدَ من الأخبار، وقد رفع النبي ﷺ الروحَ المعنويّة للجيش بجملة مختصرة بليغة تحرِّضُ وتشملُ كلَّ الأصناف التي خرجت في ذاك الجيش.

عَنْ أبِي كَبشَةَ السَّلُولِيّ، أَنَّ سَهْلَ ابْنَ الْحَنْظَلِيِّ رضي الله عنه حَدَّثَهُ، أَنَّهُمْ سَارُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَأَطْنَبُوا السَّيْرَ، حَتَّى كَانَتْ عَشِيَّةً فَحَضَرْتُ الصَّلَاةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَارِسٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي انْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ حَتَّى طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَلَى بَكْرَةِ آبَائِهِمْ بِظُعُنِهِمْ، وَنَعَمِهِمْ، وَشَائِهِمْ، اجْتَمَعُوا إِلَى حُنَيْنٍ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ: «تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»(١).

٣- أمنُ القوّات:

وعندما كانت العشيّةُ قَالَﷺ : «مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ؟»، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيُّ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَارْكَبْ»، فَرَكِبَ فَرَسًا لَهُ فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : «اسْتَقْبِلْ هَذَا الشِّعْبَ حَتَّى تَكُونَ فِي أَعْلَاهُ، وَلَا نُغَرَّنَّ مِنْ قِبَلِكَ اللَّيْلَةَ»، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى مُصَلَّاهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ أَحْسَسْتُمْ فَارِسَكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسَسْنَاهُ فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي، وَهُوَ يَلْتَفِتُ إِلَى الشِّعْبِ حَتَّى إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَبْشِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ فَارِسُكُمْ»،

(١) رواه أبو داود (٣/٩) أول كتاب الجهاد، باب في فضل الحرس في سبيل الله تعالى، ح(٢٥٠١)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

فَجَعَلْنَا نَنْظُرُ إِلَى خِلَالِ الشَّجَرِ فِي الشِّعْبِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي انْطَلَقْتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَى هَذَا الشِّعْبِ حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ اطَّلَعْتُ الشِّعْبَيْنِ كِلَيْهِمَا فَنَظَرْتُ، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِﷺ : «هَلْ نَزَلْتَ اللَّيْلَةَ؟» قَالَ: لَا، إِلَّا مُصَلِّيًا أَوْ قَاضِيًا حَاجَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ أَوْجَبْتَ فَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْمَلَ بَعْدَهَا».[2][1]

❖ وصف جيش الكفار واستعداداتهم:

وأكملَ المشرِكون احتلالَ هضابِ الوادي ومَضايقِه قبلَ دخولِ المسلمين إليه.

الإجراءات العسكريّة التي قام بها العدوُّ:

وتتلخَّصُ تلك الإجراءات العسكريّة في خمسة أمور وهي:

١- **التعبئة المعنويّة قبل القتال:**

وقد أخذت شكلين؛ الأوّل: من خلال خطبة بليغة حماسيّة خطبَها مالكُ بنُ عوفٍ، والثاني: بتجريد السيوف وكسرِ أجفانها، فقد جرَت عادةُ العرب في حروبهم أن يكسِروا أجفانَ سيوفهم قبل بدءِ القتال، وهذا التصرُّف يُؤذِن بإصرار المقاتل على الثبات أمام الخصم حتَّى النصرِ أو الموت.

٢- **سدُّ سُبل الفِرار لدى الجنود:**

---

[1] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ (٢٥٠١) كِتَابُ الجِهَادِ–بَابٌ فِي فَضْلِ الْحَرْسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَذَا الحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ (٢٤٣٣) كِتَابُ الجِهَادِ، وَقَالَ: «هَذَا الإِسْنَادُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ»، وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي التَّلْخِيصِ (٢/٩٣): «عَلَى شَرْطِ البُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، لَكِنْ لَمْ يُخَرِّجَا لِسَهْلٍ، وَهُوَ صَحَابِيٌّ كَبِيرٌ».

[2]() فِي الحَدِيثِ فَائِدَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ عَظِيمَةُ النَّفْعِ، وَذَلِكَ فِي انْتِقَاءِ مَكَانِ الحِرَاسَةِ، بِحَيْثُ يَكُونُ كَاشِفًا لِلمُحِيطِ، وَيَسْهُلُ التَّعَامُلُ مَعَ العَدُوِّ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ التَّوَاصُلُ مَعَ القِيَادَةِ، وَأَنْ يَكُونَ مَخْفِيًّا عَنْ نَظَرِ العَدُوِّ.

حشدَت هوازنُ وثقيفٌ قوّاتِها في وادي حنين (أوطاس) ومعهم نساؤهم وأطفالهم وأموالهم، وقد أراد مالكُ بن عوف قائدُهم أن تكون الذراريُّ والأموال مع المقاتلين، حتى يشعر كلُّ رجل منهم وهو يقاتل أن حُرمتَه وثروتَه وراءَه فلا يفِرَّ عنها.

وقد اعترضَ رجلٌ مُسِنٌ هرِمٌ عالمٌ بالحرب يُدعى دريدَ بنَ الصمّةَ قائلاً لمالك: "هل يردّ المنهزمَ شيءٌ؟ إن كانت الدائرة لك لم ينفعكَ إلّا رجل برمحِه وسيفِه، وإن كانت عليك فُضِحتَ في أهلِكَ ومالِك". فكان جواب مالك: "والله لا أفعل ذلك، إنك قد كبرتَ وكبرَ علمُك، والله لتطيعُنَّني يا معشرَ هوازن أو لأتكئنَّ على هذا السيفِ حتَّى يخرجَ من ظَهري:، فاضطرَّت هوازن إلى الأخذ برأي مالك، ولا بدَّ أن نشيرَ هنا إلى أمر مهمٍ ويعلمه مَن عاين الحياة العسكريّة والقتاليّة، أنَّ هذا الأسلوبَ الذي اتَّبعَه مالك بن عوف والذي خالف به دريدَ بن الصمّةِ مصيرُه الفشلُ، فإنَّ المقاتل لن يستبسلَ ما لم يطمئنَّ على استقرارِ أهلِه وأمانِهم ما أمكن إلى ذلك من سبيل، مع العلم أنَّ أسلوب قطع العوالقِ والمشاغلِ عن المقاتل من الأساليب النافعة في القتال بحيث لا تكون تلك الوسائلُ تمسُّهم بأمنٍ واستقرارِ أهلِ المقاتل ومالِه.

٣- **المفاجَأة والمباغَتة:**

كان ضمن الخطّة التي رسمَها القائد الهوازنيُّ، الأخذُ بزمامِ المبادرة ومهاجمةِ المسلمين؛ حيث كان جيشُه أسرعَ من جيش المسلمين في احتلال المواقع والنقاط الحاكمة في المعركة، مع أنّ النبيَّ ﷺ أفرغ الجهد والسعة في تحقيق عنصر المفاجأة والمباغتة، وقد نالت خطّة هوازن ثمارَها بعضَ الوقتِ لسبقِها جيشَ المسلمين بهذه الخطوةِ الفعّالة، ولكن قد انقلبت موازينُ القُوَى

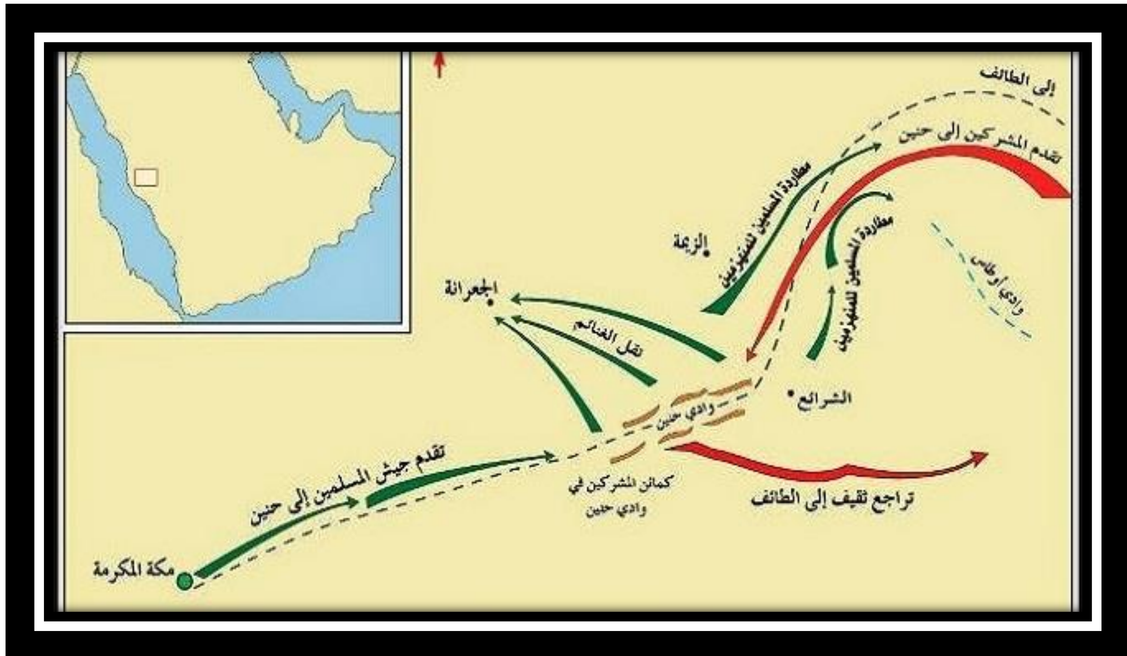
بفضلِ الله تعالى ثمَّ بثبات رسول الله ﷺ، وربحَ المسلمون الجولةَ الثانيةَ من المعركة.

٤- **نصبُ الكمائن لمباغتة جيش المسلمين والانقضاض عليهم:**

وكان ذلك باحتلال المناطق الحاكمة لأرض المعركة وساعدهم في ذلك تفوُّقُهم في خطوة المبادرة كما مرَّ معنا آنفاً، وكان ذلك –بمشورة الفارس المحنَّك دريدِ بنِ الصمَّة– في هذا الأمر، كانت الخطّة تتلخَّص باحتلال الهضاب والجبال المُشرِفة على وادي (حنين) الذي ستسلُكُه قوّات المسلمين، فكمَنُوا في مواضعهم المستورة انتظاراً لجيش المسلمين، حتّى إذا دخلت قوّاتُ المسلمين في الوادي، باغتهم المشركون بالرمي عليهم بالنبال من كلِّ جانب لإرباك ترتيباتهم التعبويَّة التي اتَّخذوها في مسير الاقتراب والتأثير في معنويّاتهم، ثمَّ القيام بالهجوم عليهم بعد ارتباك أرتال مسيرهم وإيقاع الخسائر بهم وتحطيم معنويّاتهم لإجبارهم على الانسحاب أوّلاً ومحاولة قلب الانسحابِ إلى هزيمةٍ نكراءَ، وقد كادت هذه الخطّة تقضي على قوّات المسلمين لولا لطفُ الله ﷻ وعنايتُه.

٥- **استخدام الحرب النفسيّة ضدَّ المسلمين:**

حيث عمدَ جيش الكفّار إلى عشرات الآلاف من الجِمال التي صحِبَها معه في الميدان فجعلها وراء جيشه ثمَّ أركب عليها النساءَ، فكان لذلك المشهدِ منظرٌ مَهيب يحسَبُ من يراه أنَّ هذا الجيشَ مئةُ ألفِ مقاتلٍ، وهو ليس كذلك. عن أنس بن مالك ﵁ قال: افتتحنا مكّة، ثمَّ غزَونا حنيناً، فجاء المشركون بحنين بأحسنِ صفوفٍ رأيت، قال: فصُفَّتِ الخيلُ، ثمّ صُفَّتِ المقاتلةُ، ثمّ



صفَّت النساءُ من وراء ذلك ثم صفَّت الغنمُ ثمّ صفَّت النعم.

❖ أحداث المعركة:

١- تفقُّد الصفوف والتعبئة المعنويّة:

يقول الواقدي: "وَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بغلتَه البيضاءَ دلدلَ، ولبس درعَين والمغفرَ وَالْبَيْضَةَ، وَاسْتَقْبَلَ الصّفُوفَ، وَطَافَ عَلَيْهَا بَعْضَهَا خَلْفَ بَعْضٍ يَنْحَدِرُونَ فِي الْوَادِي، فَحَضّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ وَبَشّرَهُمْ بِالْفَتْحِ إنْ صَدَقُوا وَصَبَرُوا."

٢- الالتحام وثبات القيادة:

عن كثيِّرِ بنِ الْعَبَّاس عَن أَبِيه قَالَ: شهِدتُ مَعَ رَسُول الله ﷺ يَوْم حنين، فلزمتُ أَنا وَأَبُو سُفْيَان بن الْحَارِث بن عبد الْمطّلب رَسُول الله ﷺ فَلم نفارقْهُ، وَرَسُول الله ﷺ على بغلةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أهداها لَهُ فَرْوَةُ ابْن نفاثة الجذاميّ، فَلَمَّا التقى الْمُسلمُونَ وَالْكفَّار ولَّى الْمُسلمُونَ مُدبرينَ، فطَفِقَ رَسُول الله ﷺ يُرْكِضُ بغلتَهُ قِبلَ الْكفَّارِ، قَالَ عَبَّاس: وَأَنا آخذٌ بلجامِ بغلة رَسُول الله ﷺ أكفُّها إِرَادَةَ أَلَّا تسرعَ، وَأَبُو سُفْيَان آخذ بركاب رَسُول الله ﷺ، فقَالَ رَسُول الله ﷺ: " أَي عَبَّاس، نَادِ أَصْحَاب السمُرَة ". فقَالَ عَبَّاس - وَكَانَ رجلاً صيِّتًا: فَقلت بِأَعْلَى صوتي: أَيْن أَصْحَاب السمُرَة؟ قَالَ: فوَاللَّه لكأنْ عطفتُهم حِين سمعُوا صوتي عِطفةَ الْبَقر على أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لبيْك، يَا لبيْك، قَالَ: فَاقْتَتلُوا وَالْكفَّار والدعوة فِي الْأَنْصَار، يقُولُونَ: يَا معشرَ الْأَنْصَار، يَا معشر الْأَنْصَار، ثمَّ قصرت الدعْوَة على بني الْحَارِث بن الْخَزْرَج، فَنظر رَسُول الله ﷺ وَهُوَ على بغلته كالمتطاوِل عَلَيْهَا إِلَى قِتَالهمْ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: " هَذَا حِينُ حميَ الْوَطِيسُ " قَالَ ثمَّ أَخذ رَسُول الله ﷺ حَصَيَات فرمى بِهنَّ وُجُوهَ الْكفَّار، ثمَّ قَالَ: " انْهَزمُوا وَربِّ مُحَمَّد " قَالَ: فَذَهَبتُ أنظرُ فَإِذا الْقِتَالُ على هَيئته أنس بن مالك فِيمَا أرى. قَالَ: فوَاللَّه مَا هُوَ إِلَّا أَن رماهم بحصَيات، فَمَا زلتُ أرى حَدَّهمْ كليلاً وَأمرَهمْ مُدبراً(١).

عن أنس بن مالك ﷺ قال" لمّا كان يومُ حنينٍ أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم

(١) رواه مسلم (١٣٩٨/٣) كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ح(١٧٧٥).

بذراريهم ونَعَمهم ومع النبيّ ﷺ يومئذٍ عشرةُ آلافٍ ومعه الطلقاءُ فأدبَروا عنه حتَّى بقيَ وحدَه[1]"[2].

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ يَوْمَ حُنَيْنٍ: " أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ"[3].

---

(١) قال ابن حجر: ويجمع بين قوله "حتى بقي وحده" وبين الأخبار الدالة على أنه بقي جماعة، بأن المراد: بقي وحده متقدما مقبلا على العدو، والذين ثبتوا معه كانوا وراءه، أو وحدة بالنسبة لمباشرة القتال، وأبو سفيان ابن الحارث وغيره كانوا يخدمونه في إمساك البغلة ونحو ذلك.

(٢) رواه البخاري (٤/١٥٧٦) كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، (٤٠٨٢)، ورواه مسلم (٢/٧٣٥) كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه،(١٠٥٩).

(٣) رواه البخاري (٣/١٠٥١) كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب، ح(٢٧٠٩)، وفي باب بغلة النبي ' البيضاء ح(٢٧١٩)، وفي باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته واستنصر ح(٢٧٧٢)، وفي باب إذا نزل العدو على حكم رجل (٢٨٧٧)، وفي (أنا النبي لا كذب) (أنا بن عبد المطلب) (٤/١٥٦٨) كتاب المغازي، باب قول الله تعالى {ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته} إلى قوله {غفور رحيم، ح(٤٠٦١)، وح(٤٠٦٢)، وفي باب قول الله تعالى {ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته} إلى قوله {غفور رحيم ح(٤٠٦٣)، ورواه مسلم (٣/١٤٠٠) كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ح(١٧٧٦)، وفي باب في غزوة حنين ح(١٧٧٦)، وح(١٧٧٦)، ورواه الترمذي (٤/١٩٩) كتاب الجهاد عن رسول الله '، باب ما جاء في الثبات عند القتال، ح(١٦٨٨)، قال الشيخ الألباني: صحيح. ورواه الإمام أحمد بن حنبل (٤/٢٨٠) حديث البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه، ح(١٨٤٩١)، تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وفي ١/ ح(١٨٤٩٨)، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وفي ١/ ح(١٨٥٦٣)، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وفي ١/ (١٨٧٢٨)، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

عَنْ سَيَابَةَ بن عاصم السُّلَمِيّ -رضي الله عنه- " أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ يَوْمَ حُنَيْنٍ: أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِكِ ".[١]

وهنا ترى درساً بليغاً يتكرَّر المرَّة بعد المرَّة في سيرة المصطفى ﷺ بشكل لم يشهدْهُ التاريخُ، فقد بقيَ ﷺ في وجهِ ثلاثةِ آلافٍ في أحد، وقد بقيَ في حنين أمامَ عشرين ألفاً، فليس للقائد الذي يكون بعيداً عن مقدمة المعامع والمخاطر إذا نادى جندِه أن يلبُّوه، كما يفعلُ كثرٌ مِن قادات الأرضِ اليومَ.

وقال النوويُّ: "قال العلماء: ركوبه ﷺ البغلةَ في مواطنِ الحرب وعند اشتدادِ البأس هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنَّه أيضاً يكون معتمَداً يرجِعُ المسلمون إليه، وتطمئنُّ قلوبهم به، وبمكانه، وإنَّما فعل هذا عمداً وإلّا فقد كانت له أفراسٌ معروفةٌ، وممّا ذكرَه في الحديث -يعني حديث العباس- من شجاعته ﷺ تقدُّمُه يُركِضُ بغلتَه إلى جمعِ المشركين، وقد فرَّ الناسُ عنه، وفي الرواية الأخرى -يعني حديثَ سلمةَ بن الأكوع- أنَّه نزَلَ إلى الأرض حين غشَوه، وهذه مبالغةٌ في الثباتِ والشجاعة والصبر، وقيل فعلَ ذلك مواساةً لمن كان نازلاً على الأرض من المسلمين وقد أخبرَتِ الصحابةُ رضي الله عنهم بشجاعته -ﷺ- في جميع المَواطِن".

وقال القسطلاني: "وقد ركب عليه الصلاة والسلام البغلةَ في هذا المحلِّ الذي هو موضِعُ الحرب والطعن والضرب تحقيقاً لنبوَّته لِما كان الله تعالى خصَّه به من مزيد الشجاعة وتمام القوّة، وإلّا فالبغال عادةً من مراكب الطمأنينة، ولا تصلُحُ لمواطن الحرب في العادة إلّا الخيلُ، فبيَّن عليه الصلاة والسلام أنَّ الحربَ عنده كالسلم قوَّةُ قلبٍ وشجاعة نفس وثقةٌ وتوكّلٌ على الله تعالى"[٢].

---

[١] رواه البيهقي والطبراني (٧/ ١٦٨ح٦٧٢٤) ، ابن قانع (١/ ٣٠٢)، صَحِيح الْجَامِع: ١٤٤٦ ، والصحيحة: ١٥٦٩

[٢] المواهب اللدنية ١٦٣/١ وانظر ابن كثير: التفسير ٣٤٥/٢.

٣- **اللبنة الأولى ودورها الكبير في الخروج من الأزمات:**

عن عبد الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما: قال: "لقد رأيتُنا يوم حُنَين، وإنَّ الفئتينِ لمُولِّيتَان -يعني: المهاجرين، والأنصار- وما مع رسولِ الله ﷺ مئةُ رَجُل"(١).

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ حَصِيرَةَ ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَعْنِي يَوْمَ حُنَيْنٍ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَبَقِيتُ مَعَهُ فِي ثَمَانِينَ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَهُمُ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : نَاوِلْنِي كَفًّا مِنْ تُرَابٍ ، فَرَمَى بِهِ وُجُوهَهُمْ ، فَامْتَلأَتْ أَعْيُنُهُمْ تُرَابًا ، وَأَقْبَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ وَسُيُوفُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ كَأَنَّهَا الشُّهُبُ وَوَلَّى الْمُشْرِكُونَ مُدْبِرِينَ". رواه البزّار.

وقد اختلفتِ الرواياتُ فيمن ثبتَ مع النبي ﷺ ففي رواية أنَّهم أربعةٌ وفي ثانيةٍ عشرةٌ، وفي ثالثةٍ أنهم كانوا اثنَي عشرَ، وفي رواية رابعة ثمانين، وفي أخرى أنّهم مئة، وقال الزرقاني: وجمع شيخنا، بحمل الأربعة على من بقي معه آخذاً بركابه، والاثني عشرَ والعشرةَ على المتلاحقين بسرعة، فمن قال اثنا عشر عدَّ مَن كان معه أوّلاً فيهم، ومن قال عشرة أراد الأربعةَ والستّةَ ممّن أسرع، وحمل الثمانين على الذين نكَصُوا على أقدامهم ولم يولُّوا الدبُرَ، والمئة عليهم وعلى من انضمَّ إليهم حين تقدَّموا إليه عليه السلام(٢).

فبناء اللبنة الأولى هي من أولى الأولويّات والتي تحتاج وقتاً طويلاً وتربيةً مديدة متتابعة مستمرّة وهي القاعدة التي تُبنى عليها الأممُ وتنهضُ بها

---

(١) رواه الترمذي برقم (١٦٨٩)، أَبْوَابُ الْجِهَادِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -بَابُ مَا جَاءَ فِي الثَّبَاتِ عِنْدَ الْقِتَالِ ،وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ (٢/٤٠٠).

(٢) (شرح المواهب اللدنية ٣/١٩٢٠، والسيرة الحلبية ٣/٦٥)

المشاريعُ وهي الجذر الراسخ الذي يتثبَّت في وقت الأهوال والابتلاءات، فأيُّ بناء في نهضة هذه الأمّةِ إن لم تكن على ذلك الأساسِ الصُّلبِ القويِّ المتماسكِ كانت في مهبِّ الضياع في أصغرِ محنة.

يقول سيِّد قطب رحمه الله تعالى في ظلال القرآن: " إنَّ معركةَ حنين التي يذكرها السياق هنا ليعرضَ نتائجَ الانشغالِ عن الله، والاعتمادِ على قوّةٍ غير قوَّته ، لتكشف لنا عن حقيقة أخرى ضمنيّة حقيقة القوى التي تعتمد عليها كلُّ عقيدة. إنَّ الكثرة العدديّة ليست بشيءٍ، إنّما هي القِلّة العارفةُ المتّصلة الثابتة المتجرِّدة للعقيدة. وإنَّ الكثرة لَتكونُ أحياناً سبباً في الهزيمة؛ لأنَّ بعض الداخلين فيها التائهين في غِمارها ممّن لم يدرِكوا حقيقةَ العقيدة التي ينساقون في تيّارها، تتزلزل أقدامُهم وترتجفُ في ساعة الشدَّة؛ فيُشيعون الاضطرابَ والهزيمة في الصفوف فوق ما تخدع الكثرةُ أصحابَها فتجعلُهم يتهاونونَ في توثيق صلتهم بالله انشغالاً بهذه الكثرة الظاهرة عن اليقظة لسرِّ النصرِ في الحياة، لقد قامت كلُّ عقيدةٍ بالصفوة المختارة، لا بالزبد الذي يذهب جفاءً، ولا بالهشيمِ الذي تذروه الرياح! ".

يقول د. منير الغضبان رحمه الله: " والتربية الجهاديّة إذاً تؤهِّل المعادنَ النفيسة إلى أن تبرزَ بجواهرِها ولآلئها على التوِّ، كما تبرز المعادن الخسيسة من خلالها كذلك".

ويقول: " وحين تقع المحنةُ وتشتدُّ الأزماتُ تُستدعَى القاعدة الصُّلبة لتأدية مهمَّتها وإثباتِ دورها، ومن بين الآلاف المؤلَّفة التي دعاها الرسول ﷺ لمرَّةٍ واحدة " يا عباد الله، أنا عبدُ اللهِ ورسولُه، أيُّها الناس، إنّي عبد الله ورسوله"، و راح يخصِّص النداءَ بعدها إلى الصفوة المختارة التي أثبتَت في كلِّ محنة

أنَّها أهلٌ للمواجهة " يا عبّاس، نادِ يا معشرَ الأنصار، يا معشر الأنصار، يا أصحابَ السمرة، يا أصحابَ سورة البقرة".

٤- **التحفيز ورفع الهمم:**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ حُنَيْنٍ: (مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ، فَلَهُ سَلَبُهُ)[١]، فَقَتَلَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ عِشْرِينَ رَجُلًا، وَأَخَذَ أَسْلَابَهُمْ".

إنَّ من أهمِّ الأمور والتي فقدت وبشيءٍ ملحوظ في جيوشنا الإسلاميّةِ فقدانَ التحفيزِ المادِّيَّ حتَّى كادَتِ الغنائمُ وما لازمَها من أمورٍ حكراً على المقترحاتِ السقيمة لقادة كانوا في الهوى سادةً، وَبَعْدَ مُرَاجَعَتِي لِكَثِيرٍ مِنْ المَرَاجِعِ فِي فَنِّ الحَرْبِ وَقَوَانِينِ الجُيُوشِ الَّتِي تَسْتَنْهِضُ هِمَمَ المُقَاتِلِينَ، وَجَدْتُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ شَيْءٍ مِنْ الغَنَائِمِ وَالسَّلَائِبِ لِلجُنْدِ، وَذَلِكَ لِلحِفَاظِ عَلَى انْضِبَاطِهِمْ وَإِزَالَةِ الاحْتِقَانَاتِ بَيْنَ الصُّفُوفِ، وَالمُحَافَظَةِ عَلَى الرُّوحِ القِتَالِيَّةِ لِلفَرْدِ. وَممَّا وَجَدْنَاهُ عَمَلِيًّا عَلَى الأرْضِ، وَمِنْ خِلَالِ اسْتِقْرَائِي لِمَا يُنَاهِز المئةَ مُعَسْكَرًا أَنَّ حِرْمَانَ المُقَاتِلِ مِنْ السَّلَبِ لَهُ الكَثِيرُ مِنْ السَّلْبِيَّاتُ عَلَى مُسْتَوَى الفَرْدِ وَالجَمَاعَةِ، وَقَدْ يَظْهَرُ ذَلِكَ فِي شَكْلِ سَخَطٍ وَاحْتِقَانٍ تِجَاهَ القِيَادَةِ، وَانْخِفَاضِ الرُّوحِ القِتَالِيَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الأُمُورِ.

وَقَدْ أَكَّدَ صن تزو فِي كِتَابِهِ (فَنُّ الحَرْبِ) عَلَى هَذَا الأمْرِ، وَكَرَّرَهُ مَرَّةً بَعْدَ

(١) رواه البخاري (٤/١٥٧٠) كتاب المغازي، باب قول الله تعالى {ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته} إلى قوله {غفور رحيم، (٤٠٦٦)، ورواه مسلم (٣/١٣٧٠) كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، ح(١٧٥١)، ورواه أبو داود (٣/٧٠) أول كتاب الجهاد، باب في السلب يعطى القاتل، ح(٢٧١٧)، قال الشيخ الألباني: صحيح. ورواه الترمذي (٤/١٣١) كتاب السير عن رسول الله ، باب ما جاء فيمن قتل قتيلا فله سلبه، (١٥٦٢)، قال الشيخ الألباني: صحيح. ورواه الدارمي (٢/٤٥٤) كتاب الحج، باب ما جاء في السلب في النفل، (٩٧٣).

أُخْرَى، وَمِمَّا قَالَهُ فِي هَذَا الشَّأْنِ[١]: (اجْعَلِ الغَنَائِمَ تُوَزَّعُ وَتُقَسَّمُ بَيْنَ رِجَالِكَ بِالعَدْلِ).

٥- **كتائب ملاحقة فلول المشركين:**

انسحبَت أكثرُ ثقيف باتّجاه (الطائف)، وكانَ معهم مالكُ بن عوف، وانسحبَت هوازن والقبائل الأخرى باتجاه (أوطاس) و (نخلة)، فبعث رسولُ الله ﷺ خيلاً تتبع من سلك نخلة، وعقد النبيُّ ﷺ لواءً لأبي عامر الأشعريّ لمطاردةِ تلك الفلولِ والقضاء على أكبر قدر من قوَّتهم في أوطاس (غزوة أوطاس).

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، قَالَ: لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ، قَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ، رَمَاهُ جُشَمِيٌّ بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمِّ مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى فَقَالَ: ذَاكَ قَاتِلِي الَّذِي رَمَانِي، فَقَصَدْتُ لَهُ فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى، فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلاَ تَسْتَحْيِي، أَلاَ تَثْبُتُ، فَكَفَّ، فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عَامِرٍ: قَتَلَ اللَّهُ صَاحِبَكَ، قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا مِنْهُ المَاءُ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي أَقْرِئِ النَّبِيَّ ﷺ السَّلاَمَ، وَقُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي. وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ، فَمَكَثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ، وَقَالَ: قُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ). وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ

(١) كتاب فن الحرب لصن تزو ص ٥٧

النَّاسِ). فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا) قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ، وَالأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى[1].

٦- **ملاحقة مجرمي الحرب:**

قال الواقديّ: " وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِطَلَبِ الْقَوْمِ، ثُمّ قَالَ لِخَيْلِهِ: إنْ قَدَرْتُمْ عَلَى بِجَادٍ فَلَا يُفْلِتَنّ مِنْكُمْ! وَقَدْ كَانَ أَحْدَثَ حَدَثًا عَظِيمًا، وَكَانَ مِنْ بَنِي سَعْدٍ، وَكَانَ قَدْ أَتَاهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، فَأَخَذَهُ بِجَادٌ فَقَطّعَهُ عُضْوًا عُضْوًا ثُمّ حَرّقَهُ بِالنّارِ، فَكَانَ قَدْ عُرِفَ جُرْمُهُ فَهَرَبَ. فَأَخَذَتْهُ الْخَيْلُ"[2].

❖ أسباب انهزام قوّات المسلمين في الجولة الأولى:

إضافةً إلى الأمور التي ذكرناها في الإجراءات العسكريّة التي استخدمها جيشُ الكفّار والتي كانت جزءاً من أسباب انهزامِ المسلمينَ في الجولة الأولى من المعركة، هنالك أسبابٌ أُخَرُ منها:

١- **الاغترار بعدد جيش المسلمين:**

وقد هذا ما ظهر بجلاء ووضوح في غزوة حنين حين قال بعض المسلمين: " لن نُغلَبَ اليومَ من قِلّة "، شقَّ ذلك على النبيّ ﷺ وكان من أثرِ ذلك حجبُ النصرِ عن المسلمين في بداية المعركة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٢٥].، ومن ثَمَّ نبَّه رسولُ الله ﷺ إلى أهمّيَّة الاستعانة بالله في الحروب وغيرها، ونِسْبة النصر والتوفيق

---

[1] صحيح البخاري، كتاب المغازي، بَابُ غَزْوَةِ أَوْطَاسٍ، برقم (٤٣٢٣)، (٥/١٥٥).

[2] مغازي الواقدي (٣/٩١٤)، سيرة ابن هشام ٤٥٨/٢، والسهيلي: الروض الأنف ١٨٣/٧.

إلى الله في كلِّ شيء، فكان دائماً في غزواته وحروبه إذا لقيَ العدو يقول: (اللهمَّ بك أحولُ، وبك أصولُ، وبكَ أقاتلُ)[1].

عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ أَيَّامَ حُنَيْنٍ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " إِنَّ نَبِيًّا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَعْجَبَتْهُ أُمَّتُهُ، فَقَالَ: لَنْ يَرُومَ هَؤُلَاءِ شَيْءٌ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنْ خَيِّرْهُمْ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحَهُمْ، أَوِ الْجُوعَ، أَوِ الْمَوْتَ "، قَالَ: " فَقَالُوا: أَمَّا الْقَتْلُ أَوِ الْجُوعُ، فَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَلَكِنِ الْمَوْتُ " قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " فَمَاتَ فِي ثَلَاثٍ سَبْعُونَ أَلْفًا "، قَالَ: فَقَالَ: " فَأَنَا أَقُولُ الْآنَ: اللهُمَّ بِكَ أُحَاوِلُ، وَبِكَ أُصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ "[2]

٢- كثرةُ حديثي الإسلامِ في جيش المسلمين وفِرارُهم.

٣- **سيطرة العدوِّ على النقاط الحاكمة:**

---

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل (٦/١٦) حديث صهيب رضى الله تعالى عنه، (٢٣٩٧٣)، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه أحمد، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، حماد بن سلمة من رجاله، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين، ثابت: هو ابن أسلم البُناني.

وأخرجه بتمامه ومختصراً الدارمي (٢٤٤١)، والشاشي (٩٩٢) من طريق حجاج بن منهال، والنسائي في "الكبرى" (٨٦٣٣) من طريق بهز-هو ابن أسد-وابن حبان (٢٠٢٧)، والقضاعي في "مسنده" (١٤٨٣) من طريق موسى ابن إسماعيل، وابن حبان (٤٧٥٨)، والبيهقي في "السنن" ١٥٣/٩، من طريق سليمان بن حرب، والطبراني في "الدعاء" (٦٦٤) من طريقي علي بن عثمان

اللاحقي ومحمد بن عبد الله الخزاعي، وفيه (٦٦٤) أيضاً، وفي "الكبير" (٧٣١٨) ، وأبو نعيم في "الحلية" ١٥٥/١ من طريق أبي عمر الضرير، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (١١٧) عن طريق إبراهيم بن الحجاج السامي، والبيهقي ١٥٣/٩ من طريق ابن عائشة، تسعتهم عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد. ووقع في رواية موسى بن إسماعيل: "خيبر" بدلاً من "حنين"، وهو تحريف من النُّساخ.

وأخرجه بنحوه عبد الرزاق في "مصنفه" (٩٧٥١)، ومن طريقه الترمذي (٣٣٤٠)، والطبراني في "الكبير" (٧٣١٩) عن معمر، عن ثابت البُناني، به.

دون قوله: "فأنا أقول الآن: اللهم ... ". وزاد في آخره قصة أصحاب الأخدود، وقال الترمذي: هذا حديث حَسَنٌ غريب.

يقول جابر رضي الله عنه: " "لما استقبلنا واديَ حنينٍ انحدرنا في وادٍ من أودية تِهامةَ أجوفَ حطوطٍ إنّما ننحدر فيه انحدارًا.. وفي عماية الصبح وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي فكمَنُوا لنا في شِعابه وأحنائِه ومَضايقِه وقد أجمَعوا وتهيَّؤوا وأعَدُّوا".[١]

٤- كثرةُ عدد قُوَى العدوِّ:

ما يقارب الثلاثةَ والعشرين ألفاً[٢]، فهوازن كانت مع مركز ضخم من مراكز القوّة العسكريّة والإقليميّة في جزيرة العرب، فهوازن أصلٌ من أصول العرب، ومنها تنحدر ثقيف الذين يمثِّلون قوّةً مكافئة لقريش في الطائف.

٥-استعجالُ بعضِ مُقاتلِي جيش المسلمين وسبقُهم وتقدُّمهم الصفوفَ والمقدِّمة حُسَّراً من غير الأخذ بأسباب الإعداد.

عن أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: أَكُنْتُمْ فَرَرْتُمْ يَا أَبَا عُمَارَةَ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، مَا وَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنَّهُ خَرَجَ شُبَّانُ أَصْحَابِهِ وَأَخِفَّاؤُهُمْ حُسَّرًا لَيْسَ بِسِلَاحٍ فَأَتَوْا قَوْمًا رُمَاةً جَمْعَ هَوَازِنَ وَبَنِي نَصْرٍ مَا يَكَادُ يَسْقُطُ لَهُمْ سَهْمٌ فَرَشَقُوهُمْ رَشْقًا مَا يَكَادُونَ يُخْطِئُونَ فَأَقْبَلُوا هُنَالِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَقُودُ بِهِ فَنَزَلَ وَاسْتَنْصَرَ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ، ثُمَّ صَفَّ أَصْحَابَهُ[٣].

٦-استعجالُ حَوزِ الغنائم:

---

[١] سنده صحيح رواه إسحاق -السيرة النبوية ٥ -١١٠ حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله قال. وعاصم وعبد الرحمن ثقتان.

[٢] فمن الكلمات التي كانت من خطبة مالك بن عوف: " وَاكْسِرُوا جُفُونَ٢ سُيُوفِكُمْ فَتَلْقَوْنَهُ بِعِشْرِينَ أَلْفِ سَيْفٍ مَكْسُورِ الْجَفْنِ".

(٣) رواه البخاري (١٠٧١/٣) كتاب الجهاد والسير، باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته واستنصر، (٢٧٧٢).

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ سَمِعَ الْبَرَاءَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ فَقَالَ: لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ، كَانَتْ هَوَازِنُ رُمَاةً وَإِنَّا لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ انْكَشَفُوا فَأَكْبَبْنَا عَلَى الْغَنَائِمِ فَاسْتُقْبِلْنَا بِالسِّهَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ آخِذٌ بِزِمَامِهَا وَهُوَ يَقُولُ أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ(١).

---

(١) رواه البخاري (٣/١٠٥١) كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب، (٢٧٠٩)، وفي باب بغلة النبي ‘ البيضاء (٢٧١٩)، وفي باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته واستنصر (٢٧٧٢)، وفي باب إذا نزل العدو على حكم رجل (٢٨٧٧)، وفي (أنا النبي لا كذب) (أنا بن عبد المطلب) (٤/١٥٦٨) كتاب المغازي، باب قول الله تعالى {ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته} إلى قوله {غفور رحيم، ح(٤٠٦١)، وح(٤٠٦٢)، وفي باب قول الله تعالى {ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته} إلى قوله {غفور رحيم ح(٤٠٦٣)، ورواه مسلم (٣/١٤٠٠) كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ح(١٧٧٦)، وفي باب في غزوة حنين ح(١٧٧٦)، وح(١٧٧٦)، ورواه الترمذي (٤/١٩٩) كتاب الجهاد عن رسول الله ‘، باب ما جاء في الثبات عند القتال، ح(١٦٨٨)

البَابُ الثَّانِي عَشْرَ

غزوةُ الطائف

شوّال سنة ٨ هـ

❖ المقدّمة:

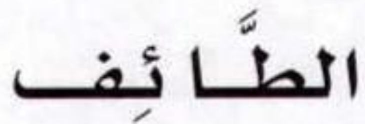
بعد أن هُزِمَت هوازنُ وانسحب أكثر بني ثقيف إلى حِصنهم في الطائف، وقد صحِبَهم في هذا الانسحاب حليفهم مالك بن عوف زعيم هوازن، فدخلوا مدينة الطائف، وكانت مدينةً محصَّنة قويّة ذاتَ أسوار وحصون، ولها أبواب تغلق عليها، وأدخلوا فيها من الأقوات ما يكفيهم لسنة واستعدوا استعداداً كاملاً وتهيَّؤوا للقتال، ولمّا فرغ ﷺ من حنين أرسلَ سريّةً إلى أوطاس بقيادة أبي عامر الأشعريّ رضي الله عنه لمطاردة فلول الهاربين، ثُمَّ أمَر ﷺ بالغنائم فحُبِسَت في الجعرانة، ثم سار ﷺ بنفسه إلى الطائف، وأمر خالد بن الوليد أن يسير على مقدِّمته.

ولقد عُرِفَت ثقيف بمواقفها العدائيّة ضدَّ الإسلام ومن أبرز تلك المواقف:

١- موقفُهم المُخزي والشنيع تُجاهَ دعوة المصطفى ﷺ وكيف أدمَوا قدمَي النبيِّ ﷺ فداه أبي وأمّي والناس أجمعين، في الحادثة المشهورة في بداية الدعوة.

٢- تكتُّل ثقيف مع قريش في صلح الحديبية، ونصرُهم لها على المسلمين.

٣- وآخرُها قبلَ غزوِهم مساندتُهم لهوازنَ ضدَّ المسلمين.


الطَّـائِف

٨ هـ

أذرح
معان
إلى مؤتة
العقبة (أيلة)
دُومة الجندل
صحراء النفـــود الكبرى
سيناء
تبوك
مدين
تيماء
مويلح
ضبا
مدائن صالح (الحجر)
العُلا
ذات الرقاع
الوجه
بحر القلزم (الأحمر)
خيبر
فدك
ذي أمر
نجد
الحجـــاز
وادي القرى
ذو قرد
مصر
أحد
بنو لحيان
بواط
المدينة المنورة
العُشيرة
ينبع
بدر
حمراء الأسد
السَّويق
ودّان
بحران
بنو قريظة
بنو سُليم
المريسيع
النوبة
رابغ
الحديبية
جُدّة
مكة المكرمة
حنين
الطائف

❖ قبل المعركة:

١- **تطوير الأسلحة القتالية:** إنَّ التخطيط الإستراتيجي للنبيّ ﷺ والنظرة البعيدة لنوعيّة المعارك وطبيعة الأرض التي سيخوضها مستقبلاً، كان لا بدَّ من تطويرِ للأسلحة الحربيّة وعدم الاكتفاء بالأسلحة التقليدية، فقام ﷺ بإرسال مسعودِ بنِ عروة وغيلان[١] بن سلمة كانا بجرش[٢] يتعلَّمان صنعة الدبابات والمجانيق والضُّبور[٣].

٢- **طلب الإمدادات والمؤازرات العسكرية:** لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث الطفيل بن عمرٍو إلى ذي الكفين[٤] يهدمه، وأمره أن يستقدم ما استطاع من قومه ويوافيه بالطائف، فانطلق الطفيل سريعاً إلى قومه، فهدم ذا الكفين، واستقدم أربعَمئةٍ من قومه، فوافوا النبيَّ ﷺ بالطائف.

---

(١) غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك الثقفي، أسلم بعد فتح الطائف كان أحد وجوه ثقيف، وكان تحته عشرة نسوة في الجاهلية، فلما أسلم أمره رسول الله ﷺ أن يختار منهن أربعا ويفارق سائرهن، (أسد الغابة لابن الأثير ٣٤٣/٤)

(٢) جرش: كزفر من مخاليف اليمن من جهة مكة، منه الأديم والإبل، (معجم البلدان ١٢٦/٢ والقاموس المحيط ٣٦٥/٢) .
وقال حمد الجاسر: "جرش: المدينة المعروفة قديما، وقد خربت الآن، ولا تزال أطلالها قائمة في أعلى وادي بيشة" (التعليق على كتاب المناسك للحربي ص ٢٨٥).

(٣) الدبابة: مشددة آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبون وهم في جوفها.
والضبور: جمع ضبر: جلود تغشى خشبا فيها رجال تقرب إلى لحصون للقتال.
والمجانيق: جمع منجنيق. آلة ترمى بها الحجارة، كالمنجنوق معريقة. (القاموس المحيط ٦٥/١، و٧٤/٢، ٢١٨/٣، والروض الأنف ٢٦٦/٧-٢٦٧). وقال محمود شيت خطاب: "يتألف المنجنيق بصورة عامة من عامود طويل قوي موضوع على عربة ذات عجلتين في رأسها حلقة أو بكرة يمر بها حبل متين، في طرفه الأعلى شبكة في هيئة كيس، توضع حجارة أو مواد محترقة في الشبكة، ثم تحرك بواسطة العامود والحبل، فيندفع ما وضع في الشبكة من القذائف ويسقط على الأسوار، فيقتل أو يحرق ما يسقط عليه".
وأما الدبابة: فعبارة عن آلة من الخشب الثخين المغلف بالجلود أو اللبود تركب على عجلات مستديرة، فهي عبارة عن قلعة متحركة يستطيع المشاة الاحتماء بها من نبال الأعداء (الرسول القائد ص ٢٥ وانظر صورتها ص ٢٩٨.

(٤) صنم عمرو بن حممة.

٣- **انتقاء خطِّ المسير والحضُّ على التفاؤل في الأمور كلِّها**: قال ابن إسحاق: "فسلك رسول الله ﷺ على نخلة اليمانية[١] ثمَّ على قرن[٢]، ثمَّ على المليح[٣] ثمَّ على بحرة[٤] الرغاء من لية[٥] ، فابتنَى بها مسجداً فصلَّى فيه.

قال ابن إسحاق: "ثم سلك في طريق يقال لها الضيقة[٦]، فلما توجَّه رسول الله ﷺ سأل عن اسمها فقال: "ما اسم هذه الطريق؟"، فقيل: الضيقة"، فقال: "بل هي اليسرى"[٧].

---

[١] هو واد يصب فيه يدعان، وبه مسجد لرسول الله ‘، وبه عسكرت هوازن يوم حنين (معجم البلدان لياقوت ٢٧٧/٥) ويدعان: يسمى الآن (جدعان) وهو بين سبوحة والشرائع، وسبوحة: بفتح السين المهملة وضم الموحدة – واد لهذيل يصب في نخلة اليمانية من الجنوب بطرف الزيمة من مغيب الشمس، يأتي سيله من جبلي كنثيل والأشعر، تبعد عن مكة (٤٣) كيلا على طريق البمانية حيث يطؤها الطريق هنالك، وعن الزيمة كيلين فقط (المجازيين اليمامة والحجاز لابن خميس ص ٢٦٨) .

[٢] قرن: بفتح القاف وسكون الراء المراد به هنا قرن المنازل يعرف الآن بالسيل الكبير، يبعد عن مكة ثمانين كيلا، وعن الطائف (٥٣) كيلا، وهو من مواقيت الحج المكانية، ويقال له أيضا قرن الثعالب، يحرم منه أهل الطائف وأهل نجد – نجد اليمن – ونجد الحجاز، وأهل الكويت، وهذه الطريق هي طريق مكة القديمة إلى الطائف، فأعلاها وادي حنين ثم نخلة اليمانية، وهي معروفة بأسفلها قرية (الزيمة) وبأعلاها (البوباة) (البهيتا) حاليا (انظر معجم البلدان لياقوت ٣٣٢/٤) .

[٣] المليح: تصغير ملح: واد بالطائف مر به النبي ﷺ عند انصرافه من حنين إلى الطائف.

وهو واد يصب في وادي قرن إذا تجاوز السيل الكبير، يصب فيه من ضفتيه اليمنى من الشرق، ما زال معروفا، يسكنه قوم من خزاعة وأعلاه يسمى السيل الصغير، شمال الطائف على (٣٠) كيلا (معجم البلدان لياقوت ١٩٦/٥ ومعجم المعالم الجغرافية لعاتق البلادي ٢٥٤.

[٤] بحرة الرغاء –بفتح الباء على الصواب، وهي معروفة اليوم بطرف ليّة من الجنوب على (١٥) كيلا جنوب الطائف (معجم البلدان لياقوت ٣٤٦/١ ومعجم المعالم الجغرافية لعاتق البلادي ص ٢٥٤).

[٥] ليّة: بتشديد الياء وكسر اللام من نواحي الطائف، مر به رسول الله ﷺ حين انصرافه من حنين يريد الطائف وأمر وهو بليّة بهدم حصن مالك بن عوف (معجم البلدان ٣٠/٥)

[٦] بالفتح والسكون والقاف: طريق بين الطائف وحنين. (معجم البلدان ٤٦٥/٣).

[٧] سيرة ابن هشام ٤٧٨/٢-٤٨٣ والروض الأنف ٢٣١/٧-٢٣٤، تاريخ الرسل والملوك ٨١/٣و٨٣.

❖ ومضة قياديّة في الطريق إلى الطائف:

كثيراً ما يتعرَّض القائد لمواقفَ مؤذيةٍ ومزعجة من جنده بقصد أو بدون قصد؛ فترى بعضهم يغفُل أوينسى، ومنهم من يتغافل ويتناسى التراتبيّة بينه وبين قائده، فتورث عندهم شيئاً من اللا مبالاة، وخصوصاً في الأوقات التي تكثُر فيها مخالطةُ القائد لجنده.

فما كان تصرُّف القيادة النبويّة عندما تعرَّض ﷺ لأذًى غيرِ مقصود من الصحابيِّ الجليل عبد الله بن أبي حدرد رضي الله عنه؟

روى الواقدي في مغازيه عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلميّ أنَّه قال: " كنت مع النبيِّ ﷺ في مسيرةٍ وهو يحادثني، فجعلَت ناقتي تلصق بناقته، وكانت ناقتي ناقة شهمة[١] ، فجعلت أريد أن أنحِّيَها فلا تطاوعني، فلصقت بناقة النبيِّ ﷺ وأصيبت رِجله فقال: أخ! أوجعتني! فرفع رجله من الغرز كأنّها جمارة[٢]، ودفع رجلي بمحجن في يده، فمكث ساعة لا يتحدَّث، فو الله ما نزلت حتَّى ظننت أن سينزل فيَّ عذابٌ، قال: فلمّا نزلنا قلت لأصحابي: إني أرعى لكم، ولم يكن ذلك يومَ رعيتي، فلما أرحت الظهر عليهم قلت: هل جاء أحد يبغيني؟ فقالوا: رسول الله ﷺ جاء يبغيك، فقلت في نفسي: هي واللهِ هي! .... قال: ثمّ جاء بعدُ رجلٌ من قريش يبتغيني، قال: فخرجت خائفاً حتّى واجهت رسول الله ﷺ، فجعل يبتسم في وجهي وقال: أوجعتك بمحجني البارحة؟ ثم قال: خذ هذه القطعة من الغنم، قال: فأخذتُها فوجدتها ثمانين شاةً ضائنة"[٣].

فقد شمل تصرُّف القيادة النبويّة على أمرٍ يصعب على الكثير من القادة تطبيقه

(١) ناقة شهمة: أي جلدة.

(٢) الجمارة: قلب النخلة وشحمتها، شبه ساقه ببياضها.

(٣) مغازي الواقدي (٣/٩٣٠).

بسهولة أو بنوع من المرونة، وهو الانتقال والتبديل بين القيادة العسكرية إلى القيادة المدنية، بينما يختلف ويتميَّز كلُّ فنٍّ منهما عن الآخر[1] بحسب ما يليق بكلِّ مقامٍ زماناً ومكاناً، وهذا الأمر لا يتمتَّع به إلّا القادة الربّانيّون فقد انتقل ﷺ بين أمرين هما:

١) **التأديب والتعليم**: فمقام العسكريّة مقامٌ حسّاس وعزيز خصوصاً في خضمِّ المعارك، حيث لا مكانَ للمجاملات أو التغافل والتجاوز، حيث يمكن أن تتوسَّع فيه دائرة الخطأ والفوضى؛ وخصوصاً فيما يتعلّق بالنظام والانضباط.

يَقُولُ صن تزُو فِي فَنُّ الحَرْبِ[2]: "إنْ كُنْتَ طَيِّبًا مُتَسَاهِلًا، لَكِنْ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى جَعْلِ جُنُودِكَ يَعْرِفُونَ حُدُودَ سُلْطَاتِكَ عَلَيْهِمْ، أَوْ كُنْتَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى فَرْضِ أَوَامِرِكَ بِالْقُوَّةِ، أَوْ كُنْتَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى قَمْعِ مَظَاهِرِ الفَوْضَى وَالشَّغَبِ، فَوَقْتَهَا يُصْبِحُ جُنُودُكَ كَالأَطْفَالِ المُدَلَّلِينَ، لَا نَفْعَ يُرْتَجَى مِنْهُمْ وَلَا فَائِدَة، إذَا خَافَكَ جُنُودُكَ وَخَشَوْكَ لَمْ يَخْشَوا العَدُوَّ"[3].

---

[1] تتفق القيادة العسكرية مع القيادة المدنية في كثير من الأمور، غير أن ما يميز العسكرية عن المدنية أمور أهمها:

١- الحزم والشدة مع الأخطاء الفردية الصغيرة في خضم العمل، وخصوصاً فيما يتعلق بالانضباط والنظام، ومعالجتها في أسرع وقت، بينما القيادة المدنية قد تعالج الأمر من خلال التغافل.

٢- يختلف مبدأ الشفافية في تداول المعلومات واطلاع الفريق عليها بين القيادة العسكرية والمدنية، فالمعلومات العسكرية لها طابع خاص في سريَّتها وطريقة التعامل معها بخلاف المعلومة المدنية.

٣- مبدأ المشاركة باتخاذ القرار في القيادة العسكرية يكن في حدوده الدنيا.

٤- ارتفاع القوة السلطوية في القيادة العسكرية، سواءً فيما يتعلق بإصدار القرارات والأوامر، أو في شدة تعاملها فيما يتعلق بالسمع والطاعة، بخلاف القيادة المدنية حيث ينخفض هذا الأمر.

[2] (ص٩٤-٩٥).

[3] وَيَقُولُ (ص٨٣): «القَائِدُ الَّذِي يَعْمَدُ لِلتَّهْدِيدِ وَالوَعِيدِ وَالطُّغْيَانِ فِي البِدَايَةِ، ثُمَّ تَحْتَ وَطْأَةِ الخَوْفِ مِنْ إعْدَادِ العَدُوِّ يُحْسِنُ مُعَامَلَةَ رِجَالِهِ خَوْفًا مِنْ تَمَرُّدِهِمْ، لَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى انْعِدَامِ الحَدِّ الأَدْنَى مِنْ الفَهْمِ وَالإِدْرَاكِ لَدَيْهِ».

٢) **تأليف القلوب وجبر الخواطر:** فبعد أن علّم النبي ﷺ أبا حدرد درساً بليغاً في الجنديّة والحياة العسكريّة، ها هو ﷺ ينتقل لفنٍّ قياديٍّ آخر يصلح ضمن الطابع المدنيّ، والذي يزيد بعلاقة الحبِّ والتفاني بالطاعة بين القائد وجنده.

❖وصول القوّات الإسلامية:

حين وصل النبيُّ ﷺ الطائف بنَى مسجداً والذي يعتبر بمنزلةِ غرفةِ العمليات العسكرية والتعبئة والشحن المعنويّ والإيماني للمسلمين، وحجرِ الأساس للتذكير بغاية الجهاد والقتال وهي العبوديّة المطلقة لله ربِّ العالمين، وما إن فرغ ﷺ من مسجده اقتربت قوات المسلمين من حصن الطائف ضمن المدى لنبالها وسهامها فأصاب المسلمين جِراحٌ وقتلٌ.

قال ابن إسحاق: "ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ الطَّائِفِ، فَضَرَبَ بِهِ عَسْكَرَهُ، فَقُتِلَ بِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّبْلِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَسْكَرَ اقْتَرَبَ مِنْ حَائِطِ الطَّائِفِ، فَكَانَتِ النَّبْلُ تَنَالُهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنْ يَدْخُلُوا حَائِطَهُمْ، أَغْلَقُوهُ دُونَهُمْ، فَلَمَّا أُصِيبَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّبْلِ وَضَعَ عَسْكَرَهُ عِنْدَ مَسْجِدِهِ الَّذِي بِالطَّائِفِ الْيَوْمَ "(١).

❖معالجة المستجدّات:

بعدما ثَابَتْ وعادَت قوات المسلمين إلى مسجده ﷺ بالطائف (غرفة العمليّات العسكريّة) تمّت دراسة المستجدّات، فأشار سلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه بإدخال نوع من الأسلحة غير التقليديّة (المنجنيقات، الدبّابات)، فكان ذلك موافقاً لخطّة النبيّ ﷺ المسبقة، عندما أرسل مسعودَ بنَ عروةَ وغيلانَ بن سلمةَ لتعلُّم صناعتها بجرش.

فعن الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَاقِدِيُّ عَنْ شُيُوخِهِ، قَالُوا: " شَاوَرَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) سيرة ابن هشام، ذِكْرُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ بَعْدَ حُنَيْنٍ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ ، (الطَّرِيقُ إلَى الطَّائِفِ) ، (٢/٤٨٢).

ﷺ أَصْحَابَهُ فِي حِصْنِ الطَّائِفِ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَى أَنْ تَنْصِبَ الْمَنْجَنِيقَ عَلَى حِصْنِهِمْ فَإِنَّا كُنَّا بِأَرْضِ فَارِسَ نَنْصُبُ الْمَنْجَنِيقَاتِ عَلَى الْحُصُونِ، وَتُنْصَبُ عَلَيْنَا، فَنُصِيبُ مِنْ عَدُوِّنَا، وَيُصِيبُ مِنَّا بِالْمَنْجَنِيقِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَنْجَنِيقٌ طَالَ الثَّوَاءُ[1]، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَعَمِلَ مَنْجَنِيقًا بِيَدِهِ، فَنَصَبَهُ عَلَى حِصْنِ الطَّائِفِ، وَيُقَالُ: قَدِمَ بِالْمَنْجَنِيقِ يَزِيدُ بْنُ زَمْعَةَ وَدَبَّابَتَيْنِ، وَيُقَالُ: الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَيُقَالُ: خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ[2].

ثمَّ فُرِض ﷺ الحصار وقُطِعت طرق الإمداد[3].

❖ الهجوم الثاني:

بدأ الهجوم الثاني لقوّات المسلمين بقيادة النبيّ ﷺ على حصن الطائف ضمن تكتيك عسكريٍّ جديد.

---

[1] (الثواء): الإقامة.

[2] دلائل النبوة البيهقي، جُمَّاعُ أَبْوَابِ فَتْحِ مَكَّةَ حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى، بَابُ مَسِيرِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ وَذَلِكَ فِي شَوَّالٍ سَنَةُ ثَمَانٍ، (٥/١٦٥).

[3] واختلف أهل السير بمدة الحصار الذي فرضه ﷺ على الطائف بأقوال عدة:

أ–كانت مدة الحصار بضعا وعشرين ليلة وهي رواية ابن إسحاق.

ب–كانت مدة ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك وهي رواية أخرى عن ابن إسحاق ورواية أبي داود في المراسيل.

ج–أن مدة الحصار كانت أربعين يوما وهو حديث أنس عند أحمد ومسلم وهذا الحديث والذي قبله لا يستقيم مع بقية الأحاديث.

د–أن الحصار دام بضع عشرة ليلة وهي رواية البيهقي عن موسى ابن عقبة وعروة بن الزبير.

هـ–أن مدة الحصار كانت نصف شهر وهي رواية الطبري من مرسل عروة بن الزبير أيضا، ورواية الواقدي.

و–كان الحصار سبعة عشر يوماً وهو حديث أبي عبيدة بن الجراح عند البيهقي.

ز–كانت مدة الحصار سبع عشرة أو ثمان عشرة أو تسع عشرة كما في حديث عبد الرحمن بن عوف عند خليفة بن خياط وغيره.

ح–أن مدة الحصار كانت خمسة وعشرين يوماً كما ورد في حديث عبد الله بن سنان عند ابن أبي شيبة.

١- **فرقة المدفعيّة (قصف ودك الطائف):** فعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَاصَرَ أَهْلَ الطَّائِفِ، وَنَصبَ عَلَيْهِمُ الْمَنْجَنِيقَ سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا "[١].

وعن مكحولٍ ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ نَصبَ المَنْجَنيقَ على أهلِ الطائف[٢].

٢- **هجوم القوّات المدرعة:** ما إن قامت القوّات الإسلامية بالتمهيد المدفعيّ المتمثِّل بالمجانيق، حتّى اندفعت فِرقة المدرَّعات لفتح ثغرة في حصن الطائف لدخول قوّات المشاة ولكنَّ التحضيراتِ القويّةَ والمسبقة لأهل الطائف تسبَّبت لتلك الهجمة بالفشل.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَتَّى إذَا كَانَ يَوْمُ الشَّدْخَةِ عِنْدَ جِدَارِ الطّائف، دخل نفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ دَبَّابَةٍ، ثُمَّ زَحَفُوا بِهَا إلَى جِدَارِ الطَّائِفِ لِيَخْرِقُوهُ، فَأَرْسَلَتْ عَلَيْهِمْ ثَقِيفٌ سِكَكَ الْحَدِيدِ مُحْمَاةً بِالنَّارِ، فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِهَا، فَرَمَتْهُمْ ثَقِيفٌ بِالنَّبْلِ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ رِجَالًا[٣].

٣- **استخدام الحرب النفسيّة:** فقد قام ﷺ بزيادة الضغط النفسيّ على أهل الطائف بعد دكِّ حصونهم، أن أمر بحصاد أحبِّ أموالهم وأنفَسِها لديهم.

فعَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ فِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ، قَالَ: " وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْأَكَمَةِ عِنْدَ حِصْنِ الطَّائِفِ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً يُقَاتِلُهُمْ، فَذَكَرَهُ، قَالَ: وَقَطَعُوا طَائِفَةً مِنْ

---

[١] السنن الكبرى البيهقي، جِمَاعُ أَبْوَابِ السِّيَرِ، بَابُ قَطْعِ الشَّجَرِ وَحَرْقِ الْمَنَازِلِ برقم (١٨١٢٠)، (٩/١٤٤).

[٢] رواه أبو داود في "المراسيل" (٣٣٥) قال: حدثنا محمدُ بن بشار، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن ثور، عن مكحول أن النبيَّ ﷺ نَصبَ المجانيقَ على أهلِ الطائف. هكذا مرسلٌ، ورواه الترمذي في كتاب الأدب باب: ما جاء في الأخذ من اللحية. عقب الحديث (٢٧٦٣) فأسقط مكحولًا فقال الترمذي: سمعت قتيبة، حدثنا وكيع بن الجراح، عن رجل عن ثور بن يزيد: أن النبيَّ ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف قال قتيبة. قلت لوكيع من هذا؟ قال: صاحبكم عمرو بن هارون اهـ، لهذا قال الحافظ ابن حجر في "التلخيص" ٤/ ١١٦: ورواه الترمذي فلم يذكر مكحولًا، ذكره معضلًا عن ثور اهـ.

[٣] سيرة ابن هشام (٢/٢٨٣).

أَعْنَابِهِمْ لِيَغِيظُوهُمْ بِهَا، فَقَالَتْ ثَقِيفٌ: لَا تُفْسِدُوا الْأَمْوَالَ فَإِنَّهَا لَنَا أَوْ لَكُمْ"(١).

وعن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْأَكَمَةِ عِنْدَ حِصْنِ الطَّائِفِ، فَحَاصَرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَقَاتَلَتْهُ ثَقِيفٌ بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ وَهُمْ فِي حِصْنِ الطَّائِفِ، وَكَثُرَتِ الْقَتْلَى فِي الْمُسْلِمِينَ وَفِي ثَقِيفٍ، وَقَطَعَ الْمُسْلِمُونَ شَيْئًا مِنْ كُرُومِ ثَقِيفٍ لِيَغِيظُوهُمْ بِذَلِكَ. قَالَ عُرْوَةُ: وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ حِينَ حَاصَرُوا ثَقِيفًا أَنْ يَقْطَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَمْسَ نَخَلَاتٍ، أَوْ حَبَلَاتٍ مِنْ كُرُومِهِمْ، فَأَتَاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهَا عَفًا لَمْ تُؤْكَلْ ثِمَارُهَا. فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقْطَعُوا مَا أُكِلَتْ ثَمَرَتُهُ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ "(٢).

وقد اتّبع النبيُّ ﷺ مع بعض قادات العدوّ هذا الأسلوب، مع سيّد هوازن – مالك بن عوف – قال الواقديّ: "ورأى رسول الله ﷺ يومئذ قصراً، فسأل عنه، فقالوا: هذا قصر مالك بن عوف، فقال: أين مالك؟ قالوا: هو يراك الآن في حصن ثقيف، فقال رسول الله ﷺ: من في قصره؟ قالوا: ما فيه أحد، قال رسول الله ﷺ: حرّقوه! فحُرّقَ من حين العصر إلى أن غابت الشمس"(٣).

٤- **إثارة الاضطرابات والتمرُّدات في صفوف العدوّ:** من خلال إعلان القيادة النبويّة بمكافئة العبيد بالحرّيّة، فكان ذلك دافعاً لهرب الكثير من العبيد، وخلق الاضطراب في الطائف.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ الطَّائِفِ: (مَنْ خَرَجَ إِلَيْنَا مِنَ العَبِيدِ، فَهُوَ حُرٌّ) ، فَخَرَجَ عَبِيدٌ مِنَ العَبِيدِ فِيهِمْ أَبُو بَكْرَةَ، فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللهِ

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب جِمَاعُ أَبْوَابِ السِّيَرِ، بَابُ قَطْعِ الشَّجَرِ وَحَرْقِ الْمَنَازِلِ، برقم (١٨١١٨)، (١٤٩/٩).

(٢) السنن الكبرى البيهقي، كتاب جِمَاعُ أَبْوَابِ السِّيَرِ، بَابُ قَطْعِ الشَّجَرِ وَحَرْقِ الْمَنَازِلِ، برقم (١٨١١٧)، (١٤٣/٩).

(٣) مغازي الواقدي (٩٢٤/٢).

ﷺ[1].

وكان عدد العبيد الذين نزلوا من حصن الطائف ولحقوا بالمسلمين ثلاثةً وعشرين عبداً.

٥- **التعبئة الإيمانيّة للمقاتلين:** عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي نَجِيحٍ السُّلَمِيِّ قَالَ: حَاصَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِصْنَ الطَّائِفِ أَوْ قَصْرَ الطَّائِفِ، فَقَالَ: (مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ فَلَهُ دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ)، فَبَلَغْتُ يَوْمَئِذٍ سِتَّةَ عَشَرَ سَهْمًا، (وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ، فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحَرَّرٍ)[2].

❖ إنهاء الحصار وعودة قوّات المسلمين إلى مكّة:

بعد تطوُّر أحداث المعركة، وبعد معطياتٍ عدّةٍ جديدة، أمرت القيادة النبويّة بإنهاء الحصار والعودة إلى مكّة المكرَّمة، ومن تلك المعطيات:

١- قوّة استعدادات ثقيف وقوّة دفاعاتهم.

٢- **إسلام القبائل حول الطائف:** فصارت ثقيف محاصَرةً فعليّاً من كلِّ الجوانب، ولا حاجة لمكوث الجيش في الحصار أكثر من ذلك.

فعن هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ عروةَ، قال: سار رسول الله ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِنْ فَوْرِهِ ذَلِكَ- يَعْنِي مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ- حَتَّى نَزَلَ الطَّائِفَ، فَأَقَامَ نِصْفَ شهر يقاتلهم رسول الله وَأَصْحَابُهُ، وَقَاتَلَتْهُمْ ثَقِيفٌ مِنْ وَرَاءِ الْحِصْنِ، لَمْ

---

[1] أخرجه أحمد (٢٢٢٩)، (١٠١/٤) واللفظ له، وأبو يعلى (٢٥٦٤)، والطحاوي في ((شرح مشكل الآثار) (٤٢٧٠)، تعليق شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف نصر بن باب وتدليس الحجاج، وتحقيق أحمد شاكر: إسناده صحيح.

[2] مسند أحمد، مسند أبي نجيح السلمي، برقم (١٩٤٢٨)، (١٦٧/٣٢)، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

يَخْرُجْ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَأَسْلَمَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ النَّاسِ كُلُّهُمْ، وَجَاءَتْ رَسُولَ اللهِ وفودُهم، ثمَّ رجع النبيُّ وَلَمْ يُحَاصِرْهُمْ إلا نِصْفَ شَهْرٍ[1].

٣- **الشورَى**: قال الواقديّ: حدَّثني كثيِّرُ بنُ زيد بن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة قال: لمّا مضت خمسَ عشرةَ من حصار الطائف استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الديليّ[2] فقال: " يا نوفل ما ترى في المقام عليهم؟ " قال: يا رسول ثعلب في جحر إن أقمتَ عليه أخذتَه، وإن تركته لم يضُرَّك[3].

٤-**رؤيا النبي ﷺ**: قَالَ ابْنُ إِسْحقَ: وَبَلَغَنِي " أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ ﵁ وَهُوَ مُحَاصِرٌ ثَقِيفًا: (يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي أُهْدِيَتْ لِي قَعْبَةٌ مَمْلُوءَةٌ زُبْدًا فَنَقَرَهَا دِيكٌ فَأَهْرَاقَ مَا فِيهَا) ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَظُنُّ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ تُدْرِكَ مِنْهُمْ يَوْمَكَ هَذَا مَا تُرِيدُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَلَا أَنَا، مَا أَرَى ذَلِكَ)[4].

وذكر ابن هشام في سيرته: " أنَّ خويلة بنت حكيم بن أميّة بن حارثة بن الأوقص السُّلَميّة، وهي امرأة عثمان، قالت: يا رسول الله، أعطِني إن فتح الله عليك الطائف حليَّ باديةَ بنتِ غيلان بن مظعون بن سلمة، أو حليَّ

---

[1] تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩ هـ)، دار التراث – بيروت، ط٢ –١٣٨٧ هـ، (٨٣/٢).

[2] نَوْفَل بن مُعَاوِية، (٠٠٠ –نحو ٦٠ هـ = ٠٠٠ –نحو ٦٨٠ م) ، نوفل بن معاوية بن عروة (أو عمرو) الديليّ الكناني: معمر، من الصحابة. له أحاديث، شهد بدرا والخندق مع المشركين، وكان له ذكر ونكاية، ثم أسلم وشهد الفتح وحنينا والطائف. ونزل المدينة، ومات بها، في خلافة معاوية، أو أيام يزيد، قيل: عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام، (الأعلام لزركلي).

[3] السيرة لا بن كثير (٦٦٢/٣).

[4] السيرة لابن هشام (٤٨٤/٢).

الفارعةِ بنت عقيل، وكانتا من أحلى نساء ثقيف، فذكر لي أنَّ رسول الله ﷺ قال لها: وإن كان لم يؤذَنْ لي في ثقيف يا خويلة؟ فخرجت خويلة، فذكرت ذلك لعمرَ بنِ الخطاب، فدخل على رسول الله ﷺ، فقال (يا رسول الله): ما حديثٌ حدَّثتنيه خويلة، زعمَت أنّك قلتَه؟ قال: قد قلتُه، قال: أو ما أُذِنَ لك فيهم يا رسول الله؟ قال: لا. قال: أفلا أؤذِّنُ بالرحيل؟ قال: بلى. قال: فأذَّنَ عمرُ بالرحيل"[1].

❖ وقفات عسكريّة وومضات قياديّة وعودة القوّات المقاتلة:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: لَمَّا حَاصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّائِفَ، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا، قَالَ: (إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ). فَثَقُلَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: نَذْهَبُ وَلاَ نَفْتَحُهُ؟! وَقَالَ مَرَّةً: (نَقْفُلُ). فَقَالَ: (اغْدُوا عَلَى القِتَالِ). فَغَدَوْا فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ، فَقَالَ: (إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ). فَأَعْجَبَهُمْ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ[2].[3]

---

[1] السيرة لابن هشام (٢/٤٨٤).

[2] وَمَعَنَى الحَدِيثِ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَصدَ الشَّفَقَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَالرِّفْقَ بِهِمْ بِالرَّحِيلِ عَنْ «الطَّائِفِ»؛ لِصُعُوبَةِ فَتْحِهَا، وَذَلِكَ لِتَقَوِّي أَهْلِهَا بِحُصُونِهِمْ المَنِيعَةِ، وَذَلِكَ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّهُ ﷺ عَلِمَ أَوْ رَجَى فَتْحَهَا بَعْدُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ كَمَا جَرَى. فَلَمَّا رَأَى ﷺ حِرْصَ أَصْحَابِهِ عَلَى المُقَامِ وَالجِهَادِ، أَقَامَ وَجَدَّ فِي القِتَالِ، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الجِرَاحُ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ قَصْدُهُ أَوَّلًا مِنْ الرِّفْقِ بِهِمْ، فَفَرِحُوا بِذَلِكَ لِمَا رَأَوْا مِنَ المَشَقَّةِ الظَّاهِرَةِ. وَلَعَلَّهُمْ نَظَرُوا فَعَلِمُوا أَنَّ رَأْيَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْفَعُ لَهُمْ وَأَكْثَرُ بَرَكَةٍ وَأَحْمَدُ عَاقِبَةً وَأَصْوَبُ مِنْ رَأْيِهِمْ، فَوَافَقُوا عَلَى الرَّحِيلِ، وَفَرِحُوا بِذَلِكَ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ تَعَجُّبًا مِنْ سُرْعَةِ تَبَدُّلِ رَأْيِهِمْ، وَلِمَا لَمِسَ فِيهِمْ مِنْ الحِرْصِ عَلَى الجِهَادِ وَالفَتْحِ مَعَ حِرْصِهِمْ أَيْضًا عَلَى السَّلَامَةِ فِي آنٍ وَاحِدٍ، وَكَوْنُ ذَلِكَ مِنْ الأَضْدَادِ الغَالِبَةِ فِي حَالِ الحَرْبِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

[3] صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ، برقم (٤٣٢٥)، (٥/١٥٦).

الومضة الأولى:

في أوقاتٍ وأحوالٍ كثُرٍ قد يقرِّرُ القائدُ إنهاءَ المعركة والقفولَ دون تحقيق فتح أو هزيمة للأعداء، بالرغم من وجود الإمكانات العسكريّة اللازمة، وذلك لأسبابٍ كثرٍ أهمُّها:

١- تحقُّقُ المرادِ والهدف والغاية التي كانت سبباً للغزوة.

٢- السيطرة الحكميّة والفعليّة على المنطقة.

٣- تكبُّدُ خسائرَ تفوق ما يمكن تحقيقه من مرابحَ بكثير.

٤- الشفقةُ على الجنود وعدمُ إيرادِهم مهلكةً محقَّقة غالباً.

ورغم تلك الأسباب قد يرغب الجنود بمتابعة القتال ويعظم لديهم الانسحاب والرجوع، وخصوصاً إن توفَّرت الإمكانات، إضافةً إلى وجود الروحِ القتاليّة والتي تكون في ذروتِها بعد نصرٍ ساحق قريب، ويعود هذا إلى عدم درايتهم الكافية بالتفاصيل والمعطيات للمعركة، واندفاع وغليان لشبابٍ مؤمن متحمِّس، فيسمح القائد لأولئك الجند بمناوشة جديدة محسوبة ومدروسة، تُثْبِتُ لهم رِفقَ القيادة بهم، وحُسنَ تدبيرها والثقة بتوجُّهاتها التي بنيت على تخطيطٍ ومشُورة، ولامتصاص الاندفاع الزائد عن المطلوب من الجند، وعلى قرب من هذا المشهد ما حدث مع صحابة رسول ﷺ حين أراد القفول والرجوع إلى مكّة.

يقول ابن حجر في الفتح: " إنا قافلون أي راجعون إلى المدينة قوله فثقل عليهم، بيَّن سبب ذلك بقولهم نذهب ولا نفتحه. وحاصل الخبر أنّهم لمّا أخبرهم بالرجوع بغير فتح لم يعجبهم فلمّا رأى ذلك أمرَهُم بالقتال، فلم يُفتَح لهم، فأصيبوا بالجراح؛ لأنَّهم رمَوا عليهم من أعلى السور، فكانوا ينالون منهم بسهامهم، ولا تصِل السهام إلى مَن على السور، فلمّا رأوا ذلك تبيَّن لهم تصويبُ الرجوع، فلما أعاد عليهم القول بالرجوع أعجبهم حينئذٍ؛ ولهذا قال: فضحك".

الومضة الثانية:

إنَّ نظرة القيادة العسكريّة كثيراً ما تكون مختلفةً عن نظرة الجند؛ فالقيادة تنظر من زوايا عدّة وبأفق أكبر، وما ذلك إلّا لسعة اطِّلاعها على المعلومات بأدقِّ التفاصيل، وقدرتها على تقدير المواقف بناءً على الإمكانات والقدرات المتاحة بين يديها، ويضاف إلى ذلك التحمُّسُ الفيّاضُ لدى الشباب المجاهد واندفاعُه القويُّ.

فما هو التصرُّفُ الصحيحُ حيالَ هذا الأمر؟

القيادة الناجحة هي التي تقدِّر بناءً على ما يتوفَّر لها من معلومات ومعطيات ضمن ساحة المعركة بين أمرين:

١- **النزول على رأي الجند:** وذلك عند تساوي المصالح مع المفاسد في ظاهر الحال، ووجود شحنة انفعاليّة متّقدة في نفوس المقاتلين يجب تفريغُها في المكان الصحيح والتي قد تتوافق مع رغبة داخليّة من القيادة بتلقين الجند دروساً عمليّة تربويّة نافعة، ترتقي بهم وتعلِّمُهم السمعَ والطاعة والصبر والتأنّيَ والنفسَ الطويل لبلوغ الهدف بأقلِّ الخسائر وأكبرِ الربح، إضافة إلى زرع الثقة بقرارات القيادة وهو قريب ممّا حدث في غزوة أحد، وفي حصار الطائف في الحديث سالف الذِكر.

* **تذكرة بدرس أحد** : فقد كان رأيُ القيادة النبويّة التترُّسَ بالمدينة المنوَّرة وملاقاةَ العدوِّ على أسوارها وعدمَ الخروج لهم، وكان رأي الشباب المؤمن المتوقِّد والمتحمِّس من صحابة رسول الله ﷺ هو الخروج للقاء العدوّ.

فعَنْ عُرْوَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ

ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سُورَةُ آل عمران:١٥٢].

فإن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ غَزَا أَبُو سُفْيَانَ وَكُفَّارُ قُرَيْشٍ:(إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي لَبِسْتُ دِرْعًا حَصِينَةً، فَأَوَّلْتُهَا الْمَدِينَةَ، فَاجْلِسُوا فِي ضَيْعَتِكُمْ، وَقَاتِلُوا مِنْ وَرَائِهَا، وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ قَدْ شُبِّكَتْ بِالْبُنْيَانِ فَهِيَ كَالْحِصْنِ)، فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اخْرُجْ بِنَا إِلَيْهِمْ فَلْنُقَاتِلْهُمْ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ: نَعَمْ وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ، إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَزَلَ بِنَا عَدُوٌّ قَطُّ فَخَرَجْنَا إِلَيْهِ، فَأَصَابَ فِينَا، وَلَا تَيْنَا فِي الْمَدِينَةِ، وَقَاتَلْنَا مِنْ وَرَائِهَا إِلَّا هَزَمنا عَدُوَّنَا، فَكَلَّمَهُ أُنَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ اخْرُجْ بِنَا إِلَيْهِمْ، فَدَعَا بِلَأْمَتِهِ فَلَبِسَهَا، ثُمَّ قَالَ: (مَا أَظُنُّ الصَّرْعَى إِلَّا سَتَكْثُرُ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ، إِنِّي أَرَى فِي النَّوْمِ مَنْحُورَةً، فَأَقُولُ: بَقَرٌ، وَاللَّهِ بِخَيْرٍ)، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَاجْلِسْ بِنَا، فَقَالَ: (إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَلْقَى النَّاسَ)(١).

فكان لهذا الدرس البليغ من القيادة النبويّة أثرٌ مديد ظهرت نتائجُه يوم الخندق.

قال الواقديّ في غزوة الخندق: " وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ مُشَاوَرَةَ أَصْحَابِهِ فِي الْحَرْبِ فَقَالَ: (أَنَبْرُزُ لَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، أَمْ نَكُونُ فِيهَا وَنُخَنْدِقُهَا عَلَيْنَا، أَمْ نَكُونُ قَرِيبًا وَنَجْعَلُ ظُهُورَنَا إِلَى هَذَا الْجَبَلِ؟)، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: نَكُونُ مِمَّا يَلِي بُعَاثَ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ إِلَى الْجُرْفِ. فَقَالَ قَائِلٌ: ندعُ الْمَدِينَةَ خُلُوفًا، فَقَالَ سَلْمَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا إِذْ كُنَّا بِأَرْضِ فَارِسَ وَتَخَوَّفْنَا الْخَيْلَ خَنْدَقْنَا عَلَيْنَا، فَهَلْ لَك يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ نُخَنْدِقَ؟ فَأَعْجَبَ رَأْيُ سَلْمَانَ الْمُسْلِمِينَ، وَذَكَرُوا

(١) رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مُصَنَّفِهِ (٩٧٣٥) كِتَابُ المَغَازِي–وَقْعَةُ أُحُدٍ.

حِينَ دَعَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ (أُحُدٍ) أَنْ يُقِيمُوا وَلَا يَخْرُجُوا، فَكَرِهَ الْمُسْلِمُونَ الْخُرُوجَ وَأَحَبُّوا الثَّبَاتَ فِي (الْمَدِينَةِ)[1].

٢- **إمضاءُ رأيِ القيادة:** وذلك عندما توقن القيادة المَفسَدة بالنزول على رأي الجُند، وإن تسبَّب ذلك في امتعاضِ الجند واحتقانِهم، حيث أنَّ نظرة القيادة تختلف عن نظرة الجند كما أسلفنا الذكر، وسيزول ذلك الاحتقان والامتعاض عند الجند في أوَّل ما تتكشَّف الأمور عن سَداد ورُجحان رأي القيادة، ومثاله ما كان في صلح الحديبية.

تذكرة بصلح الحديبية: فحين وافق رسول الله ﷺ على شروط المعاهدة، والتي بدت للكثير من المسلمين أنَّ فيها إجحافاً وذلّاً للمسلمين، ومنهم سيّدنا عمر رضي الله عنه حين قال للنبيّ ﷺ : (ألسنا على الحقّ وعدوّنا على الباطل؟، قال ﷺ: بلى، فقال: فَلِمَ نعطي الدنيَّة في ديننا إذاً ؟)[2].

ومع ذلك لم تلتفت القيادة النبويّة لتغيُّظ الجند واستشاطتهم، فقد كانت مُدركة وموقنة أنَّ هذا الصلح سيكون فاتحةَ خير وبركة ونصر للمسلمين، ولن تظهر للمسلمين ثمراتُها إلّا بعد فترة من الزمن.

فصلح الحديبية وأحداثه، كان درساً بليغاً في السمع والطاعة والثقة بقرارات القيادة، حيث أنَّ من اعترض بالأمس قد ندم اليوم، فهذا سيّدنا سهل بن حنيف رضي الله عنه يقول: (اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ، رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ لَرَدَدْتُهُ، وَمَا وَضَعْنَا أَسْيَافَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا لِأَمْرٍ يُفْظِعُنَا، إِلَّا أَسْهَلْنَ بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ غَيْرِ أَمْرِنَا هَذَا)[3]، وهذا سيّدنا عمرُ رضي الله عنه قد بقي زمناً طويلاً متخوِّفاً

---

[1] المَغَازِي لِلوَاقِدِيّ (٢/٤٤٥).

[2] صحيح البخاري رقم (٢٧٣١)، كِتَابُ الشُّرُوطِ –بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ (٣/١٩٣).

[3] صحيح البخاري رقم(٧٣٠٨)، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ –بَابُ مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ وَتَكَلُّفِ القِيَاسِ، (١٠٣/٤).

أن يُنزِلَ اللهُ به عقاباً لما قاله يوم الحديبية، وكان يقول: "مَا زِلْتُ أَصُومُ وَأَتَصَدَّقُ وَأُصَلِّي وَأَعْتِقُ مِنَ الَّذِي صَنَعْتُ مَخَافَةَ كَلاَمِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ يَوْمَئِذٍ حَتَّى رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا (١)".

وقد كان لهذا الدرسِ أثرٌ مديدٌ ظهرت ثماره يومَ الطائف، روى الواقدي في مغازيه: (جاء عمر إلى رسول الله ﷺ – يوم الطائف – فقال: "لم يؤذَنْ لك يا رسول الله في فتحِها؟ قال: "لا". قال: أفلا أؤذِّنُ في الناس بالرحيل؟! قال رسول الله ﷺ: "بلى" فأذَّنَ عمر بالرحيل، فجعل المسلمون يتكلَّمون، يمشي بعضهم إلى بعض، فقالوا: ننصرف ولا نفتح الطائف! لا نبرح حتى يفتحَ اللهُ علينا؟ والله إنَّهم لأذلُّ وأقلُّ مَن لاقينا؛ قد لقِينا جمع مكّة وجمعَ هوازن، ففرَّق الله تلك الجموع! وإنما هؤلاء ثعلبٌ في جُحر، لو حصرناهم لماتوا في حِصنهم هذا! وكثر القول بينهم والاختلاف، فمشَوا إلى أبي بكر فتكلَّموا، فقال أبو بكر رضي الله عنه : الله ورسوله أعلم، والأمر ينزل عليه من السماء، فكلَّمُوا عمرَ فأبَى وقال: قد رأينا الحديبية ودخلني في الحديبية من الشكِّ ما لا يعلمُه إلّا الله، وراجعت رسول الله ﷺ يومئذٍ بكلامٍ ليت أنِّي لم أفعل، وإنَّ أهلي ومالي ذهبا، ثم كانت الخيرة لنا من الله فيما صنع، فلم يكن فتحٌ خيراً للناس مِن صلح الحديبية، بلا سيف دخل فيه من أهل الإسلام مثلُ مَن كان دخل مِن يوم بعث رسول الله ﷺ إلى يوم كتب الكتاب، فاتَّهموا الرأي، والخيرة فيما صنع رسول الله ﷺ ولن أراجعه في شيءٍ من ذلك الأمر أبداً! والأمرُ أمرُ الله وهو يوحي إلى نبيِّه ما يشاء)(٢).

(١) مسند الإمام أحمد، أَوَّلُ مُسْنَدِ الْكُوفِيِّينَ، (٤/٣٢٥).

(٢) مغازي الواقدي ٣/٩٣٥-٩٣٦.

مثال وموقف نبوي آخر:

عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيدُ قَتْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ فِيمَا بَلَغَكَ عَنْهُ، فَإِنْ كُنْتُ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَمُرْنِي بِهِ، فَأَنَا أَحْمِلُ إِلَيْكَ رَأسَه، فوالله لَقَدْ عَلِمَتِ الْخَزْرَجُ مَا كَانَ لَهَا مِنْ رَجُلٍ أَبَرَّ بِوَالِدِهِ مِنِّي، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلَهُ، فَلَا تَدَعُنِي نَفْسِي أَنْظُرُ إِلَى قَاتِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ يَمْشِي فِي النَّاسِ، فَأَقْتُلَهُ فَأَقْتُلَ رَجُلًا مُؤْمِنًا بِكَافِرٍ، فَأَدْخُلَ النَّارَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ، وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا). وَجَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَحْدَثَ الْحَدَثَ كَانَ قَوْمُهُ هُمْ الَّذِينَ يُعَاتِبُونَهُ وَيَأْخُذُونَهُ وَيُعَنِّفُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ: (كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ؟ أَمَا وَاَللَّهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ قُلْتَ لِي اُقْتُلْهُ، لَأُرْعِدَتْ لَهُ آنُفٌ، لَوْ أَمَرْتَهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلَتْهُ)، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: قَدْ وَاَللَّهِ عَلِمْتُ لَأَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْ أَمْرِي(١).

يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرٍّ:

١- عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ الْمُدْلِجِيُّ، أَنَّ أَبَاهُ، أَخْبَرَهُ أَنَّ سُرَاقَةَ بْنَ مَالِكٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ جَعَلَتْ قُرَيْشٌ لِمَنْ رَدَّهُ مِئَةَ نَاقَةٍ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ فِي نَادِي قَوْمِي إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ فَقَالَ: وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَكَبَةً ثَلَاثَةً مَرُّوا عَلَيَّ آنِفًا إِنِّي لَأُرَاهُ مُحَمَّدًا ﷺ، قَالَ: فَأَوْمَأْتُ إِلَيْهِ: أَنِ اسْكُتْ، إِنَّمَا هُمْ بَنُو فُلَانٍ يَبْغُونَ ضَالَّةً لَهُمْ، فَلَبِثْتُ قَلِيلًا، ثُمَّ قُمْتُ، فَدَخَلْتُ، فَأَمَرْتُ بِفَرَسِي فَقِيدَ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي، وَأَخْرَجَتْ سِلَاحِي مِنْ وَرَاءِ حُجْرَتِي، ثُمَّ أَخَذْتُ قِدَاحِي الَّتِي أَسْتَقْسِمُ بِهَا، وَلَبِسْتُ لَأْمَتِي، ثُمَّ أَخْرَجْتُ قِدَاحِي، فَاسْتَقْسَمْتُ، فَخَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي أَكْرَهُ أَنْ لَا أَضُرَّهُ، قَالَ: وَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرُدَّهُ، فَآخُذَ مِئَةَ النَّاقَةِ، فَرَكِبْتُ عَلَى أَثَرِهِ، فَبَيْنَمَا فَرَسِي يَشْتَدُّ

---

(١) رَوَاهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ (٣/٣٠٥) مُرْسَلًا.).

بِي عَثَرَ، فَسَقَطْتُ عَنْهُ، فَأَخْرَجْتُ قِدَاحِي فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا، فَخَرَجَ السَّهْمُ الَّذِي أَكْرَهُ: لَا أَضُرُّهُ، فَأَبَيْتُ إِلَّا أَنْ أَتْبَعَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، فَلَمَّا بَدَا لِيَ الْقَوْمُ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِمْ عَثَرَ بِي فَرَسِي، وَذَهَبَتْ يَدَاهُ فِي الْأَرْضِ، وَسَقَطْتُ عَنْهُ، فَاسْتَخْرَجَ يَدَيْهِ، فَاتَّبَعَهُمَا دُخَانٌ مِثْلُ الْعَصَا، فَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ مُنِعَ مِنِّي، وَأَنَّهُ ظَاهِرٌ، فَنَادَيْتُهُمْ، فَقُلْتُ: أَنْظِرُونِي، فَوَاللهِ، لَا آذَيْتُكُمْ وَلَا يَأْتِيكُمْ مِنِّي شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَاذَا تَبْغِي؟) قُلْتُ: اكْتُبْ لِي كِتَابًا يَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ آيَةً، قَالَ: (اكْتُبْ لَهُ يَا أَبَا بَكْرٍ) ، قَالَ: فَكَتَبَ لِي كِتَابًا، ثُمَّ أَلْقَاهُمْ إِلَيَّ، قَالَ: فَرَجَعْتُ فَسَكَتُّ، فَلَمْ أَذْكُرْ شَيْئًا مِمَّا كَانَ، حَتَّى إِذَا فَتَحَ اللهُ ﷻ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَكَّةَ، وَفَرَغَ مِنْ حُنَيْنٍ خَرَجْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِأَلْقَاهُ، وَمَعِيَ الْكِتَابُ الَّذِي كَتَبَ لِي، فَبَيْنَمَا أَنَا عَامِدٌ لَهُ دَخَلْتُ بَيْنَ كَتِيبَةٍ مِنْ كَتَائِبِ الْأَنْصَارِ، فَجَعَلُوا يَقْرَعُونِي بِالرِّمَاحِ، وَيَقُولُونَ: إِلَيْكَ إِلَيْكَ حَتَّى دَنَوْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَنْظُرُ إِلَى سَاقِهِ فِي غَرْزِهِ كَأَنَّهَا جُمَّارَةٌ، فَرَفَعْتُ يَدِي بِالْكِتَابِ، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا كِتَابُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرٍّ)، فَأَسْلَمْتُ وَسُقْتُ إِلَيْهِ صَدَقَةَ مَالِي[١].

٢- قال ابن إسحاق: " حدَّثني بعضُ بني سعد بن بكر أنَّ رسول الله ﷺ قال يومئذ إن قدرتم على بجاد[٢]، رجل من بني سعد بن بكر فلا يفلتنَّكم، وكان قد أحدث حدثاً، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشيماء[٣]

---

[١] رواه الطبراني في الكبير برقم (٦٦٠٣) ،من حديث كَعْبُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ عَنْ أَخِيهِ سُرَاقَةَ،

[٢] كان بجاد رجلا من بني سعد من هوازن قد أحدث حدثا عظيما، وذلك أنه أتاه رجل مسلم، فأخذه بجاد فقطعه عضوا عضوا، ثم حرقه بالنار.

[٣] الشيماء: بفتح المعجمة وسكون التحتية، ويقال فيها: الشماء بلا ياء، وهو لقب غلب على اسمها فلا تعرف في قومها إلا به. واختلف في اسمها: فجزم ابن سعد وابن قتيبة بان اسمها: جدامة -بالجيم المضمومة والدال المهملة، والميم: وجزم ابن عبد البر: بأن اسمها: حذافة -بالحاء المهملة المضمومة، والذال المعجمة المفتوحة فألف ففاء، وصوبه الخشني وذكر السهيلي في ذلك وجهين: الأول ما ذكره ابن عبد البر، والثاني خذامة – بكسر الخاء وبالذال المعجمتين، والميم. (انظر:

بنت الحارث بن عبد العُزَّى أختُ النبيّ ﷺ من الرضاعة[1]، فعنفوا عليها في السياق، فقالت للمسلمين تعلموا – واللهِ – أنّي لأختٌ لصاحبكم من الرضاعة، فلم يصدِّقوها، حتَّى أتَوا بها إلى رسول الله ﷺ[2]"،....... فلما انتهى بها إلى رسول الله ﷺ، قالت: "يا رسول الله إنِّي أختك من الرضاعة، قال: وما علامة ذلك؟ قالت: عضَّةٌ عضضتَنِيها في ظهري وأنا متورِّكتُك[3]، قال: فعرف رسول الله العلامة، فبسط لها رداءَه، فأجلسَها عليه، وخيَّرها وقال: إن أحببتِ فعندي محبَّبةً مكرَّمة، وإن أحببتِ أن أمتِّعَك وترجِعي إلى قومك فعلتُ، فقالت: بل تمتِّعُني وتردُّني إلى قومي، فمتَّعَها رسولُ الله ﷺ وردَّها إلى قومها"[4].

١٣. الومضة الثالثة– تَطْيِيبُ خَوَاطِرِ أَهْلِ الفَضْلِ وَذَوِي الهَيْئَات:

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ ، قَالَ: لَمَّا قَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّبْيَ بِالْجِعْرَانَةِ أَعْطَى عَطَايَا قُرَيْشًا وَغَيْرَهَا مِنَ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، فَكَثُرَتِ الْقَالَةُ وَفَشَتْ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ فَقَدْ لَقِيَ قَوْمَهُ، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَى سَعْدِ بْنِ

ابن سعد: الطبقات الكبرى ١/١١٠ وابن قتيبة: المعارف ص ٥٨)، والطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٥٧/٢، وابن عبد البر: الاستيعاب٢٧٧/٤ و٣٤٤ مع الإصابة، والسهيلي: الروض الأنف ١٤٥/٢ و١٦٢ وابن الأثير: أسد الغابة ٦٣/٧ و١٦٦، وابن كثير: البداية والنهاية ٢٧٣/٢ و٣٦٤/٤، وابن حجر: الإصابة ٢٧٢/٤ و٣٤٤، والزرقاني: شرح المواهب ١٤٦/١ و٢٥/٢-٢٦.

[1] من جهة أنه ' رضع أمها حليمة السعدية بلبن أخيها بن الحارث.

[2] سيرة ابن هشام ٤٥٨/٢؛ والسهيلي: الروض الأنف ١٨٢/٧ والكلاعي: الاكتفاء؛ تاريخ الرسل والملوك٨٠/٣وانظر: مغازي الواقدي٩١٣/٣وابن كثير: البداية والنهاية ٣٦٣/٤، والزرقاني: شرح المواهب٢٥/٣-٢٦.

[3] متوركتك: حاملتك على وركي، والورك: ما فوق الفخذ ابن الأثير: النهاية١٧٦/٥.

[4] سيرة ابن هشام ٤٥٨/٢، والسهيلي: الروض الأنف ١٨٣/٧.

عُبَادَةَ، فَقَالَ: «مَا مَقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْ قَوْمِكَ أَكْثَرُوا فِيهَا»، قَالَ: فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: فَقَدْ كَانَ مَا بَلَغَكَ، قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي، قَالَ: فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، وَقَالَ: «اجْمَعْ قَوْمَكَ، وَلَا يَكُنْ مَعَهُمْ غَيْرُهُمْ»، قَالَ: فَجَمَعَهُمْ فِي حَظِيرَةٍ مِنْ حَظَائِرِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَامَ عَلَى بَابِهَا، وَجَعَلَ لَا يَتْرُكُ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ قَوْمِهِ، وَقَدْ تَرَكَ رِجَالًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَزَادَ أُنَاسًا، قَالَ: ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهُدَاكُمُ اللَّهُ؟»، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ، «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ عَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ؟»، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ، «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ»، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ، فَقَالَ: «أَلَا تُجِيبُونَ؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ: «وَلَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ: أَلَمْ نَجِدْكَ طَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَمُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ»، فَجَعَلُوا يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ، قَالَ: «أَوَجَدْتُمْ مِنْ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَا أَعْطَيْتُهَا قَوْمًا أَتَأَلَّفُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ، لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا وَسَلَكْتُمْ وَادِيًا أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَكُمْ أَوْ شِعْبَكُمْ، أَنْتُمْ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ»، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ

حَتَّى إِنِّي لَأَرَى مَا تَحْتَ مَنْكِبَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ وَلِأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، أَما تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى بُيُوتِكُمْ؟»، فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَانْصَرَفُوا وَهُمْ يَقُولُونَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِرَسُولِهِ حَظًّا وَنَصِيبًا.[1]

اعْلَمْ – يَرْحَمُكَ اللهُ– أَنَّ مِنْ أَهَمِّ الأُمُورِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَفْهَمَهَا القَائِدُ أَنَّ الاعْتِمَادَ يَكُونُ عَلَى النَّوَاةِ الأُولَى، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَبْنِيَ قَاعِدَتَهُ المَتِينَةَ عَلَى رِجَالٍ إِنْ دُعُوا أَجَابُوا، وَإِنْ نُودُوا لَبَّوا، أَصْحَابِ عَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ وَهِمَّةٍ عَالِيَةٍ وَغَايَةٍ بَعِيدَةٍ، رِجَالٍ أَعَدُّوا أَرْوَاحَهُمْ وَعُقُولَهُمْ وَأَجْسَادَهُمْ لِلجِهَادِ الطَّوِيلِ؛ فَهُمْ الَّذِينَ سَيَثْبُتُوا مَعَهُ فِي المِحَنِ وَالإِحَنِ، وَلَنَا فِي غَزْوَةِ (حُنَيْنٍ) أَكْبَرُ مِثَالٍ.

وَإِيَّاكَ أَيُّهَا القَائِدُ أَنْ تَحْرِصَ عَلَى الكَمِّ الَّذِي تَبْنِي عَلَيْهِ الأُمَمَ وَالجَمَاعَاتِ، ثُمَّ أَنْتَ تَذَرُ وَتَتْرُكُ الكَيْفَ وَالنَّوْعَ، فَالكَمُّ غَيْرُ المُنْتَخَبِ يَكُونُ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، أَوْ كَبَالونٍ يَذْهَبُ أَدْرَاجَ الرِّيَاحِ رُغْمَ حَجْمِهِ مَعَ أَوَّلِ مِحْنَةٍ.

فَاحْرِصْ أَيُّهَا الأَمِيرُ عَلَى بِنَاءِ هَذِهِ اللَّبِنَةِ، وَاحْذَرْ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ قَدْ يُؤْذِيهِمْ أَوْ يُحْزِنُهُمْ أَوْ يَفُتُّ فِي عَضُدِهِمْ، طَيِّبْ خَوَاطِرَهُمْ، تَجَاوَزْ عَنْ عَثَرَاتِهِمْ، اسْعَ فِي حَاجَاتِهِمْ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَكُنْ بِهِمْ لَمْ تَكُنْ بِغَيْرِهِمْ، وَهُمْ إِنْ لَمْ يَكُونُوا بِكَ كَانُوا بِغَيْرِكَ، فَإِنَّكَ لَسْتَ نَبِيًّا أَوْ رَسُولًا، اجْعَلْهُمْ يَلْحَظُونَ قِيمَتَهُمُ الرَّفِيعَةَ عِنْدَكَ، فَإِنْ كُنْتَ كَذَلِكَ فَحِينَهَا لَنْ تَذْهَبَ بِهِمُ الظُّنُونُ، بَلْ سَيَكُونُونَ رَوَاسِيَ، كَالجِبَالِ الشَّامِخَاتِ، لَا تَهُزُّهُمْ الهَزَّاتُ، وَلَا تُفَرِّقُهُمْ عَنْكَ الوَيْلَاتُ.

---

[1] () رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (٣٦٩٩٧) كِتَابُ المَغَازِي–غَزْوَةُ حُنَيْنٍ وَمَا جَاءَ فِيهَا، وَهُوَ فِي الصَحِيحَيْنِ.

يَقُولُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ عَزَّام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: "إنَّ أَزْمَةَ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ هِيَ أَزْمَةُ رِجَالٍ يَضْطَّلِعُونَ بِحَمْلِ المَسْؤُولِيَّةِ وَالقِيَامِ بِأَعْبَاءِ الأَمَانَةِ، وَكَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: «النَّاسُ كَإِبِلٍ مَائَة، لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً»، أَيْ أَنَّ الكَامِلَ فِي الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالرَّغْبَةِ فِي الآخِرَةِ كَقِلَّةِ الرَّاحِلَةِ فِي الإِبِلِ، وَالرَّاحِلَةُ هِيَ البَعِيرُ القَوِيُّ عَلَى الأَسْفَارِ وَالأَحْمَالِ، النَّجِيبُ، التَّامُّ الخَلْقِ، الحَسَنُ المَنْظَرِ، وَيَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالهَاءُ فِيهِ لِلمُبَالَغَةِ. أَيْ لَا تَجِدُ فِي كُلِّ مَائَةِ جَمَلٍ وَاحِدًا يَحْتَمِلُكَ فِي أَسْفَارِكَ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِصَفْوَةٍ مِنْ صَحْبِهِ: «تَمَنَّوا»، فَتَمَنَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالُوا: تَمَنَّ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: «أَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لِي مِلْأُ هَذَا البَيْتِ مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ»[(١)]، إِنَّ الرِّجَالَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ قَلِيلُونَ، وَالَّذِينَ يَعْمَلُونَ أَقَلُّ، وَإِنَّ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ أَنْدَرُ وَأَغْرَبُ، وَإِنَّ الَّذِينَ يَصْبِرُونَ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ لَا يَكَادُونَ يُذْكَرُونَ».

الومضةُ الرابعة-الصبرُ على جهلِ الأتباع وخصوصاً حدثاءَ الالتزام:

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلاَ كَذُوبًا، وَلاَ جَبَانًا».[(٢)]

---

(١) وأخرجه ابن أبي الدنيا في (المتمنين) [١/ ٨٩]، وأخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم [٦/ ١٥٦].

(٢)رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٣١٤٨) كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ-بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الخُمُسِ وَنَحْوِهِ.

يَجِبُ عَلَى الأَمِيرِ الصَّبْرُ وَمُرَاعَاةُ الأَفْهَامِ المُخْتَلِفَةِ لِلجُنْدِ، والتركيز بقوّة على تربيتهم وتعليمهم وتأديبهم، وَخَاصَّةً أَهْلَ الحَمَاسَةِ وَالشِّدَّةِ وَأَصْحَابَ الالْتِزَامِ الجَدِيدِ، فحديثو الالتزام كثيراً ما يتعبون القادة وحتى الأفراد في العمل الجهادي فهو قد انتقل من حياة الجهل إلى حياة الإسلام العمليّ المنظَّمِ قبل المرور بقسط من التربية والعلم، فلم يعرف من الشريعة إلا أشكالاً لم يفقَهْ حِكمتَها وحُكمَها، وتراه يحصر العقيدة والدين في بوتقة تقصير الثوب أو إطالة اللحية، ويجعلها المعيار والمفصل، و يصدر الأحكام والفتوى لمن قصَّر في ذلك لدرجة تصل به للتفسيق والتخوين والتشكيك والعمالة والأدلجة الغربيّة، وهو في الفرائض التي هي من المُسلَّمات مقصِّر أيَّما تقصير، فتراه ينكر ويحارب من طال ثوبه أو قصرت لحيته وهو ينام حتَّى عن صلاة الفجر[١].

وللأسف كم ترى في طريق الجهاد من هؤلاء الجهَلة الجهّال، فتنظر إلى طول لحيته وقصر ثوبه وسمته فتظنّ للوهلة الأولى أنّه أحد الأفذاذ حتّى إذا أفاض عن بعض ما بين براثنه، فاح نتنُ جهلِه وسقط من عينك، ويصل به الكِبْر إلى التكلُّم في أمورٍ عظام وقف عندها أفذاذُ أهل العِلم وتراه يردِّد بعجرفة في حاله:

---

[١] وهنا ليس المقام مقام دفاع على من قصَّر في السنن والواجبات الشرعية.

(هم رجال ونحن رجال)، وهو لا يميز بين الفرائض والسنن، وترى الكَثِيرَ مِنْهم يَرَى بِحَسبِ فَهْمِهِ وَقِلَّةِ عِلْمِهِ أَنَّ الدِّينَ وَحَلَّ الأُمُورِ لَا يَكُونَ إلَّا بِالشِّدَّةِ وَالعُنْفِ، وَأَنَّهُ كُلَّمَا زَادَتْ شِدَّتُهُ زَادَتْ تَقْوَاهُ، وَبَعْضُهُمْ قَدْ يَرْتَكِبُ مِن الأَعْمَالِ مَا فِيهِ سُوءُ أَدَبٍ كَبِيرٌ، وَيَرَى أَنَّ فِعْلَهُ هَذَا مِنْ قُبَيْلِ الصَّدْعِ بِالحَقِّ، خصوصاً إن ارتبط الأمر بمنفعة دنيويّة مادِّيَّة.

قد أيقنَّا في هذا الطريق أنَّ التقصير في تربيةِ هؤلاء الشباب وتأديبِهم و لجمِ جماح جهلِهم، تصل بهم الحال لأحد طريقي الإفراط –الدعشنة والغلوِّ– أو التفريط فيتحوَّل إلى مرتزق بالمصطلح المعاصر أو قاطع طريق.

يَقُولُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ عَزَّام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: "إنَّ الشَّبَابَ الَّذِينَ جَاؤُوا لِلجِهَادِ مُبَاشَرَةً يُتْعِبُونَنَا أَكْثَرَ مِنْ الشَّبَابِ الَّذِينَ تَرَبَّوا مُنْذُ سَنَوَاتٍ فِي دِينِ اللهِ ﷻ؛ لِأَنَّ نَفْسَهُ تَشَرَّبَتْ دِينَ اللهِ ﷻ تَدْرِيجِيًّا، وَلِذَلِكَ يُعَدُّ عُودًا صُلْبًا يَحْتَمِلُ التَّكَالِيفَ".

وَيَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: "أَخِي القَائِدَ، بِقَدْرِ مَا تَبْذُلُ عَلَى جُنْدِكَ الَّذِينَ حَوْلَكَ مِنْ وَقْتِكَ، وَتَتْعَبُ فِي تَرْبِيَتِهِمْ وَتَوْجِيهِهِمْ تَكُونُ النَّتَائِجُ طَيِّبَةً وَالجُهُودُ مُثْمِرَةً، وَكُلَّمَا عَايَشْتَ أَتْبَاعَكَ وَمُحِبِّيكَ، وَاحْتَمَلْتَ أَخْطَاءَهُمْ، وَتَجَرَّعْتَ غُصَصَ مُخَالَفَتِهِمْ لَكَ، فَإِنَّكَ تَزِيدُ مِنْ حُبِّهِمْ لَكَ، وَاحْتِرَامِهِمْ لِشَخْصِكَ، وَتَضْحِيَتِهِمْ لِلمَبْدَإِ الَّذِي تُنَادِي

وَالفِكْرِ الَّذِي إِلَيْهِ تَدْعُو، وَإِذَا غِبْتَ عَنْهُمْ وَانْشَغَلْتَ بِغَيْرِهِمْ، وَمَهْمَا كَانَتْ الأُمُورُ الَّتِي صَرَفْتَ بِهَا وَقْتَكَ مُهِمَّةً، فَإِنَّكَ تَفْقِدُ وُدَّهُمْ تَدْرِيجِيًّا، وَيَنْفَلِتُونَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ شَيْئًا فَشَيْئًا".

ولا بدَّ من مزجِ التربية والتعليم بالحبِّ والصبر والعطاء السخيِّ الوفير، حينها سيرتبط بك الأفراد ويحبُّونك، فقبل هذه الفترة التي تسبقها التربية لن تنفع معهم العقوبةُ وسيفلتون بشكل أو بآخر، وتذكَّر أنَّه لا نفعَ من ارتباط لا تأديبَ فيه ولا تربية.

يَقُولُ صن تزو: "إذَا عَاقَبْتَ الجُنُودَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحُوا مُرْتَبِطِينَ بِكَ فَلَنْ يُصْبِحُوا مُطِيعِينَ، وَمِنْ غَيْرِ ذَلِكَ فَهُمْ لَا فَائِدَةَ مِنْهُمْ وَلَا جَدْوَى، أَمَّا إذَا أَصْبَحُوا مُرْتَبِطِينَ بِكَ وَلَمْ تُوقِعْ بِهِمْ أَيَّ عِقَابٍ فَهُمْ أَيْضًا سَيَكُونُونَ مِنْ غَيْرِ نَفْعٍ وَلَا جَدْوَى"(١).

ويَقُولُ: "إِنْ كُنْتَ طَيِّبًا مُتَسَاهِلًا، لَكِنْ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى جَعْلِ جُنُودِكَ يَعْرِفُونَ حُدُودَ سُلْطَاتِكَ عَلَيْهِمْ، أَوْ كُنْتَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى فَرْضِ أَوَامِرِكَ بِالقُوَّةِ، أَوْ كُنْتَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى قَمْعِ مَظَاهِرِ الفَوْضَى وَالشَّغَبِ، فَوَقْتَهَا يُصْبِحُ جُنُودُكَ كَالأَطْفَالِ المُدَلَّلِينَ، لَا نَفْعَ يُرْتَجَى مِنْهُمْ وَلَا فَائِدَة، إذَا خَافَكَ جُنُودُكَ وَخَشَوْكَ لَمْ يَخْشَوا

(١) «فَنُّ الحَرْبِ» (ص٨٤)

العَدُوَّ"(١).

وهناك قاعدة مهمَّة في التأديب على القائد أن يعيَها وهي خطورة تباين وتقلُّب المعاملة مع الجنود بحسب الظروف المحيطة من أمن أو خوف أو اضطراب أو استقرار، وليس بما يتطلَّبه الموقف من تصرُّف شرعيٍّ حكيم يناسب الموقف المنبعث من الجند سلباً أو إيجاباً، فهو بداية الطامَّة للفوضى والتفلُّت والعصيان.

يَقُولُ صن تزو: "القَائِدُ الَّذِي يَعْمَدُ إلى التَّهْدِيدِ وَالوَعِيدِ وَالطُّغْيَانِ فِي البِدَايَةِ، ثُمَّ تَحْتَ وَطْأَةِ الخَوْفِ مِنْ إعْدَادِ العَدُوِّ يُحْسِنُ مُعَامَلَةَ رِجَالِهِ خَوْفًا مِنْ تَمَرُّدِهِمْ، لَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى انْعِدَامِ الحَدِّ الأَدْنَى مِنْ الفَهْمِ وَالإِدْرَاكِ لَدَيْهِ"(٢).



(١) «فَنُّ الحَرْبِ» (ص٩٤-٩٥)

(٢) «فَنُّ الحَرْبِ» (ص٨٣)

البَابُ الثّالِثُ عَشَرَ

القيادة النبويّة والأحمقُ المتَّبَع

(عُيَينة بن حِصن الفزاريّ)

❖ نَسَبُه:

عيينةُ بْنُ حصنِ بْنِ حذيفةَ بْنِ بدر بْن عَمْرو بْن جوية بْن لوذان بْن ثعلبة بْن عدي بْن فزارة بْن ذبيان بْن بغيض بْن ريث بْن غطفان بْن سعد بْن قيس عيلان الفزاري يكنى: أبا مَالِك، أسلم بعد الفتح، وقيل: أسلم قبل الفتح، وشهد الفتح مسلمًا، وشهد حنينًا أَوْ الطائف أيضًا، وكان من المؤلَّفة قلوبُهم، ومن الأعراب الجُفاة، وكان عيينة في الجاهلية من الجرَّارين، يقود عشرةَ آلاف [(١)].

❖ مواقفُ من حياته:

١. قبل الإسلام:

وذكر أبو حاتم السّجستانيّ في كتاب «الوصايا» أنّ حصن بن حذيفة أوصى ولده عند موته، وكانوا عشرة، قال: وكان سبب موته أنَّ كرزَ بن عامر العقيليَّ طعنه، فاشتدّ مرضه، فقال لهم: الموت أروح ممّا أنا فيه، فأيُّكم يُطيعني؟ قالوا: كلُّنا، فبدأ بالأكبر، فقال: خذ سيفي هذا فضعه على صدري، ثم اتكئ عليه حتى يخرج من ظهري، فقال: يا أبتاه، هل يقتل الرجل أباه! فعرض ذلك عليهم واحداً واحداً، فأبَوا إلّا عيينةَ، فقال له: يا أبتِ، أليس لك فيما تأمرُني به راحةٌ وهوًى، ولك فيه منِّي طاعة؟ قال: بلى،

---

(١) أسد الغابة ٤/٣١٨.

قال: فمُرْني كيف أصنع؟ قال: ألقِ السيفَ يا بُنَيَّ، فإنّي أردت أن أبلوَكم فأعرفَ أطوعَكم لي في حياتي، فهو أطوعُ لي بعد موتي، فاذهب، أنت سيِّد ولدي مِن بعدي، ولك رياستي، فجمع بني بدر فأعلمهم ذلك، فقام عيينة بالرياسة بعد أبيه، وقتل كرزاً[١].

٢. يوم الطائف:

الموقف الأول: عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: " وَأَقْبَلَ عُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ حَتَّى جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: ائْذَنْ لِي أَنْ أُكَلِّمَهُمْ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ، فَأَذِنَ لَهُ، فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْحِصْنَ، فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتُمْ تَمَسَّكُوا بِمَكَانِكُمْ، وَاللهِ لَنَحْنُ أَذَلُّ مِنَ الْعَبِيدِ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ، لَئِنْ حَدَثَ بِهِ حَدَثٌ لَتَمْلِكُنَّ الْعَرَبَ عِزًّا وَمَنَعَةً، فَتَمَسَّكُوا بِحِصْنِكُمْ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَا يَتَكَاثَرَنَّ عَلَيْكُمْ قَطْعُ هَذَا الشَّجَرِ، ثُمَّ رَجَعَ عُيَيْنَةُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَاذَا قُلْتَ لَهُمْ يَا عُيَيْنَةُ؟) قَالَ: قُلْتُ لَهُمْ وَأَمَرْتُهُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَدَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ، وَحَذَّرْتُهُمُ النَّارَ، وَدَلَلْتُهُمْ عَلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (كَذَبْتَ بَلْ قُلْتَ لَهُمْ كَذَا وَكَذَا) فَقَصَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَقَالَ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُوبُ إِلَى اللهِ ﷻ وَإِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ[٢].

الموقف الثاني: حين أذَّنَ عمر رضي الله عنه بالرحيل، فاستقلَّ الناسُ نادى رجل من ثقيف يدعى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبي عمر بن علاج: ألا إنَّ الحيَّ مقيم[٣]، فقال

---

[١] الإصابة في تمييز الصحابة، عيينة بن حصن بن حذيفة، (٧/٥٩٩).

[٢] رواه البيهقي في الدلائل، جُمَّاعُ أَبْوَابِ غَزْوَةِ خَيْبَرَ –بَابُ اسْتِئْذَانِ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ بَدْرٍ فِي مَجِيئِهِ ثَقِيفًا، وَإِطْلَاعِ اللهِ رَسُولَهُ ﷺ عَلَى مَا قَالَ لَهُمْ،(٤/١٩٤)

[٣] كلمات تنم عن النصر والثبات.

عيينة بن حصن: أجل، والله مجدة[1] كراماً، فقال له رجل[2] من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ وقد جئت تنصر رسول الله ﷺ؟! فقال: "إنّي والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم، ولكنّي أردتُ أن يفتحَ محمَّد الطائفَ، فأصيب من ثقيف جارية أطؤها، لعلّها تلد لي رجلاً، فإنَّ ثقيفاً قومٌ مَناكير[3].

٣.في المدينة المنورة:

١- عَنْ جَرِيرٍ (أَنَّ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ عَائِشَةُ فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ إِلَى جَانِبِكَ؟ قَالَ: " عَائِشَةُ ". قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أَنْزِلُ لَكَ عَنْ خَيْرٍ مِنْهَا؟ – يَعْنِي امْرَأَتَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " لَا ". فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : " اخْرُجْ فَاسْتَأْذِنْ ". فَقَالَ لَهُ: إِنَّهَا يَمِينٌ عَلَيَّ أَلَّا أَسْتَأْذِنَ عَلَى مُضَرِيٍّ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: " هَذَا أَحْمَقُ مُتَّبَعٌ) "[4].

٢- عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: دَخَلَ عُيَيْنَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: " هَذَا أَحْمَقُ مُطَاعٌ فِي قَوْمِهِ "، قَالَ: ثُمَّ أُتِيَ

---

[1] مَجَده: غلَبه في المَجْد (معجم اللغة العربية المعاصرة ل د أحمد مختار عبد الحميد عمر (٣/٢٠٦٩).

[2] وعند الواقدي: فقال عمرو بن العاص: قاتلك الله، تمدح قوما مشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ وقد جئت تنصره؟ فقال: "إني والله ما جئت معكم أقاتل ثقيفاً، ولكن أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب جارية من ثقيف فأطأها لعلها تلد لي رجلا فإن ثقيف قوم مباركون. فأخبر عمرو النبي ﷺ بمقالته، فتبسم ﷺ ثم قال: "هذا الحمق المطاع".

[3] سيرة ابن هشام ٤٨٤/٢ والطبري: تاريخ الرسل والملوك ٨٥/٣.
والسهيلي: الروض الأنف ٢٣٧/٧ وابن الأثير: الكامل ١٨١/٢.
والواقدي: المغازي ٩٣٥/٣ والديار بكري: تاريخ الخميس ١١١/٢.
والحلبي: السيرة الحلبية ٨١/٣ والبداية والنهاية ٣٥٠/٤ لابن كثير.
ومناكير: أصحاب دهاء وفطنة (ابن الأثير: النهاية ١١٥/٥). والفيروز آبادي: القاموس المحيط ١٤٨/٢).

[4] رواه الطبراني (٢٢٦٩)، (٣٠٥/٢)، قال الهيثمي في الزوائد: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ شَيْخِهِ عَلِيِّ بْنِ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ وَهُوَ حَافِظٌ رَحَّالٌ، قِيلَ فِيهِ: لَيْسَ بِذَاكَ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُطِيعٍ وَهُوَ ثِقَةٌ، برقم(١٢٨١٦)، كِتَابُ الْأَدَبِ –بَابٌ فِي الِاسْتِئْذَانِ وَفِيمَنِ اطَّلَعَ فِي دَارٍ بِغَيْرِ إِذْنٍ، (٤٥/٨).

بِشَرَابٍ فَاسْتَتَرَ، ثُمَّ شَرِبَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ قَالَ: " هَذَا الْحَيَاءُ خُلَّةٌ فِيهِمْ أُعْطُوهَا، وَضَيَّعْتُمُوهَا "[1].

٣- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :(بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ)، فَلَمَّا دَخَلَ انْبَسَطَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَلَّمَهُ، فَلَمَّا خَرَجَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمَّا اسْتَأْذَنَ قُلْتَ: (بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ) فَلَمَّا دَخَلَ انْبَسَطْتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: (يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ).[2]

٤.بعد وفاة النبيﷺ:

وكان ممَّن ارتدَّ وتبِعَ طليحةَ الأسديَّ، وقاتل معه، فأُخِذ أسيرًا، وحُمِل إِلَى أَبِي بكر رضي الله عنه، فكان صبيان المدينة يقولون: يا عدوَّ اللَّه أكفرتَ بعد إيمانك؟ ! فيقول: ما آمنت بالله طرفةَ عين، فأسلمَ، فأطلقه أَبُو بَكْر [3].

---

[1] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٢٥٣٤٧)، كِتَابُ الْأَدَبِ –مَا ذُكِرَ فِي الْحَيَاءِ وَمَا جَاءَ فِيهِ، (٢١٣/٥)، وورد في المطالب العالية للحافظ (٥٩٩/١١) ابن حجر، وفي إتحاف الخيرة المهرة (٣٣٠/٤) للبوصيري قال:
وثنا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، حَدَّثَنِي قَيْسٌ، قَالَ: فذكره. (حديث الحياء فقط).
قال الحافظ ابن حجر: " هَذَا مُرْسَلٌ، رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ ".

[2] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ (٤٧٩٢) كِتَابُ الأدَبِ–بَابٌ فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ، وَأَصْلَهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ كَمَا مَرَّ.

[3] أسد الغابة ٣١٨/٤.

❖ المنهج النبوي في التعامل مع رؤوس القوم من الطابور الخامس[1]:

ويختصر التعامل النبوي مع رؤوس الطابور الخامس ومع أسياد القوم حديثوا العهد بالإسلام، ضمن قاعدة فن تحيد وتحوير[2]الخصوم «من عدو إلى محايد ومن محايد إلى نصير».

أولاً–المُدَارَاةُ:

وقد اتبع النبي ﷺ أسلوب المدارة بشكل خاص مع فئة معينة من الطابور الخامس وهم السادات والقادات ووجوه القوم، مع العلم أن هذا الأسلوب قد طبقه النبي ﷺ مع كثير من الأفراد العاديين في الدعوة والتأليف لقلوبهم.

ولا بد في مطلع هذا العنوان التمييز والتفريق بين المدارة والمداهنة والنفاق، لأن الكثيرين من أهل الدعوة والقيادة عندهم لبس وخلط بين المفهومين.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي كِتَابِ «الرُّوحِ» [3]: (وَكَذَلِكَ المُدَارَاةُ صِفَةُ مَدْحٍ، وَالمُدَاهَنَةُ صِفَةُ ذَمٍّ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ المُدَارِي يَتَلَطَّفُ بِصَاحِبِهِ حَتَّى يَسْتَخْرِجَ مِنْهُ الْحَقَّ أَوْ يَرُدَّهُ عَنْ الْبَاطِلِ، وَالمُدَاهِنُ يَتَلَطَّفُ بِهِ لِيُقِرَّهُ عَلَى بَاطِلِهِ وَيَتْرُكَهُ عَلَى هَوَاهُ، فَالمُدَارَاةُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَالمُدَاهَنَةُ لِأَهْلِ النِّفَاقِ).

---

(١) الطابور الخامس في عصر النبوة –دِرَاسَةٌ فِيْ وَاقِعِ الْسِيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ وتَطْبِيْقَاتُهَا الْمُعَاصِرَةِ–لأبي مصطفى الغزالي، ط: ٢، دار الحكمة سوريا إدلب، ١٤٤١ هـ –٢٠١٩م.

(٢) تحوير: أي تغيير وتعديل.

(٣) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ)، ن: دار الكتب العلمية – بيروت، (ص ٢٣١).

ويقول ابْنُ حَجَرٍ فِي «فَتْحُ البَارِي»[1]: (قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: الْمُدَارَاةُ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهِيَ خَفْضُ الْجَنَاحِ لِلنَّاسِ وَلِينُ الْكَلِمَةِ وَتَرْكُ الْإِغْلَاظِ لَهُمْ فِي الْقَوْلِ، وَذَلِكَ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ الْأُلْفَةِ، وَظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُدَارَاةَ هِيَ الْمُدَاهَنَةُ فَغَلَطَ؛ لِأَنَّ المُدَارَاةَ مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا، وَالْمُدَاهَنَةُ مُحَرَّمَةٌ، وَالْفَرْقُ أَنَّ الْمُدَاهَنَةَ مِنَ الدِّهَانِ، وَهُوَ الَّذِي يَظْهَرُ عَلَى الشَّيْءِ وَيستر بَاطِنَهُ، وَفَسَّرَهَا الْعُلَمَاءُ بِأَنَّهَا مُعَاشَرَةُ الْفَاسِقِ وَإِظْهَارُ الرِّضَا بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ عَلَيْهِ، وَالْمُدَارَاةُ هِيَ الرِّفْقُ بِالْجَاهِلِ فِي التَّعْلِيمِ وَبِالْفَاسِقِ فِي النَّهْيِ عَنْ فِعْلِهِ وَتَرْكُ الْإِغْلَاظِ عَلَيْهِ حَيْثُ لَا يَظْهَرُ مَا هُوَ فِيهِ، وَالْإِنْكَارُ عَلَيْهِ بِلُطْفِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَلَا سِيَّمَا إِذَا احْتِيجَ إِلَى تَأَلُّفِهِ وَنَحْوِ ذَلك)[2].

وَيَقُولُ ابْنُ بَطَّالٍ فِي شَرْحِهِ عَلَى صَحِيحِ البُخَارِيِّ [3]: (وَالمُدَارَاةُ هي الرِّفْقُ بِالجَاهِلِ الَّذى يَسْتَتِرُ بالمعاصي وَلَا يُجَاهِرُ بِالكَبَائِرِ، وَالمُعَاطَفَةُ فِي رَدِّ أَهْلِ البَاطِلِ إِلَى مُرَادِ اللهِ بِلِينٍ وَلُطْفٍ حَتَّى يَرْجِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَيْنَ أَنْتَ فِي قَوْلِكَ هَذَا مِنْ فِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ المُنَافِقُ، فَقَالَ عِنْدَ دُخُولِهِ: «بِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ»، ثُمَّ حَدَّثَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ شَرًّا عِنْدَ خُرُوجِهِ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ن: دار المعرفة –بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (ج٩–ص٢٥٢).

(٢) وَكَلَامُ ابْنُ بَطَّالٍ عِنْدَ ابْنِ حَجَرٍ لَيْسَ بِنَصِّهِ فِي المَطْبُوعِ، وَهُوَ فِي شَرْحِ ابْنِ بَطَّالٍ عَلَى صَحِيحِ البُخَارِيِّ (٩/٣٠٥–٣٠٦).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩ هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد –السعودية، الرياض، ط١: الثانية، ١٤٢٣ هـ –٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١٠، (ج١ –ص٣٢٧).

كَانَ مَأْمُورًا بِأَنْ لَا يَحْكُمَ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَا ظَهَرَ مِنْهُ لِلنَّاسِ، لَا بِمَا يَعْلَمُهُ دُونَ غَيْرِهِ، وَكَانَ المُنَافِقُونَ لَا يُظْهِرُونَ لَهُ إِلَّا التَّصْدِيقَ وَالطَّاعَةَ، فَكَانَ الوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُعَامِلَهُمْ إِلَّا بِمِثْلِ مَا أَظْهَرُوا لَهُ، إِذْ لَوْ حَكَمَ بِعِلْمِهِ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ لَكَانَتْ سُنَّةَ كُلِّ حَاكِمٍ أَنْ يَحْكُمَ بِمَا أُطْلِعَ عَلَيْهِ، فَيَكُونَ شَاهِدًا وَحَاكِمًا، وَالأُمَّةُ مُجْمِعَةٌ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ ذَلِكَ).

وقد أكد النبي ﷺ على المدارة بأحاديث كثر نورد منها:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مُدَارَاةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ» [(١)].

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - لَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ بَرَاءَةَ- قَالَ: «بُعِثْتُ بِمُدَارَاةِ النَّاسِ»، قَالَ سَهْلٌ: «فَمَنْ خَالَطَهُمْ دَارَاهُمْ وَلَمْ يُمَارِهِمْ، فَإِنَّ مُدَارَاتِهِمْ صَدَقَةٌ، وَمُدَارَاةُ الْوَالِدِ فَرِيضَةٌ، وَمُدَارَاةُ ذَوِي الْأَرْحَامِ سُنَّةٌ، وَمُدَارَاةُ السُّلْطَانِ طَاعَةٌ، وَمُدَارَاةُ أَهْلِ الْبِدَعِ مُدَاهَنَةٌ، وَمُدَارَاةُ الْأَحْمَقِ شَرَفٌ، وَالشَّرَفُ التَّغَافُلُ، وَالسَّلَامَةُ لِلْجَمِيعِ التَّقَرُّبُ للهِ ﷻ» [(٢)].

---

(١) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي المُعْجَمِ الأَوْسَطِ (٤٦٣)، وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الفَوَائِدِ» (١٧/٨): «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ وَهُوَ مَتْرُوكٌ، وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: أَرْجُو أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ».

(٢) رواه البَيْهَقِيُّ فِي الجَامِعِ لِشُعَبِ الإِيمَانِ (٨١١٧)، وَقَالَ البَيْهَقِيُّ: «وَأَمَّا الْحَدِيثُ فَإِنَّهُ غَرِيبٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَقَدْ رُوِّينَاهُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ جَابِرٍ، وَفِي كِلَا الْإِسْنَادَيْنِ ضَعْفٌ».

وقد خص النبي ﷺ بالمدارة أعيان ووجوه القوم من الطابور الخامس، و من هذه الأمثلة تصرف النبي ﷺ مع الأحمق المطاع الذي ترتفع لأمره عشرة آلاف سيف، عيينة بن حصن الفزاري، كما مر معنا أنفاً.

وإن المتمعن بحياة الصحابة يجد أن المدارة سنة متبعة ولا أدل على ذلك من قول أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ، وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ»(١).

ولقد كان ولكن يجب الانتباه في المداراة إلى أمر مهم نوه ونبه إليه الإمام الماوردي رحمه الله تعالى، كما نقله المُنَاوِيُّ فِي «فَيْضُ القَدِيرِ»(٢): «قَالَ المَاوَرْدِيُّ: لَكِنْ يَنْبَغِي مَعَ تَأَلُّفِهِ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ رَاكِنًا، وَبِهِ وَاثِقًا، بَلْ يَكُونُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ، وَمِنْ مَكْرِهِ عَلَى تَحَرُّزٍ؛ فَإِنَّ العَدَاوَةَ إِذَا اسْتَحْكَمَتْ فِي الطِّبَاعِ صَارَتْ طَبْعًا لَا يَسْتَحِيلُ، وَجِبِلَّةً لَا تَزُولُ، وَإِنَّمَا يُسْتَكْفَى بِالتَّأْلِيفِ إِظْهَارُهَا، وَيُسْتَدْفَعُ بِهِ إِضْرَارُهَا، كَالنَّارِ يُسْتَدْفَعُ بِالمَاءِ إِحْرَاقُهَا، وَإِنْ كَانَتْ مُحْرِقَةً بِطَبْعٍ لَا يَزُولُ وَجَوْهَرٍ لَا يَبِيدُ».

ثانياً–تَأْلِيفُ قُلُوبِ أعْيَانِ القَوْمِ بِالمَالِ وَغَيْرِهِ:

(١) أَوْرَدَهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مُعَلَّقًا، بِصِيغَةِ التَّمْرِيضِ، قَالَ: «وَيُذْكَرُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ»، كِتَابُ الأَدَبِ– بَابُ المُدَارَاةِ مَعَ النَّاسِ، وَوَصَلَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «تَغْلِيقُ التَّعْلِيقِ» (٨٢) (١٠٢/٥) مِنْ طُرُقٍ لَيْسَ مِنْ بَيْنِهَا إِسْنَادٌ قَوِيٌّ، وَرَوَاهُ البَيْهَقِيُّ فِي الجَامِعِ لِشُعَبِ الإِيمَانِ (٧٧٤٩) مُسْنَدًا مَوْصُولًا، بِلَفْظِ: «إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ، وَنَضْحَكُ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ».

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١ هـ)، ن: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط١: ١٣٥٦، (ج٢، ص ٤).

فقَدْ تَأَلَّفَ النَّبِيُّ ﷺ كَثِيرًا مِنْ السَّادَةِ وَأَكَابِرِ القَوْمِ مِنَ الطابور الخامس، وَأَحْيَانًا مِنْ العَامَّةِ، بِالمَالِ وَالأُعْطَيَاتِ، وَقَدْ لَا يَصْلُحُ التَّأَلُّفُ بِالمَالِ لِجَمِيعِ السَّادَةِ، فَكُلٌّ لَهُ طَرِيقَتُهُ، فَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُسْتَأْلَفُ قَلْبُهُ إِلَّا بِشَيْءٍ مِنَ الفَخْرِ وَالمَكَانَةِ وَالحَظْوَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، من الأمور المعنوي كانت أم المادية، وَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ بِشَرْطِ أَلَّا يَتَعَارَضَ هَذَا الأَمْرُ مَعَ مَصْلَحَةٍ، وَأَلَّا يَجْلِبَ مَفْسَدَةً أَوْ مَضَرَّةً، كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ، فَتَأَلَّفَهُ بِأَمْرٍ مَشْرُوعٍ، بِمَا يُحَقِّقُ المَصْلَحَةَ لِلمُسْلِمِينَ وَلَا يُسَبِّبُ ضَرَرًا لَهُمْ، فعَنْ العَبَّاسِ رضي الله عنه ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا. قَالَ: «نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ [١]» [٢].

وقد تألف النبي ﷺ صفوان من أمية بعد حنين، فكانت سبب تحوله من البغض للإسلام إلى الحب والنصرة له، فقد أَعْطَاهُ ﷺ يَوْمَئِذٍ مائة مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً، ، حتى كان حال قلبه، يطابق قوله حينها: «وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ»[٣].

---

(١) وهُنَا يَظْهَرُ تَأَلُّفُ النَّبِيِّ ﷺ أَبَا سُفْيَانَ بِغَيْرِ مَالٍ، وَإِنَّمَا بِكَرَامَةٍ خَصَّهُ بِهَا، فَحَفِظَ لَهُ مَكَانَتَهُ بَيْنَ قَوْمِهِ.

(٢) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي المُعْجَمِ الكَبِيرِ (٧٢٦٤)، وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الفَوَائِدِ» (١٦٧/٦): «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ».

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ٥٩ (٢٣١٣) كِتَابُ الفَضَائِلِ-بَابُ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ.

وكان ﷺ يؤثر وجوه القوم الذين تشملهم صفة الطابور الخامس، في العطايا على غيرهم، لما في ذلك من مصلحة كبيرة للمجتمع الاسلامي، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُنَاسًا فِي القِسْمَةِ، فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ العَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي القِسْمَةِ.

، قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ القِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ».

وممن كان النبي ﷺ يتألف قلبه ويداريه لفحش لســـانه، وفظاظة خلقه مخرمة بنو نوفل ومن القصـــص في تأليف قلبه، ما رواه البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُهْدِيَتْ لَهُ أَقْبِيَةٌ مِنْ دِيبَاجٍ، مُزَرَّرَةٌ بِالذَّهَبِ، فَقَسَــمَهَا فِي نَاسٍ مِنْ أَصْـــحَابِهِ، وَعَزَلَ مِنْهَا وَاحِدًا لِمَخْرَمَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، فَجَاءَ وَمَعَهُ ابْنُهُ المِسْــوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ، فَقَامَ عَلَى البَابِ، فَقَالَ: ادْعُهُ لِي، فَسَــمِعَ النَّبِيُّ ﷺ صَــوْتَهُ، فَأَخَذَ قَبَاءً، فَتَلَقَّاهُ بِهِ، وَاسْــتَقْبَلَهُ بِأَزْرَارِهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا المِسْــوَرِ خَبَأْتُ هَذَا لَكَ، يَا أَبَا المِسْــوَرِ خَبَأْتُ هَذَا لَكَ»، وَكَانَ فِي خُلُقِهِ شِدَّةٌ(١).

ولا بد في هذا المقام التنويه إلى أمرين:

١- أهمية تأليف سادات القوم في زماننا وخصوصاً ذوو العصبية والقبلية، بشتى الوسائل سواء كانت معنوية أو مادية، مع عدم اغفال

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٣١٢٧) كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ–بَابُ قِسْمَةِ الإِمَامِ مَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ، وَيَخْبَأُ لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْهُ أَوْ غَابَ عَنْهُ، وَهُوَ مَوْصُولٌ عِنْدَهُ فِي مَوَاضِعَ أُخَر.

أصحاب الإعلام بكافة أشكاله المسموعة والمرئية، لما لهم من أهمية في تغيير قناعات الجماهير وتحويرها.

٢- في حال قوة المسلمين واستغنائهم عن استمالة قلوب أصحاب الهوى والمصالح، لا بد من تغيير سياسة التعامل معهم بما يتناسب مع المعطيات الجديدة.



البَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ

وقفة مع الغنائم

❖ تمهيد هامٌّ:

إنَّ موضوع الأموال بشكل عامٍّ والغنائم بشكل خاصٍّ له حساسيَّة شديدة في العمل الجهاديِّ، وقد وقع الكثير[١] بين الإفراط أو التفريط، فعملَت طائفةٌ على النفقة من دون تمعُّنٍ ولا تريُّثٍ ولا حسبان أو احتياط وادِّخار حتَّى وقعوا في التبذير من حيث علموا أو لم يعلموا، ووجدوا أنفسهم في بداية الطريق فارغي الجيوب ومن دون أي زاد لمتابعة المسير والجهاد فانحلَّت فصائلُهم وجماعاتهم، وعملت طائفة على التضييق الشديد والمبالغة في الادِّخار بحُجَّة المخزون الاستراتيجي للحفاظ على عجلة الجهاد، فصار منعُ الغنائمِ في سياساتهم هو الأساسَ والأصلَ والحكم المبرم الذي لا يُقبَل خِلافُه، ولم يكتفوا بذلك فمنعوا السلب والنفل، فأوقعوا المجاهد في عسر وضنك شديدين في معيشته حتى غدا المجاهد من أفقر الناس وأشدِّهم مسألةً، بل وفتنوا بسياستهم المجاهدين والمؤمنين حتى انفضَّ كثيرٌ منهم عن الجهاد باحثين عمّا يعولون به أهليهم وعيالَهم، حتّى إنّك لتجد في معسكراتهم أن جزءاً كبيراً من التوجيه الشرعيَّ المسيَّس والموجَّه من قيادة الفصيل يتركَّز في هذه النقطة، ليحثَّ المجاهد على الزهد في الغنيمة وتركِها، وأنَّه يجب أن يكون مُعطياً لا آخذاً، وأنَّ الأخذَ من الغنيمة مضيَعةٌ للثواب والمطالبةَ بها ماحقٌ للأجر[٢].

---

[١] أقلها ما عايناه في جهدنا الشامي.

[٢] وقد أفاض الشيخ حمد حمود التميمي غي هذه المسألة في كتابه المبارك (قمة السعادة في فضل الشهادة):
مسألة: من يقاتل يريد وجه الله والنيل من الغنيمة، والباعث الأصل إلى القتال والجهاد هو إرادة وجه الله، بحيث لو لم يكن هناك غنيمة لما ترك الجهاد، ولو دعي إلى غزو قوم فقراء ليس لهم ما يغنم لأجاب ولما أقعده ذلك عن الجهاد، ولو دعي إلى غزو طائفتين إحداهما فقيرة والأخرى غنية، لرغب في جهاد الأغنياء رجاء الغنيمة.

الجواب: فهذه نية صحيحة، ولكنه ناقص الأجر، لكونه أشرك الغنيمة في القصد، فنقص أجره، فهو ليس كمن خرج ابتغاء وجه الله ولم يلتفت إلى الغنيمة أصلا، ويدل على صحة هذه النية: أولا: قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} البقرة. وهذه الآية نزلت في قوم تأثموا أن يتجروا في موسم الحج، وظنوا أنهم بذلك لا حج لهم، فبين الله لهم أن ليس عليهم جناح ولا إثم أن يبتغوا فضلا منه بالتجارة، إذا كان المقصد والباعث الأصلي هو ابتغاء وجه الله.

ثانيا: أن الله تعالى رغب عباده المؤمنين في الغنيمة في غير ما آية من القرآن، كقوله تعالى {وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ... } الفتح، الآية، ونظائرها، ويبعد أن يرغب الله عباده في الغنيمة ويعدهم ويمتن عليهم بنيلها ثم يحظر عليهم نيتها وقصدها، ذكره ابن النحاس في المشارع.

ثالثا: أن الرسول ﷺ كان يرسل السرايا ليغيروا على نعم المشركين وأموالهم وذراريهم، وكانوا إذا لحقهم المشركون قاتلوهم دفاعا عما معهم من الغنائم وقصدا لإعلاء كلمة الله، فربما انتصر المسلمون وذهبوا بما معهم، وربما كانت الأخرى، وقد استشهد منهم في ذلك خلق كثير كما هو معروف في كتب السير والمغازي، وكانوا إذا انهزم المشركون لم يتبعهم المسلمون بل يذهبون بما معهم، ذكره ابن النحاس في المشارع.

رابعا: قال ابن النحاس في المشارع: " قال ابو داود في سننه " باب فيمن يغزو ويلتمس الدنيا ثم ذكر حديث أبي هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من عرض الدنيا؟ فقال: (لا أجر له ...) الحديث المتقدم ثم قال باب فيمن يغزو ويلتمس الأجر والغنيمة، ثم روى فيه عن عبد الله بن حوالة ﷺ قال: بعثنا رسول الله –' – لنغنم على أقدامنا، فرجعنا فلم نغنم شيئا، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: (اللهم لا تكلهم إلي فأضعف، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم) الحديث، وهذا التبويب يدل على أن أبا داود حمل حديث أبي هريرة على من غزا يلتمس الغنيمة من غير قصد قربة، واستدل بحديث عبد الله بن حوالة على جواز الغزو للغنيمة والأجر كما تقدم، وهو ظاهر.

وموضع الاستدلال منه قوله بعثنا لنغنم، وقد تعرض البيهقي في سننه لما ذكرت فإنه ذكر حديث أبي هريرة المتقدم ثم قال: فهذا لعله فيمن لا ينوي بغزوه سوى الدنيا، فأما من يبتغي الآخرة ويلمح الغنيمة فحدثنا فلان عن فلان، ثم روى حديث عبد الله بن حوالة " انتهى كلامه.

خامسا: عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺمر بخباء أعرابي وهو في أصحابه يريدون الغزو، فرفع الأعرابي ناحية من الخباء فقال: من القوم؟ فقيل له: رسول الله ﷺ وأصحابه يريدون الغزو، فقال: هل من عرض الدنيا يصيبون؟ قيل له: نعم، يصيبون الغنائم ثم تقسم بين المسلمين، فعمد إلى بكر له فاعتقله، وسار معهم، فجعل يدنو بكره إلى رسول الله ﷺ، وجعل أصحابه يذودون بكره عنه، فقال رسول الله ﷺ :(دعوا لي النجدي فوالذي نفسي بيده إنه لمن ملوك الجنة) قال: فلقوا العد فاستشهد، فأخبر بذلك النبي ﷺ، فأتاه، فقعد عند رأسه مستبشرا أو قال: مسرورا يضحك، ثم أعرض عنه، فقلنا: يا رسول الله رأيناك مستبشرا تضحك ثم أعرضت عنه؟ فقال: (أما ما رأيتم من استبشاري أو قال: سروري فلما رأيت من كرامة روحه على الله تعالى، وأما إعراضي عنه، فإن زوجته من الحور العين الآن عند رأسه) رواه البيهقي في الشعب بإسناد حسن كما قاله المنذري وابن النحاس والألباني.

قال ابن النحاس في المشارع: " وهذا الحديث بفرده دليل واضح على ما ذكرناه، فإن في الحديث التصريح بقصد الغنيمة، وقد أخبر النبيﷺ بكرامة روحه على الله، وأنه من ملوك الجنة، وحسبك بهذا فضلا وشرفا " انتهى كلامه.

سادسا: غزوة بدر الكبرى كان سببها الخروج لرصد عير قريش القادمة من الشام، وكذا النبي ﷺ كان يرسل السرايا لرصد عير قريش القادمة من التجارة.

وأما الأحاديث التي فيها أن من خرج للدنيا ونوى الغنيمة بجهاده فلا جهاد ولا أجر له – كما سيأتي ذكرها إن شاء الله في مانع طلب الدنيا – فالمقصود بها من خرج وكان الباعث الأصلي طلب الدنيا والمغنم، أو تساويا مع طلب وجه الله ﻷ.

قال ابن النحاس في المشارع: " غير أن من كان قصده مشوبا بإرادة الغنيمة والميل إليها لا يساوي من ليس له إليها التفات البتة كما تقدم، إذ نيل الغنيمة في الجملة منقص لأجر أكثر الغزاة وإن لم ينووها، لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من غزية أو سرية تخفق وتخوف وتصاب إلا تم أجرهم) وفي رواية (ما من غازية أو سرية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم) يقال أخفق الغازي، إذا غزا ولم يغنم ولم يظفر.

ولأجل ما في نيل المغنم من شائبة نقص الأجر، كان جماعة يتعففون عن المغنم، منهم إبراهيم بن أدهم كان إذا غزا لم ينل من المغنم، فيقال له أتشك أنه حلال، فيقول إنما الزهد في الحلال، وأنشد بعضهم: هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ** إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الوقيعة أنني ** أغشى الوغى وأعف عند المغنم

واعلم أن المعرض عن نصيبه من المغنم، لا يخلو إما أن يتركه زهدا في الدنيا، وإما أن يتركه قطعا لمادة استشراف النفس، فإن تركه زهدا في الدنيا ورغبة في نيل أجره من الله تعالى كاملا من غير نقص، فهذا لا ينظر في أفضليته، وقد يكون أخذه والإيثار به في بعض المواطن ولبعض الناس أفضل وأسلم من تركه زهدا فيه، ولصحة القصد في الترك والأخذ موازين معروفة، لا نطول في تفاصيلها لاختلافها بحسب الاشخاص، وتعذر نظمها في أسلوب.

وإن تركه قطعا لمادة استشراف النفس إلى نيل الغنيمة، فحسن، لأنها إذا استشرفت إلى نيل الغنيمة وتوقعت وجودها كان ذلك نقصا في إخلاصها، وإن حكمنا بصحة القصد مع ذلك كما تقدم، وإن لم تستشرف ولكن تحققت أنه إذا حصلت غنيمة لا تمتنع منها، ربما خفيت دسيسة استشرافها وبطنت بحيث لا يدركها صاحبها، فإذا آيست من نيل الغنيمة قطعا كان وجود الغنيمة وعدمها سواء، وأمنت دسيستها في ذلك، فسلم الإخلاص، ولكن قد تخفى دسيسة الرياء في الترك أيضا، فينبغي التفطن لمثل ذلك، والاحتراز من الدسائس، فإن ذلك مما يتعين الاهتمام به، والتفتيش عنه، سيما في هذا الموطن " انتهى كلامه، وإنما نقلته بطوله لفائدته).

وقد بين الشيخ في موضع طلب الدنيا تفصيل لا بد من ذكره ليكتمل النفع: (طلب الدنيا:

وهو أن يعمل الشخص العبادة والعمل بنية طلب الدنيا، ولأجل حظ من حظوظها، كالمال والملك والأجرة والجعل والمغنم وغير ذلك، وهي كثيرة لا تحصر.

وهذه الداهية العظمى، والفتنة الدهماء، التي هي أعظم المقاصد فتنة، وأشدها بلاء، ولكي تعرف أخي صحة هذا الأمر، فانظر فيمن يقتل لأجل الدنيا والملك ونحوه، تجد أعدادهم لا تحصر، نسأل الله العافية.

وطلب الدنيا بالعمل والجهاد له أحوال:

١. أن يكون الباعث الأصلي على الجهاد والعبادة طلب وجه الله تعالى، والدنيا تبع له، فهذا تقدم أنه جائز، وأن من قتل بهذه النية فهو شهيد، ولكنه ناقص الأجر.

٢. أن يطلب الدنيا محضا بجهاده، ولا يريد بذلك وجه الله والتقرب إليه البتة، فهذا عمله حابط، ولا أجر له البتة، وإذا قتل فليس بشهيد، والأدلة على ذلك كثيرة، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة هود:١٥].

٣. .وعن أبي موسى ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي –ﷺ– فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) رواه البخاري.

وعن أبى هريرة ﷺ أن رجلا قال: يا رسول الله، رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغى عرضا من عرض الدنيا؟ فقال رسول الله ﷺ :(لا أجر له) فأعظم ذلك الناس، وقالوا للرجل: عد لرسول الله –ﷺ– فلعلك لم تفهمه، فقال: يا رسول الله، رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغى عرضا من عرض الدنيا؟ فقال: (لا أجر له) فقالوا للرجل: عد لرسول الله –ﷺ–، فقال له الثالثة، فقال له: (لا أجر له) رواه أبو داود والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، والعرض هو ما يقتنى من مال وغيره.

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ:" إياكم والشهادات أن تقول قتل فلان شهيدا، فإن الرجل يقاتل حمية، ويقاتل في طلب الدنيا، ويقاتل وهو جريء الصدر، ولكن سأحدثكم على ما تشهدون أن رسول الله –ﷺ– بعث سرية ذات يوم، فلم يلبث إلا قليلا حتى قام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إن إخوانكم قد لقوا المشركين، فاقتطعوهم فلم يبق منهم أحد، وأنهم قالوا ربنا بلغ قومنا إنا قد رضينا عن ربنا، فأنا رسولهم إليكم إنهم قد رضوا، ورضي عنهم) رواه الحاكم، وصححه إن كان أبو عبيدة سمع من أبيه عبد الله، وصححه الذهبي.

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :(من غزا ولم ينو إلا عقالا فله ما نوى) رواه النسائي والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وعن يعلى بن منية ﷺ قال: آذن رسول الله ﷺ بالغزو وأنا شيخ كبير ليس لي خادم، فالتمست أجيرا يكفيني وأجري له سهمه، فوجدت رجلا، فلما دنا الرحيل أتاني فقال: ما أدرى ما السهمان وما يبلغ سهمي؟ فسم لي شيئا كان السهم أو لم يكن، فسميت له ثلاثة دنانير، فلما حضرت غنيمته أردت أن أجرى له سهمه، فذكرت الدنانير، فجئت النبي –ﷺ– فذكرت له أمره، فقال: (ما أجد له في غزوته هذه الدنيا والآخرة إلا دنانيره التي سمى) رواه أبو داود والحاكم، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة، وقد مضى كثير من الأدلة أيضا.

٤. أن يجاهد لأجل الدنيا وقصد القربة والأجر، سواء أكان قصدا الدنيا هو الباعث على العمل، بحيث لو عرض عليه قتال قوم كفار ليس لهم ما يغنم، أو علم أنه يمنع من الغنيمة لأبى الجهاد، أو تساوت النيتان، فهذا لا أجر له، وعمله حابط، وإذا قتل ليس بشهيد على ما اختاره الغزالي في الأحياء، والأدلة على ذلك ما سبق.

قال ابن النحاس: " وأما من استؤجر للخدمة لا للقتال، فإن له أجر القتال إذا قتل مخلصا، وأجره في غدوه ورواحه وغباره في سبيل الله ونحو ذلك على هذا التفصيل، وكذلك التجار والصناع ونحوهم، إذا قاتلوا بنية خالصة في القتال فقتلوا كانوا

هذه المفاهيم الخاطئة والمغالطات الواضحة والنظرة الضيِّقة المُدلِّسة بحجّة المفاسد والمصالح؛ قد سبَّبت لنا الكثير من المصائب والملمات في طريق الجهاد،[١] ولا بدَّ في هذا المقام من تبين الحكم الشرعيّ في بعض المسائل الفقهية بشيء من الاختصار، ونردُّ على بعض الحجج بما ندين له به، حتّى تتَّضحَ الصورةُ ويُعالَجَ الخللُ ما أمكن إلى ذلك سبيلاً:

المسألة الأولى: هل للإمام الحقُّ في منع الغنيمة عن المقاتلين؟:

ذهب أهل العلم في تقسيم الغنائم إلى أنَّ خمس الغنائم هو لله ورسوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل على التفصيل الموجود في كتب الفقه، واختلفوا في أربعة الأخماس الباقية، أهيَ حقٌّ محضٌ للغانمين أم أنَّ للإمام حقَّ التصرُّف بما فيه المصلحة مِن منعٍ وغير ذلك؟ على رأيين:

شهداء في الدنيا والآخرة، وأجرهم فيما قبل ذلك على التفصيل المتقدم، وهو أن يقال إن كانوا لولا أسبابهم لما غزوا مع قدرتهم على الغزو بدونها، وليس لهم نية البتة غير أسبابهم فإنهم ليس لهم من أجر ذلك شيء، ولو أصاب أحدهم سهم من غير أن ينوي القتال لم يكن كشهداء الآخرة، وإن كانوا يستعينون بأسبابهم على الغزو، ولولاها لما قدروا عليه، فهم مأجورون وشهداء، وإن استغنوا عن الأسباب واستوى الباعثان، أو ترجح أحدهما، كان الأجر بحسب ذلك، هذا ما يظهر لي مع قصور فهمي وقلة علمي". انتهى كلامه.

[١] وأنا أكتب هذه الكلمات تذكرت كلمة للشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه علل وأدوية تدور في نفس الفلك وإن كانت في ميدان أخر: (سيقنعونك أن الفقر ليس عيباً، وأن الله يحب الفقراء أكثر، وأن النبي ﷺ كان فقيراً، وأن القناعة كنز لا يفنى، وأن الزهد فضيلة، وأن الطمع رذيلة، وأن الطيبة هي رأسمال الفقراء، وأن الأغنياء هم محض مصاصي دماء.

نوع جميل من المخدرات، ستجعلك تستمتع بفقرك، تستلذ بحاجتك، ترضى بضعفك وقلة حيلتك!!، لن يحدثك أحد عن عثمان وجيش العسرة، ولا عن طلحة وسخائه، ولا عن الزبير وعقاراته، ولا عن ابن عوف وتجارته، ولا عن ابن أبي وقاص وصدقاته، رضوان الله عليهم أجمعين.

لن يحدثك أحد عن استعاذة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه من الكفر والفقر، ولا أن اليد العليا خير من اليد السفلى، ولا أن المؤمن القوي خير عند الله من المؤمن الضعيف.

بل سيقولون لك إنه لا بأس أن تكون (فقيراً، ضعيفاً، محتاجاً) فحينها، لن تسأل، لن تنتقل لمرحلة تطالب فيها بأكثر من قوت يومك، لتتساءل فيها عن الظلم، عن الانبطاح، عن الاستضعاف، فحينها، ستصبح مزعجاً، متطفلاً، متجاوزاً لمكانتك، حينها ستفكر، ستخطط، ستعمل، وربما –لا سمح الله –ستنتصر !!).

الرأي الأوّل: وهو أنّ الغنائم تُخَمَّس، فيصرف خُمسٌ لمن ذكرتهم آية الأنفال قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ: ١٤]، ومن ثمَّ تُعطَى الأخماسُ الأربعة المتبقّية للغانمينَ بحسبِ ما بيَّنها أهلُ الفقه، وقد نقلَ كثير من العلماء إجماعَ الأمَّة على ذلك ومن أولئك العلماء:

- ابن نجيم في البحر الرائق: (يجب على الإمام أن يقسم الغنيمة ويخرج خمسها لقوله تعالى ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [الأنفال: ٤١] ويقسم الأربعة الأخماس على الغانمين؛ للنصوص الواردة فيه وعليه إجماع المسلمين)[١].
- ابن رشد في بداية المجتهد : (وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْغَنِيمَةَ الَّتِي تُؤْخَذُ قَسْرًا مِنْ أَيْدِي الرُّومِ مَا عَدَا الْأَرَضِينَ أَنَّ خُمُسَهَا لِلْإِمَامِ، وَأَرْبَعَةَ أَخْمَاسِهَا لِلَّذِينَ غَنِمُوهَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١] الْآيَةَ، المراد بالمسألة: أنَّ الإمام إذا أراد تقسيم الغنيمة فإنَّه يقوم بتخميس الغنيمة فيخرج الخمس لأربابها الذين قال اللَّهُ فيهم: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]. ثم يوزّع أربعة الأخماس على الغانمين. وقد نقل الإجماع على ذلك)[٢].
- ابن عبد البرّ في التمهيد: (وفي قول اللَّه ﷻ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾، دليل على أنَّ أربعة أخماس الغنائم لأهلها

---

[١] البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠ هـ)، دراسة وتحقيق: احمد عزو عناية الدمشقي، ن: دار احياء التراث العربي، ط١: ١٤٢٢ هـ -٢٠٠٢ م.

[٢] بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥ هـ)، ن: دار الحديث – القاهرة، ط: بدون طبعة، ت ن: ١٤٢٥ هـ -٢٠٠٤ م (١١٣٤٢).

الغانمين لها، والمُوجِفين عليها الخيل والركاب والرجل؛ لأنَّ اللَّه ﷻ لمّا أضاف الغنيمة بقوله: ﴿غَنِمْتُمْ﴾ وأخبر أن الخمس خارجٌ عنهم لمن سمَّى في الآية؛ علم العلماء استدلالًا ونظرًا صحيحًا أنَّ أربعة الأخماس المسكوت عنها لهم مقسومة بينهم وهذا ما لا خلاف فيه)[١].

- ابن قدامة في المُغْني: (أجمع أهل العلم على أنَّ أربعة أخماس الغنيمة للغانمين)[٢].
- القرطبيُّ في تفسيره :(وكذا أربعة الأخماس للغانمين إجماعًا على ما ذكره ابن المنذر وابن عبد البرِّ والداوديّ والمازريّ أيضًا والقاضي عياض وابن العربيّ والأخبار بهذا المعنى متظاهرة)[٣].

---

[١] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ن: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ت ن: ١٣٨٧ هـ، (٤٩/٤).

[٢] المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ)، ن: دار الفكر – بيروت، ط١: ١٤٠٥ (٣١٢/٧).

[٣] الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، ن: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م، (٣/٨).

• أبو الحكم البلوطيّ[١] كما نقله عنه ابن القطّان في الإقناع :(بإجماع العلماء أنَّ أربعة الأخماس لمَن شهد الوقعة من الرجال البالغين منهم)[٢].

ويقول الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله في كتابه آثار الحرب: (إنّنا لا نجد أثرًا كبيرًا لهذا الخلاف –أي بين الفقهاء– في شأن المنقولات، فقد كان رسول الله ﷺ يقسمها على حسب رأيه، ولما حصل نزاع بين الصحابة في غنائم بدر جعلها الله عز وجل مُلكاً لرسوله يضعها حيث شاء قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ: ١].ثم أنزل الله آية الغنائم قال تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤١﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ: ٤١]، فكان الواجبُ تخميسَ المَغنَم، الخمس لمن ذكرت الآية، أي لبيت مال المسلمين كما يرى المالكيّة، والباقي للمجاهدين الذين شهدوا القتال، قال عمر فيما رواه البخاري: (إنّما الغنيمة لمن شهد الوقعة)، وما زالت الغنائم تقسم بين الغانمين في صدر الإسلام ودولة بني أميّة وبني العبّاس[٣]، وذلك لأنَّ الغنيمة حقٌّ خالصٌ للغانمين إجماعًا، وهذا ما اتَّفق عليه أئمة المذاهب، ولا خيارَ للإمام في أمر القسمة. قال الزيلعيّ: "يجب على الإمام أن يقسم الغنيمة ويخرج خمسها لقوله

---

(١) البَلُّوطي (٢٧٣ –٣٥٥ ه = ٨٨٦ –٩٦٦ م) منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النّفزي القرطبي، أبو الحكم البلوطي: قاضي قضاة الأندلس في عصره. كان فقيها خطيبا شاعرا فصيحا. نسبته إلى (فحص البلوط) بقرب قرطبة.

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان (المتوفى: ٦٢٨ ه)، المحقق: حسن فوزي الصعيدي، ن: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١: ١٤٢٤ ه –٢٠٠٤ م.

(٣) السياسة الشرعية لصديق خان: ص ١٠١، الأحكام السلطانية للماوردي: ص ١٣٤.

تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ ويقسم أربعة الأخماس على الغانمين للنصوص الواردة فيه وعليه إجماع المسلمين" [1].

وقد لخَّص الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله تعالى القول الأوّل في كتابه أضواء البيان فقال :(اعْلَمْ أَنَّ جَمَاهِيرَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ الْغَنِيمَةِ لِلْغُزَاةِ الَّذِينَ غَنِمُوهَا، وَلَيْسَ لِلْإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ تِلْكَ الْغَنِيمَةَ لِغَيْرِهِمْ، وَيَدُلُّ لِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: غَنِمْتُمْ فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا غَنِيمَةٌ لَهُمْ فَلَمَّا قَالَ: فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، عَلِمْنَا أَنَّ الْأَخْمَاسَ الْأَرْبَعَةَ الْبَاقِيَةَ لَهُمْ لَا لِغَيْرِهِمْ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ، أَيْ: وَلِأَبِيهِ الثُّلُثَانِ الْبَاقِيَانِ إِجْمَاعًا، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، أَيْ: وَلِلْغَانِمِينَ مَا بَقِيَ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَحَكَى الْإِجْمَاعَ عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَمِمَّنْ حَكَى إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ ابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، وَالدَّاوُدِيُّ، وَالْمَازِرِيُّ، وَالْقَاضِي عِيَاضٌ، وَابْنُ الْعَرَبِيِّ، وَالْأَخْبَارُ بِهَذَا الْمَعْنَى مُتَظَاهِرَةٌ).

ويقول الرازيّ: (وَأَمَّا الْبَاقِي وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ الْغَنِيمَةِ فَهِيَ لِلْغَانِمِينَ. لِأَنَّهُمُ الَّذِينَ حَازُوهُ وَاكْتَسَبُوهُ كَمَا يُكْتَسَبُ الْكَلَأُ بِالِاحْتِشَاشِ، وَالطَّيْرُ بِالِاصْطِيَادِ، وَالْفُقَهَاءُ اسْتَنْبَطُوا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ مَسَائِلَ كَثِيرَةً مَذْكُورَةً فِي كُتُبِ الْفِقْهِ)[2].

الرأي الثاني: وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَهُوَ قَوْلُ كَثِيرٍ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ بخِلاف رَأي الإمام مَالِك رحمه الله، وَنَقَلَهُ عَنْهُمُ الْمَازِرِيُّ والماورديُّ، وقَدْ ذَهَبَ إِلَى ذَلك شَيْخُ الإسلام وتلميذه ابن القيّم، فقَالُوا: لِلْإِمَامِ أَنْ يَصْرِفَ الْغَنِيمَةَ فِيمَا يَشَاءُ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَمْنَعَ مِنْهَا الْغُزَاةَ الْغَانِمِينَ، وهذا هو رأي القرافيّ والعزّ بن عبد السلام وعلاء الدين البعليّ.

---

[1] تبين الحقائق ٣/٢٥٤.

[2] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٢٠ هـ، (١٥/٤٨٥).

قال الْمَازِرِيُّ[١]: (لأن الغنيمة لا يملكها الغانمون بنفس القِتال على قول كثير من أصحابنا وللإمام أن يخرجَها عن الغانمين ويمُنَّ على الأسرى بأنفسهم وحريمهم وأموالهم)[٢].

قال الشوكانيّ ﷺ: (وَفِي أَحَادِيثِ الْبَابِ –[بَابُ مَا جَاءَ فِي إعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ]–دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يُؤْثِرَ بِالْغَنَائِمِ أَوْ بِبَعْضِهَا مَنْ كَانَ مَائِلًا مِنْ أَتْبَاعِهِ إلَى الدُّنْيَا تَأْلِيفًا لَهُ وَاسْتِجْلَابًا لِطَاعَتِهِ وَتَقْدِيمِهِ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ أَجْنَادِهِ، قَوِيَّ الْإِيمَانِ، مُؤْثِرًا لِلْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا)[٣].

وقال في الفتح: (وَقَدِ ادَّعَى ابن عبد البرِّ الإجماع على هذه الآية بعد قوله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ وَأَنَّ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ الْغَنِيمَةِ مَقْسُومَةٌ عَلَى الغانمين، وأن قوله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ نَزَلَتْ حِينَ تَشَاجَرَ أَهْلُ بَدْرٍ فِي غَنَائِمِ بَدْرٍ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ أَوَّلَ السورة وقيل إنَّها أعني قوله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ، وَأَنَّ الْغَنِيمَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَتْ مَقْسُومَةً بَيْنَ الْغَانِمِينَ وَكَذَلِكَ لِمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ، حَكَاهُ الْمَاوَرْدِيُّ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، قَالُوا: وَلِلْإِمَامِ أَنْ يُخْرِجَهَا عَنْهُمْ، وَاحْتَجُّوا بِفَتْحِ مَكَّةَ وَقِصَّةِ حُنَيْنٍ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَقُولُ: افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ عَنْوَةً وَمَنَّ عَلَى أَهْلِهَا فَرَدَّهَا عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُقَسِّمْهَا وَلَمْ يَجْعَلْهَا فَيْئًا، وَقَدْ حَكَى الْإِجْمَاعَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ الْغَنِيمَةِ لِلْغَانِمِينَ، وَمِمَّنْ حَكَى ذَلِكَ ابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَالدَّاوُدِيُّ وَالْمَازِرِيُّ وَالْقَاضِي عِيَاضٌ وَابْنُ الْعَرَبِيِّ، وَالْأَحَادِيثُ

---

[١] المازَري (٤٥٣ –٥٣٦ هـ = ١٠٦١ –١١٤١ م)، محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري، أبو عبد الله: محدث، من فقهاء المالكية. نسبته إلى (مازر) بجزيرة صقلّيّة، ووفاته بالمهدية.

[٢] المُعْلم بفوائد مسلم، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (المتوفى: ٥٣٦ هـ)، المحقق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، ن: الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة، ط٢: ١٩٨٨ م، والجزء الثالث صدر بتاريخ ١٩٩١م، (٣/٣٥).

[٣] نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ن: دار الحديث، مصر، ط١: ١٤١٣ هـ –١٩٩٣م، (٧/٢٤٢).

الْوَارِدَةُ فِي قِسْمَةِ الْغَنِيمَةِ بَيْنَ الْغَانِمِينَ وَكَيْفِيَّتِهَا كَثِيرَةٌ جِدًّا. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ فِيمَا أَعْلَمُ أن قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ﴾ الْآيَةَ نَاسِخٌ لِقَوْلِهِ: وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ الْآيَةَ، بَلْ قَالَ الْجُمْهُورُ: إِنَّ قَوْلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ نَاسِخٌ، وَهُمُ الَّذِينَ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِمُ التَّحْرِيفُ وَلَا التَّبْدِيلُ لِكِتَابِ اللَّهِ)[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة ؒ: (وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْغَنِيمَةَ لِلْإِمَامِ أَنْ يَقْسِمَهَا بِاجْتِهَادِهِ كَمَا يَقْسِمُ الْفَيْءَ بِاجْتِهَادِهِ إذَا كَانَ إمَامَ عَدْلٍ قَسَمَهَا بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ لَيْسَ قِسْمَتُهَا بَيْنَ الْغَانِمِينَ كَقِسْمَةِ الْمِيرَاثِ بَيْنَ الْوَرَثَةِ وَقِسْمَةِ الصَّدَقَاتِ فِي الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ وَلِهَذَا قَالَ فِي الصَّدَقَاتِ: ﴿إنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ فِيهَا بِقِسْمَةِ نَبِيٍّ وَلَا غَيْرِهِ وَلَكِنْ جَعَلَهَا ثَمَانِيَةَ أَصْنَافٍ فَإِنْ كُنْت مِنْ تِلْكَ الْأَصْنَافِ أَعْطَيْتُك﴾ فَعُلِمَ أَنَّ مَا أَفَاءَ اللَّهُ مِنْ الْكُفَّارِ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَقَدْ قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ لِأَهْلِ السَّفِينَةِ الَّذِينَ قَدِمُوا مَعَ جَعْفَرَ وَلَمْ يَقْسِمْ لِأَحَدِ غَابَ عَنْهَا غَيْرُهُمْ وَقَسَمَ مِنْ غَنَائِمِ بَدْرٍ لِطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَلِعُثْمَانَ........

وَكَانَ قَدْ أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يُرِيدُونَ الْقِتَالَ وَكَانُوا مَشْغُولِينَ بِبَعْضِ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هُمْ فِيهَا فِي جِهَادٍ، وَأَيْضًا أَهْلُ السَّفِينَةِ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعُثْمَانُ لَمْ يَكُونُوا كَغَيْرِهِمْ وَالْقِتَالُ لَمْ يَكُنْ لِأَجْلِ الْغَنِيمَةِ................ فَالْغَنَائِمُ أُبِيحَتْ لِمَصْلَحَةِ الدِّينِ وَأَهْلِهِ فَمَنْ كَانَ قَدْ نَفَعَ الْمُجَاهِدِينَ بِنَفْعٍ اسْتَعَانُوا بِهِ عَلَى تَمَامِ جِهَادِهِمْ جُعِلَ مِنْهُمْ وَإِنْ لَمْ يَحْضُرْ)[2].

---

[1] فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، ن: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب –دمشق، بيروت، ط: الأولى –١٤١٤ هـ، (٢/٢٥٣).

[2] مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: أنور الباز – عامر الجزار، ن: دار الوفاء، ط٣: ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م، (١٧/٤٩٥).

وقال: (وَلَوْ فَتَحَ الْإِمَامُ بَلَدًا وَغَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّ أَهْلَهُ يُسْلِمُونَ وَيُجَاهِدُونَ جَازَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَهْلِ مَكَّةَ فَإِنَّهُمْ أَسْلَمُوا كُلُّهُمْ بِلَا خِلَافٍ بِخِلَافِ أَهْلِ خَيْبَرَ فَإِنَّهُ لَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَأُولَئِكَ قَسَمَ أَرْضَهُمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا كُفَّارًا مُصِرِّينَ عَلَى الْكُفْرِ وَهَؤُلَاءِ تَرَكَهَا لَهُمْ لِأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ صَارُوا مُسْلِمِينَ وَالْمَقْصُودُ بِالْجِهَادِ أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَأَنْ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ لِيَتَأَلَّفَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ فَكَيْفَ لَا يَتَأَلَّفُهُمْ بِإِبْقَاءِ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)[1].

يقول ابن القيّم: (الْإِمَامُ نَائِبٌ عَنِ الْمُسْلِمِينَ يَتَصَرَّفُ لِمَصَالِحِهِمْ، وَقِيَامِ الدِّينِ. فَإِنْ تَعَيَّنَ ذَلِكَ لِلدَّفْعِ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَالذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَاسْتِجْلَابِ رُؤُوسِ أَعْدَائِهِ إِلَيْهِ، لِيَأْمَنَ الْمُسْلِمُونَ شَرَّهُمْ، سَاغَ لَهُ ذَلِكَ، بَلْ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ، وَهَلْ تُجَوِّزُ الشَّرِيعَةُ غَيْرَ هَذَا، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ فِي الْحِرْمَانِ مَفْسَدَةٌ، فَالْمَفْسَدَةُ الْمُتَوَقَّعَةُ مِنْ فَوَاتِ تَأْلِيفِ هَذَا الْعَدُوِّ أَعْظَمُ، وَمَبْنَى الشَّرِيعَةِ عَلَى دَفْعِ أَعْلَى الْمَفْسَدَتَيْنِ بِاحْتِمَالِ أَدْنَاهُمَا، وَتَحْصِيلِ أَكْمَلِ الْمَصْلَحَتَيْنِ بِتَفْوِيتِ أَدْنَاهُمَا، بَلْ بِنَاءُ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ عَلَى هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.)[2].

ويقول الشيخ محمد الأمين بن محمّد المختار الشنقيطيّ رحمه الله تعالى مبيّناً للقول الثاني في كتابه أضواء البيان: (وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَهُوَ قَوْلُ كَثِيرٍ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، وَنَقَلَهُ عَنْهُمُ الْمَازِرِيُّ رحمه الله أَيْضًا، قَالُوا: لِلْإِمَامِ أَنْ يَصْرِفَ الْغَنِيمَةَ فِيمَا يَشَاءُ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَمْنَعَ مِنْهَا الْغُزَاةَ الْغَانِمِينَ.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٩٣/١٧).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت –مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: السابعة والعشرون ، ١٤١٥ هـ /١٩٩٤م، ى، (٤٢٦/٢).

وَاحْتَجُّوا لِذَلِكَ بِأَدِلَّةٍ مِنْهَا قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ: ١]، قَالُوا: الْأَنْفَالُ: الْغَنَائِمُ كُلُّهَا، وَالْآيَةُ مُحْكَمَةٌ لَا مَنْسُوخَةٌ، وَاحْتَجُّوا لِذَلِكَ أَيْضًا بِمَا وَقَعَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ، وَقِصَّةِ حُنَيْنٍ قَالُوا: إِنَّهُ ﷺ فَتَحَ مَكَّةَ عَنْوَةً بِعَشَرَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ، وَمَنَّ عَلَى أَهْلِهَا فَرَدَّهَا عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَجْعَلْهَا غَنِيمَةً وَلَمْ يُقَسِّمْهَا عَلَى الْجَيْشِ، فَلَوْ كَانَ قَسْمُ الْأَخْمَاسِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى الْجَيْشِ وَاجِبًا لَفَعَلَهُ ﷺ لَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ، قَالُوا: وَكَذَلِكَ غَنَائِمُ هَوَازِنَ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، أَعْطَى مِنْهَا عَطَايَا عَظِيمَةً جِدًّا، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ مِنْهَا مَعَ أَنَّهُمْ مِنْ خِيَارِ الْمُجَاهِدِينَ الْغَازِينَ مَعَهُ ﷺ، ....قَالُوا: لَوْ كَانَ يَجِبُ قَسْمُ الْأَخْمَاسِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى الْجَيْشِ الَّذِي غَنِمَهَا، لَمَا أَعْطَى ﷺ أَلْفَيْ نَاقَةٍ مِنْ غَنَائِمِ هَوَازِنَ لِغَيْرِ الْغُزَاةِ، وَلَمَا أَعْطَى مَا مَلَأَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ مِنَ الْغَنَمِ لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ التَّمِيمِيَّ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَكَذَلِكَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ، حَتَّى غَارَ مِنْ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ، ..... قَالُوا: فَلَوْ كَانَ قَسْمُ الْأَخْمَاسِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى الْجَيْشِ الْغَانِمِينَ وَاجِبًا، لَمَا فُضِّلَ الْأَقْرَعُ وَعُيَيْنَةُ فِي الْعَطَاءِ مِنَ الْغَنِيمَةِ عَلَى الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ شِعْرَهُ الْمَذْكُورَ).

ويقول د. وهبة الزحيليّ رحمه الله تعالى: (إلّا أنَّه قد وجدنا عند الحنفيّة ما يقضي بأنَّ للإمام أن يمُنَّ على أصحاب البلاد الأصليّين بأموالهم تبعًا للمَنّ بأراضيهم ورقابهم بعد وضع الجِزية على الرؤوس والخَراج على الأرض[١]، ويجوز ذلك عند الشافعيّة والظاهريّة إذا استطاب الإمام أنفسَ الغانمين[٢]، ويجوز فقهًا أيضًا إبقاء

---

[١] شرح الزيادات: ق ٥٢٣، فتح القدير: ٣٠٣/٤.

[٢] روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود –علي محمد معوض، ن: دار الكتب العلمية، ط: غير متوفر، (٤٧١/٧).

المنقول على مُلك أربابه إذا دعت لذلك ضرورة كأن يرى الإمام أنَّ العدوَّ يتربص بنا مرّةً ثانية للانقضاض علينا).

ثم قال: (ونحن نرجّح أنَّه يلزم قسمة المنقول اتِّباعًا لنصّ الآية ... ولذا لم نجعل لولي الأمر الخيار في القسمة أو عدمها، لعدم ورود أدلَّة على جواز ذلك كما هو الشأن في العقارات، إلّا أنّنا مع ذلك لا نرى حرَجًا على الإمام في أن يجتهد في المنقول كما رجّحنا ذلك في العقار، فينفِّذ أمرًا فيمضي عمله فيه لما يرى من المصالح العليا التي كثيرًا ما تصادف الحكّام في كلِّ زمان أخذًا بمبدأ المصالح المرسلة".

وبعد بحث وتنقيب عثَرنا على رأي الإمام الفزاريّ وهو من كبار علماء الشافعيّة وقد وافق رأيَهُ ما ذهبنا إليه فهو يقول: لا يلزم الإمام قسمة الغنائم العقاريّة والمنقولة ولا تخميسها وله أن يحرِم بعضَ الغانمين [1]، وقال: "وكأنَّ هذا الإمام لا يرى نسخَ آية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ بآية ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ كما ذهب إليه جمهور العلماء أو كما قال بعضهم: التحقيق أنّه لا نسخَ ولا تعارضَ بين الآيتين، وإنّما الآية الثانية مبيّنة لإجمال الأولى ومفسِّرة لها لا ناسخة، وعلى كلا الأمرين فالآية الأولى تفوِّض أمر قسمة الغنائم إلى وليِّ الأمر، وتكون الثانية إمّا ناسخةً للأولى أو مبيِّنة لها، والفزاريّ يرى ألاَّ نسخَ ولا تعارضَ، والبيان في الثانية لا يُلزِم الإمام)[2].

الردُّ على القول الثاني:

---

(١) فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين (هو شرح للمؤلف على كتابه هو المسمى قرة العين بمهمات الدين)، زين الدين أحمد بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي بن أحمد المعبري المليباري الهندي (المتوفى: ٩٨٧ هـ)، ن: دار بن حزم، ط: الأولى، (ص٦٠٧)، وقال رحمه الله: (لكن رده المصنف وغيره بأنه مخالف للإجماع.).

(٢) أثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ن: دار الفكر–دمشق، ط: ١، ت ن: ١٩٦٣، ص ٦١١.

وقد ردَّ على هذا القول عددٌ من الفقهاء:

- قال الإمامُ النوويّ: (ويزعم أنَّ العلماء اختلفوا فيها اختلافاً كثيراً مشهوراً وخفيّاً، وفعلت الأئمّة فيها أفعالاً مختلفةً، فقسم بعضهم المال والعقار، ووقف بعضهم العقار، وردَّه بعضهم على الكفَّار بخراج، وإنَّ الاختلاف فيه كبيرٌ مؤذِنٌ بأنَّ حُكمَ الغنيمة والفيءِ راجعٌ إلى رأي الإمام، يفعل فيه ما رآه مصلحةً...................... قلنا: هذه الجملةُ غلطٌ فاحش، وخطأٌ بيّن، وقائلها جسورٌ، هجّامٌ على خرق الإجماع؛ فإنَّ هذه الجملة مخالفةٌ لإجماع الأمّة الذي لا يحلُّ لمكلَّفٍ مخالفتُه، بل هي مخالفةٌ لنصِّ الكتاب والسنَّة وإجماع الأمّة، ويكفي في ردِّها منابذةُ قائلها جميعَ الأمّة من السلف والخلف، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ١١٥])[1].

- وقال ابن الملقن رحمه الله: (ومن العجائب ما ادَّعاه الشيخُ تاجُ الدِّينِ ابنُ الفِرْكَاحِ: مِن أنَّ حُكم الفيءِ والغنيمةِ راجعٌ إلى رأي الإمام يفعل فيه ما يراه مصلحةً)[2].

---

[1] مسألة وجوب تخميس الغنيمة وقسم باقيها، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، المحقق: عبد الرؤوف بن محمد بن أحمد الكمالي، ن: دار البشائر الإسلامية [ضمن سلسلة لقاء العشر الأواخر (١٢٥)]، ط: ١٤٣٠ هـ -٢٠٠٩ م، (٣٤/١).

[2] عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المعروف بـ «ابن النحوي» والمشهور بـ «ابن الملقن» (المتوفى: ٨٠٤ هـ)، ضبطه على أصوله وخرج حديثه وعلق عليه: عز الدين هشام بن عبد الكريم البدراني، ن: دار الكتاب، إربد – الأردن، ت ن: ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م، (١١٢٣/٣).

• وقال السيوطيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَغلِطَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ الْفَزَارِيّ[1]، فَقَالَ: إنَّ حُكْمَ الْفَيْءِ وَالْغَنِيمَةِ رَاجِعٌ إلَى رَأْيِ الْإِمَامِ يَفْعَلُ فِيهِ مَا يَرَاهُ مَصْلَحَةً، وَصَنَّفَ فِي ذَلِكَ كُرَّاسَةً سَمَّاهَا " الرُّخْصَةُ الْعَمِيمَةُ فِي أَحْكَامِ الْغَنِيمَةِ " وَانْتَدَبَ لَهُ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فِي كُرَّاسَةٍ أَجَادَ فِيهَا، وَالصَّوَابُ مَعَهُ قَطْعًا، وَقَدْ تَتَبَّعْتُ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَسَرَايَاهُ، فَكُلُّ مَا حَصَلَ فِيهِ غَنِيمَةٍ أَوْ فَيْءٍ قُسِمَ وَخُمِّسَ، وَكَذَلِكَ غَنَائِمُ بَدْرٍ)[2].

ويقول الشيخ محمَّد الأمين بن محمد المختار الشنقيطيّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى لردّ الجمهور في كتابه أضواء البيان (وَأُجِيبَ مِنْ جِهَةِ الْجُمْهُورِ عَنْ هَذِهِ الِاحْتِجَاجَاتِ: فَالْجَوَابُ عَنْ آيَةِ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ هُوَ مَا قَدَّمْنَا مِنْ أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ

---

[1] تاج الدين الفزاري: ٦٢٤- ٦٩٠ هـ- ١٢٢٧ – ١٢٩١م، عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء، الإمام العلامة مفتي الإسلام فقيه الشام تاج الدين أبو محمد الفزاري البدري، المصري الأصل، الدمشقي الشافعي، الفركاح، ولد في شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وستمائة، قال ابن أيبك الصفدي: تفقه في صغره على الشيخ عز الدين بن عبد السلام، والشيخ تقي الدين بن الصلاح، وبرع في المذهب وهو شاب، وجلس للإشغال وله بعض وعشرين سنة، ودرس في سنة ثمان وأربعين، وكتب في الفتاوى ... قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: وسمع البخاري من ابن الزبيدي، وسمع من ابن باسويه، وابن المنجا، وابن اللتي، ومكرم بن أبي طاهر، وابن الصلاح، والسخاوي، وتاج الدين بن حمويه، والزين أحمد بن عبد الملك، وخرج له البرزالي عشرة أجزاء صغار عن مائة نفس، وسمع منه ولده الشيخ برهان الدين، وابن تيمية، والمزي، والقاضي ابن صصرى، وكمال الدين بن الزملكاني، وابن العطار، وكمال الدين الشهبي، والمجد الصيرفي، وأبو الحسن الختمي، والشمس محمد بن رافع الرحبي، وعلاء الدين المقدسي، والشريف بن سيده، وزكي الدين زكريا، وتخرج به جماعة من القضاة والمدرسين والمفتيين، ودرس، وناظر، وصنف، وانتهت عليه رئاسة المذهب، كما انتهت إلى ولده، كان ممن بلغ رتبة الاجتهاد، ومحاسنة كثيرة، وكان يلثغ بالراء غينا، وكان لطيف اللحية، قصيراً، حلو الصورة، ظاهر الدم، مفركح الساقين بهما حتف ما، انتهى كلام الذهبي. (المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤ هـ)، ٧/١٥٥)

[2] الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، ن : دار الكتب العلمية، ط:١ ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م (ص٦٢).

وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ: ٤١]، وَنسَبَهُ الْقُرْطُبِيُّ لِجُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ، وَالْجَوَابُ عَمَّا وَقَعَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ مِنْ أَوْجُهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ زَعَمُوا أَنَّ مَكَّةَ لَمْ تُفْتَحْ عَنْوَةً، وَلَكِنَّ أَهْلَهَا أَخَذُوا الْأَمَانَ مِنْهُ ﷺ، وَمِمَّنْ قَالَ بِهَذَا الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَاسْتَدَلَّ قَائِلُو هَذَا الْقَوْلِ بِقَوْلِهِ ﷺ: (مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ)، وَهُوَ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِ، وَهَذَا الْخِلَافُ فِي مَكَّةَ هَلْ أَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ عَنْوَةً؟ وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ، أَوْ أَخَذَ لَهَا الْأَمَانَ؛ وَالْأَمَانُ شِبْهُ الصُّلْحِ، عَقَدَهُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الْبَدَوِيُّ الشِّنْقِيطِيُّ فِي مَغَازِيهِ بِقَوْلِهِ: فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ يَعْنِي مَكَّةَ، وَاخْتَلَفُوا فِيهَا فَقِيلَ أَمِنَتْ وَقِيلَ عَنْوَةً وَكَرْهًا أُخِذَتْ وَالْحَقُّ أَنَّهَا فُتِحَتْ عَنْوَةً كَمَا سَيَأْتِي تَحْقِيقُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَمِنْ أَظْهَرِ الْأَجْوِبَةِ عَمَّا وَقَعَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ، أَنَّ مَكَّةَ لَيْسَتْ كَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ ؛ لِأَنَّهَا حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لَهُ ﷺ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، وَمَا كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، فَلَيْسَ كَغَيْرِهِ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي لَيْسَتْ لَهَا هَذِهِ الْحُرْمَةُ الْعَظِيمَةُ.

وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي قِصَّةِ حُنَيْنٍ فَالْجَوَابُ عَنْهُ ظَاهِرٌ، وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَطَابَ نُفُوسَ الْغُزَاةِ عَنِ الْغَنِيمَةِ ؛ لِيُؤَلِّفَ بِهَا قُلُوبَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ لِأَجْلِ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا سَمِعَ أَنَّ بَعْضَ الْأَنْصَارِ قَالَ: يَمْنَعُنَا وَيُعْطِي قُرَيْشًا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، جَمَعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَلَّمَهُمْ كَلَامَهُ الْمَشْهُورَ الْبَالِغَ فِي الْحُسْنِ، وَمِنْ جُمْلَتِهِ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: (أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ)، إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ، فَرَضِيَ

الْقَوْمُ، وَطَابَتْ نُفُوسُهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِسْمًا وَحَظًّا، وَهَذَا ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِ، ......فَالْحَاصِلُ أَنَّ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ الْغَنِيمَةِ الَّتِي أَوْجَفَ الْجَيْشُ عَلَيْهَا الْخَيْلَ وَالرِّكَابَ لِلْغُزَاةِ الْغَانِمِينَ عَلَى التَّحْقِيقِ، الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ.

وَقَدْ عَلِمْتَ الْجَوَابَ عَنْ حُجَجِ الْمُخَالِفِينَ فِي ذَلِكَ؛ وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَقُولُ: لَا يَجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يُنَفِّلَ أَحَدًا شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَخْمَاسِ الْأَرْبَعَةِ؛ لِأَنَّهَا مِلْكٌ لِلْغَانِمِينَ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ.

وَذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ لِلْإِمَامِ أَنْ يُنَفِّلَ مِنْهَا بَعْضَ الشَّيْءِ بِاجْتِهَادِهِ، وَهُوَ أَظْهَرُ دَلِيلًا، وَسَيَأْتِي لَهُ زِيَادَةُ إِيضَاحٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى)[١].

❖ أقول وبالله أستعين:

ليس لي أن أقفَ بين هؤلاء العلماء العظام أو أن آخُذَ عليهم أو أن أردَّ، فما أنا إلا رملةٌ على شاطئ عِلمهم العظيم تبتَلُّ بماء علمهم وتتقلَّب بأمواج فَهمِهم، ولكنَّ الحقَّ أحقُّ أن يتَّبع وخصوصاً إن أثبتت التجربة والمشاهدة قوَّةَ قولٍ وصوابَه، وما ذلك إلّا لبيانَ فسادُ منعِ المجاهد من الغنيمة بشكل دائم واتِّخاذه منهجاً وسبيلاً، وذلك من وجوهٍ عشَرةٍ:

١- تِبيان قوّةِ أدلّة الفريق الأوّل وقوّة حجَّته، ونقل الكثير من فحول العلماء إجماع الأمّة على ذلك.

٢- لو استعرضنا غزواتِ النبيّ ﷺ من حيث المنعُ والقِسمة للغنائم، لوجدنا أنَّ المنع كان في معركتين فقط؛ الأولى في فتحِ مكّةَ وفيها خلاف كبير بين

---

[١] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ)، ن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ت ن: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ، (٢٨٣/١).

أهل العلم، والمعركة الثانية هي حنين وقد استطاب النبيُّ ﷺ قلوبَ مَن منعَهم وعوَّض مَن لم يتنازلْ عن حقِّه، فهل الأصل هو القسمة أو المنع عند النبيّ ﷺ؟

٣- لو سلَّمنا جدَلاً أنّ في المنع مصلحةً غالبة في وقتنا وزماننا وأنَّ الرأي الأصحَّ والقول الراجح هو المذهب الثاني، فهل منع النبي ﷺ ومن خلفه من الخلفاء الراشدين والخلافة العبّاسيّة والأمويّة السلَبَ[١] الذي صار مفقوداً وحكماً مَنسيّاً مجهولاً إلّا فيما ندر في جماعتنا المجاهدة.

٤- إنّ ما نراه من أقوال المذهب الثاني ما عدا رأيي شيخِ الإسلام وتلميذِه ابن القيِّم ¨ تعالى، يدور في فلَك التصرُّف المحدود للأمير في الغنيمة فيزيد أقواماً وينقص أقواماً وليس المنع بشكل كامل.

٥- إنَّ رأي شيخ الإسلام وابن القيِّم ¨ تعالى ليس فيه دليل بالمنع على وجه الاستمرار والديمومة ولم ينصُّوا على أنَّ المصلحة متحقِّقة في المنع وعدم القسمة فقط، وهذا ما وقع به الكثير من الفصائل المجاهدة.

٦- إنَّ المتمعِّن في قول شيخ الإسلام يجد أمرَين مهمَّين لهذا الرأي؛ الأوّل المصلحة والثاني أن يكون الإمام إمامَ عدلٍ، وهما مفقودان عند الكثير من الأمراء.

---

(١) السَّلَبُ: هُوَ مَا يَكُونُ مَعَ القَتِيلِ الحَرَبِيِّ مِنْ مَلَابِسَ وَسِلَاحٍ وَعَتَادٍ فَرْدِيٍّ مُعْتَادٍ لَا يَخْرُجُ عَنْ المَعْهُودِ.
وَذَهَبَ الشَافِعِيَّةُ، وَالحَنَابِلَةُ فِي قَوْلٍ إِلَى أَنَّ المُسْلِمَ إِذَا قَتَلَ الكَافِرَ الحَرْبِيَّ مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ فَلَهُ سَلَبُهُ، قَالَ ذَلِكَ الإِمَامُ أَوْ لَمْ يَقُلْ. وَذَهَبَ الأَحْنَافُ وَالمَالِكِيَّةُ، وَالحَنَابِلَةُ فِي قَوْلٍ إِلَى أَنَّ السَّلَبَ يَرْتَبِطُ بِإِذْنِ الإِمَامِ.

٧- إنَّ المتمعِّن بقول ابن القيّم رحمه الله تعالى: (فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ فِي الْحِرْمَانِ مَفْسَدَةٌ، فَالْمَفْسَدَةُ الْمُتَوَقَّعَةُ مِنْ فَوَاتِ تَأْلِيفِ هَذَا الْعَدُوِّ أَعْظَمُ، وَمَبْنَى الشَّرِيعَةِ عَلَى دَفْعِ أَعْلَى الْمَفْسَدَتَيْنِ بِاحْتِمَالِ أَدْنَاهُمَا، وَتَحْصِيلِ أَكْمَلِ الْمَصْلَحَتَيْنِ بِتَفْوِيتِ أَدْنَاهُمَا، بَلْ بِنَاءُ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ عَلَى هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ)، يجد مناط الحكم عنده دفع أعلى المفسدتين والأخذ بأقلِّ الشرَّين، وسياسة المنع في زماننا تتنافى مع هذه القاعدة، فلم نرَ مفسدة وفتنة للمجاهدين وصدّاً لهم عن سبيل الله تعالى وانفراط عقد الكثير من الجماعات مثل المنع والحرمان من حقِّهم في الغنيمة.

وقد ترى قائلاً يقول محتجّاً لسياسة المنع: إنَّ في القسمة ضرراً للجهاد، وهو من أسباب توقُّفه وعدم استمراره، وهذه حجَّة واهية ما عادت تقنع الكثير في طريق الجهاد وما ذلك إلّا لأمرين:

الأوّل: أنَّ العمودَ الفقْريَّ للجهاد هو المجاهدون فإن سقطوا وتفرَّقوا انحلَّ هذا الجسد وسقط، فإنَّ غِنى المجاهد أمان للجهاد واستمرارِه، وخصوصاً إن كان من أسباب هذا الغِنى والكفاية هو هذا الطريق.

الثاني: هو التجربة والمشاهدة والاستقراء فقد كان السبب في تركِ الكثيرِ الجهادَ و تركِهم لفصيلهم المنعُ لا القِسمة، فما نفع ادِّخار المال وخسارة المجاهد.

ناهيك عن أنَّ سياسة المنع قد أحدثت شرخاً كبيراً بين القائد وجنده، وأورثت في عقل الجنديِّ الشكَّ والريبة تجاه مرؤوسه وفي قلبه الحزن والألم لعدم الدراية بحاله وما يمرُّ به من ضنكِ المعيشة.

٨- إنَّ ممّا استقرَّ عليه أهل العلم هو قاعدة (لَا يُنكَر تغيُّرُ الْأَحْكَامِ بِتَغَيُّر الْأَزْمَان)، فإنّ تغيُّر الأوضاع والأعراف والأحوال الزّمنيّة له تأثير كبير في كثير من الأحكام الشّرعيّة الاجتهاديّة؛ لأنّ ما كان من الأحكام الشّرعيّة مبنيّاً على عُرف النّاس وعاداتهم، أو على مصلحة من المصالح، أو وضع خاصٍّ من الأوضاع فإنّ هذه الأحكام تكون قابلة لتغيير كيفيّة العمل بمقتضى الحكم بسبب اختلاف العادة أو المصلحة، أو الوضع عن الزّمن السّابق، أمّا أصل الحكم الثّابت بالنَّصِّ فلا يقبل التّغيير بحال[١]، ومن تلك الأمثلة حكم ضوالِّ الإبل؛ فقد كانت زَمَانَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِبِلًا مُؤَبَّلَةً تَنَاتَجُ لَا يَمَسُّهَا أَحَدٌ، حَتَّى إِذَا كَانَ زَمَانُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، أَمَرَ بِتَعْرِيفِهَا، ثُمَّ تُبَاعُ، فَإِذَا جَاءَ صَاحِبُهَا أُعْطِيَ ثَمَنَهَا "[٢]، وقد كان توجيه النبيِّ ﷺ بترك ضوالِّ الإبل حتَّى يأتيَ صاحبُها فيأخذها، (مَالَكَ وَلَهَا مَعَهَا حِذَاؤُهَا وَسِقَاؤُهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا)[٣]، وما كان من سيّدنا عثمان رضي الله عنه بتغيير الحكم الذي كان من زمن رسول الله ﷺ وصاحبَيه رضي الله عنهما إلّا بتغير ذمم الناس ومدِّ أيديهم إلى ضوالِّ الإبل، فكيف الحال بزماننا وقد ضعفت نفوس القادة والأمراء بخلاف أزمان السلف رحمهم الله،

---

(١) مُوْسُوعَة القَواعِدُ الفِقْهِيَّة، محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، ن: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣ م، (١١/١١٠٠).

(٢) موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩ هـ)، برقم (٥١)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ت ن: ١٤٠٦ هـ-١٩٨٥ م، (٢/٧٥٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، برقم (٦١١٢)، (٢/٩٥٧).

فاختص القادة أنفسهم بالمغنم وحرَموا منها المجاهد، بأساليبَ وأشكال وحجج واهية لم تعد تنطلي على أصغر المجاهدين سنّاً وأقلِّهم علماً.

٩- إنَّ قياس حال المجاهدين اليوم بحال المرتزقة في ديوان الجند قياسٌ فاسد أو قياس مع الفارق من وجوه عدَّة؛ أهمُّها:

أ- أنَّ المرتزق في ذلك الزمن قد كفي جميع مؤنته والراتب الشهري والتعويض عن أيِّ ضرر يلحق به أو بماله جرّاء جهاده، إضافة إلى كفالة أهله وعياله بعد استشهاده ووفاته، فأين هذا الأمر من جماعتنا الجهاديّة اليوم عِلماً أنّي قد خالطت الكثير من الجماعات وسمعنا وشاهدنا أحوالهم عن كثَب، فالراتب الشهري معدوم وإن وُجِد فهو لا يكفي لأن يعيل المجاهد لأقلِّ من أسبوع، وللأسف لا تجد -إلّا فيما ندر- تعويض المجاهد لما يحلُّ به من ضرر، فأين جماعاتنا الجهاديّةُ اليوم من كفالة ذوي الشهداء والمصابين -إلّا في النادر القليل- يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (إنَّ النظر في الجند المقاتلةِ والتعديل بينهم وزيادة من يستحقُّ الزيادة، ونقصان من يستحقُّ النقصان، وإعطاء العاجز عن الجهاد من جهة أخرى هو من أحسن أفعالِ ولاةِ الأمور وأوجبها)[١].

ب- أنَّ المرتزق في ديوان الجند قد كفي موضوع عتاده الحربي وأنَّ الكثير من مجاهدي الجماعات، يقاتل بسلاحه الشخصيِّ والفرديِّ، عِلماً أنَّ ذلك

---

[١] السياسة الشرعية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، ن: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد -المملكة العربية السعودية، ط١: ١٤١٨ هـ (٣٢٦/٤).

ليس بحجَّة لمنع الغنيمة، فكم من الجيوش قد جهَّزها النبيُّ ﷺ عُدَّة وعتاداً للمسلمين كجيش العسرة فهل كان هذا مانعاً للغنيمة؟ وكذلك كان الحال في الخلافة الراشدة والأمويّة والعبّاسيّة، يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "وما زالت الغنائم تقسم بين الغانمين في دولة بني أميّة ودولة بني العبّاس لمّا كان المسلمون يغزون الروم والترك والبربر"[١].

ت- ذهب العلماء في الراجح أنّ المرتزق يعطَى من مال الزكاة إن لم يكفِه ما خُصِّص له من بيت المال، وللإمام إشراكُه في قسمة الغنيمة، ومجاهدونا اليوم محرومون أقلَّ القليل ممّا يسدُّ حاجتهم.

١٠- إنَّ تشبيه الجماعات الجهاديَّة بالدول وتطبيق نظُمِها في قيادة الجيوش وجعل ذلك ذريعةً في المنع وأنّها من المصالحِ المُرسَلة، قياس مع الفارق لا مكانَ لذكرهِ في هذا المقام عِلماً: (أنَّ قوانين غالبيّة الدول تمنح الجنديَّ الذي أخذ الغنيمة نصيباً منها تشجيعاً له)[٢]، بل إنَّ أقوى جيوش العالم في نظامها العسكري تجعل للمقاتل نصيباً في الغنيمة وله السلَب حفاظاً على حماسته واستئساده في القتال، ناهيك عن الكفالة له بشكل كامل من الأجر والتعويضات.

١١- ومنهم من احتجَّ أنَّ الأموال المغنومة في هذا العصر، كالصواريخ والدبّابات يصعب على الفرد أن يمتلكها ويتعذَّر على الدولة أن تملِّكَها لأفراد قوّاتها المسلَّحة، ولا تعدُّ هذه مشكلة البتّةَ فيمكن تحديد قيمة لكلِّ عتاد

---

[١] الفتاوى الكبرى (٣٢٣/٤).

[٢] أثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، الدكتور وهبة الزحيلي، ن: دار الفكر دمشق، ط١: ١٩٦٣ (ص ٦٣٥).

يعطَى للمقاتل بدلَ السلاح، ومن المعلوم إن تعذّرَ تسليمُ العين فيُلجأ إلى القيمة.

المسألة الثانية: مكان تقسيم الغنائم[1]:

اختلف الفقهاء في حُكمِ تقسيم الغنائم في دار الكفر الحربيّة إلى قولين:

القول الأوّل: لا يجوز قسمة الغنائم في دار الحرب.

وهو قول فقهاء الحنفيّة ما عدا محمَّدَ بنَ الحسن–فإنّه قال: تُكرَه القسمة، لكنَّ الأفضل عنده ألّا تقسم الغنيمة إلّا في دار الإسلام، ولا تقسم في دار الحرب.

وقال أبو يوسف: "إن قُسِمت في دار الحرب جاز، وأحبُّ إليَّ أن تقسم في دار الإسلام. وهو رواية عند الحنابلة[2]"

وقال الإمام أبو حنيفة: "إذا غنم جند من المسلمين غنيمة في أرض العدوِّ من المشركين فلا يقتسمونها حتى يخرجوها إلى دار الإسلام ويحرزوها"[3]

القول الثاني: يجوز قسمة الغنائم في دار الحرب بل يُستحبُّ.

وهو مرويٌّ عن الأوزاعي وأبي ثور.

وهو قول جمهور الفقهاء المالكيّة، والشافعيّة، والحنابلة في الصحيح من المذهب، والظاهريّة.[4]

---

[1] وقد ذكرت هذه المسألة تعزيزاً لمذهب الأول في المسألة السابقة، ويتجلى ذلك من خلال كلام الفقهاء في هذه المسألة.

[2] انظر: المبسوط ١٠/١٧–١٨، وتبيين الحقائق ١٢٥٠/٣، ومختصر الطحاوي ص٢٨٢، والجوهرة النيرة ٣٦٦/٢، والبحر الرائق ٩١/٥، وفتح القدير ٢٢٤/٥–٢٢٥، وبدائع الصنائع ١٢١/٧، والخراج ص ١٧٦، والاختيار ١٢٦/٤، ومجمع الأنهر ١/ ٦٤١، والإنصاف ٤/ ١٦٣.

[3] انظر: الرد على سير الأوزاعي ص ٥.

[4] الرد على سير الأوزاعي ص٥، والمدونة ٣/ ١٢، وحاشية الدسوقي ٢/ ١٧٩، والمنتقى على الموطأ ٣/ ١٧٦، والشرح الكبير للدردير ٢/ ١٧٩، وحاشية العدوى ٩/٢، وقوانين الأحكام الشرعية ص ١٦٦، والأم ٣٠٢/٧، والمهذب ٣١٣/٢، ومغنى المحتاج ١٠١/٣، والأحكام السلطانية للماوردي ص١٣٩، ورحمة الأمة ص٢٩٧، والمغني ٤٢١/٨، ٤٤٧،

قال الإمام ابن حزم الظاهريّ: "تعجيل القسمة أولى فإنَّ مَطلَ ذي الحقّ لحقِّه ظلمٌ وتعجيل إعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه فرضٌ"[1]

عَنْ ابن عُمَرَ ﵁ أَنَّهُ قَالَ: قال عمر بن الخطّاب ﵁ ": لَوْلَا آخِرُ الْمُسْلِمِينَ، مَا فَتَحْتُ قَرْيَةً إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ أَهْلِهَا كَمَا قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْبَرَ. "[2].

وقال الإمام الأوزاعيُّ: "لم يقفلْ رسول الله ﷺ من غزوةٍ أصاب فيها مَغنماً إلّا خمَّسَه وقسمه قبل أن يقفل"[3].

وقال الإمام الشافعيُّ: "ما علمت للرسول ﷺ سريّةً قفلت من موضعها حتَّى تقسم ما ظهرت عليه وقال: إنَّ أهل المغازي لا يختلفون في أنّ رسول الله ﷺ قسم غيرَ مغنمٍ في بلاد الحرب"[4].

وقال الإمام الباجّيُّ: "لم يزَلِ الناس مِن لدُنِ النبيّ ﷺ إلى زمن عمر وعثمان والخلفاء كلِّهم وجيوشهم في البرِّ والبحر ما قسموا غنيمة قطُّ إلّا حيث غنِمُوها وهذا معروف عند أهل السيَر والمغازي"[5].

وقال الخرشيّ: "السنَّة الماضية التي فعلها النبيُّ ﷺ والعمل الذي مضى عليه السلف أنَّ الإمام يقسم الغنيمة في أرض العدوِ"[6].

والإنصاف ٤/ ١٦٣، والمبدع ٣/ ٣٥٨، وكشاف القناع ٣/ ٨٢، والمقنع بحاشيته ٥٠١/١، والإفصاح ٤٣٤/٢، والأحكام السلطانية لأبي يعلي ص ١٥٠، والمحلى ٣٤١/٧.

[1] المحلى ٧/ ٣٤٢.

[2] رواه البخاري برقم (١٠٧٩)، كتاب الجهاد باب الغنيمة لمن شهد الوقعة، (١٩٣/٢).

[3] الرد على سير الأوزاعي ص ١، والأم ٣٣٥/٧.

[4] الأم ٣٣٥/٧.

[5] المنتقى شرح الموطأ ١٧٦/٣.

[6] الخرشي شرح مختصر خليل ١٣٦/٣.

قال الإمام النوويُّ: "يُستحَبُّ قسمتها في دار الحرب ويُكرَه تأخيرها إلى دار الإسلام من غير عُذر "[1].

❖ الخلاصة وزبدة القول المراد الوصول إليه:

بعد سردٍ لمَا سبقَ أودُّ إيصالَ حلٍّ يكون فيه ردمُ الهوَّة العميقةِ بين القائد وجنده بسبب هذا الأمر من جهة، ومن جهة أخرى أن تترك متَّسَعاَ وفُسحةً لقيادة الجماعات الإسلامية في قيادة عجلة الجهاد فيما هو الأصلح.

والحلُّ بسيط جدّاً والله أعلم من خلال أمرَين:

١- عدم انتهاج سياسة المنع المطلقة ولا سياسة القسمة الدائمة، ولكن مرَّةً ومرَّة بحسب الحاجات والإمكانات والمعطَيات والتبيُّن بشفافيّة سبب المنع إن تمَّ تطبيقُه، مع تغليب سياسة القسمة على المنع كما كان منهج النبيّ ﷺ.

٢- الإبقاء على سياسة إعطاء السلب والتنفيل[2] للمقاتلين وعدم تعطيلها أبداً حتَّى وإن انتهجت الجماعة سياسة منع الغنائم في وقتٍ ما، وإنَّ الناظر

---

[1] روضة الطالبين ٦/٣٧٦.

[2] التَّنْفِيلُ هُو النَّفْلُ، وَهُوَ لُغَةً مَا كَانَ زِيَادَةً عَلَى الأصْلِ، أمَّا اصْطِلَاحًا، فَيقُولُ النَّوَوِيُّ فِي «رَوْضَةُ الطَّالِبِينَ» (٦/٣٦٨): «وَهُوَ زِيَادَةُ مَالٍ عَلَى سَهْمِ الْغَنِيمَةِ، يَشْرُطُهُ الْإِمَامُ أَوْ أَمِيرُ الْجَيْشِ لِمَنْ يَقُومُ بِمَا فِيهِ نِكَايَةٌ زَائِدَةٌ فِي الْعَدُوِّ، أَوْ تَوَقُّعُ ظَفَرٍ، أَوْ دَفْعُ شَرٍّ، وَذَلِكَ كَالتَّقَدُّمِ عَلَى طَلِيعَةٍ، أَوِ التَّهَجُّمِ عَلَى قَلْعَةٍ، أَوِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهَا، وَكَحِفْظِ مَكْمَنٍ، وَتَجَسُّسِ حَالٍ وَشِبْهِهَا».
وَجَاءَ فِي الْمَوْسُوعَةِ الفِقْهِيَّةِ الكُوَيْتِيَّةِ (١٤/٧٥) «أَنَّ لِلتَّنْفِيلِ صُوَرٌ ثَلَاثٌ:
- إِحْدَاهَا: أَنْ يَبْعَثَ الإِمَامُ أَمَامَ الْجَيْشِ سَرِيَّةً تُغِيرُ عَلَى الْعَدُوِّ، وَيَجْعَل لَهُمْ شَيْئًا مِمَّا يَغْنَمُونَ، كَالرُّبُعِ أَوِ الثُّلُثِ.
- ثَانِيَتُهَا: أَنْ يُنَفِّلِ الإِمَامُ أَوِ الأَمِيرُ بَعْضَ أَفْرَادِ الْجَيْشِ لِمَا أَبْدَاهُ فِي الْقِتَالِ مِنْ شَجَاعَةٍ وَإِقْدَامٍ، أَوْ أَيِّ عَمَلٍ مُفِيدٍ فَاقَ بِهِ غَيْرَهُ مِنْ غَيْرِ سَبْقِ شَرْطٍ.
- ثَالِثَتُهَا: أَنْ يَقُولَ الإِمَامُ: مَنْ قَامَ بِعَمَلٍ مُعَيَّنٍ فَلَهُ كَذَا كَهَدْمِ سُورٍ أَوْ نَقْبِ جِدَارٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَكُل هَذِهِ الصُّوَرِ جَائِزَةٌ عِنْدَ جُمْهُورِ الْفُقَهَاءِ».

والمتفقِّهَ بفنِّ الحرب والقتال يعرف الدور العظيم لإبقاء السلَبِ والنفل[1]، علماً أنَّ السلَب لم يُمنَع من النبيِّ ﷺ ومَن بعدَه من الخلافة الإسلاميّة إلّا في حوادثَ خاصّة لا عامَّة.

❖ للذكرى والتاريخ:

كم خسرنا من عتاد وعدَّة في شام رسول الله ﷺ في دمشق ودرعا وحمص وحلب وغيرها[2] من المناطق وصارت بيد أعدائنا بسبب سياسة المخزون الإستراتيجي غير المضبوط بضوابط الشرع، ألم يكن من الخير لو قسمت تلك الغنائم بحقِّها فكان إخفاؤها أو تدميرُها أو تهريبها أسهلَ وأنفعَ للمسلمين؟ أليس تحميلُ سياسةِ المخزون الإستراتيجيِّ من خلال التوزيع العادل أفضلَ من أن تتحمَّلَها القيادة وتعجِزَ أو تفشل عن تحقيق ذلك؟

ولتَعلم جماعتُنا أنَّ العنصر البشريَّ المجاهد أندرُ وأنفسُ وأغلى من أيِّ شيء، فبه يكون الدفع والصيال ولا نفعَ من دونه لمالٍ أو سِنان.

---

[1] وَيَقُولُ «صن تزو» فِي «فَنُّ الحَرْبِ» (ص٣١): «لِقِتَالِ العَدُوِّ لَا بُدَّ مِنْ إِثَارَةِ غَضَبِ الجُنُودِ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَوْضِيحِ مَزَايَا الانْتِصَارِ عَلَى العَدُوِّ، لَا بُدَّ أَنْ يَحْصُلُوا عَلَى مُكَافَآتِهِمْ»، وَيَقُولُ: «يَجِبُ مُكَافَأَةُ أَوَّلُ مَنْ اسْتَوْلَى عَلَى العَرَبَةِ»، وَيَقُولُ (ص١١٢-١١٣): «امْنَحْ المُكَافَآتِ دُونَ الاعْتِدَادِ بِالقَوَاعِدِ المُنَظّمَةِ لِذَلِكَ، كَافِيء الشَّجَاعَةَ بِسَخَاءٍ، وَعَاقِبْ الجُبْنَ وَالفِرَارَ... وَبِذَلِكَ سَتَتَمَكَّنُ مِنْ التَّعَامُلِ مَعَ الجَيْشِ بِأَكْمَلِهِ كَمَا لَوْ كُنْتَ تَتَعَامَلُ مَعَ جُنْدِيٍّ وَاحِدٍ».

[2] وهذا الأمر يتذكره الكثير وبألم عارم، فكم وكم استفاد العدو الكافر من مخزون الأسلحة والذخائر التي كانت لترهق العدو لولا هذه السياسة، بعد كل حصار مطبق على هذه المدن وقبل ترحيلهم بالباصات الخضر.

البَابُ الخَامِسُ عَشَرَ

حربُ النَّصارَى

غزوةُ مُؤتة (جمادى الأولى سنة ٨ هـ):

عدد جيش المسلمين	عدد جيش الكفار
٣ آلاف بقيادة زيد بن حارثة	مئة ألف من الروم بقيادة هرقل قيصر الروم ومثلها من القبائل الموالية بقيادة شرحبيل بن عمرو الغساني
قتلى المسلمين ١٢ رجلاً	قتلى الكفّار لم يحدَّد (ولكنَّ شدَّة الوطيس تشير إلى أعداد كبيرة في صفوفهم)



❖ أوّلاً–أسبابُها:

١– **السبب غير المباشر:**

- إساءة الحارث بن أبي شمّر الغسّاني حاكم دمشق في استقبال مبعوث رسول الله ﷺ وتهديده بإعلان الحرب على المدينة.
- مَقْتَلُ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ المسلمين بِقيَادةِ كَعْب بْنَ عُمَيْرٍ الْغِفَارِيّ لمّا ابتعثهم النبيُّ ﷺ لذَاتِ أَطْلَاحٍ مِنْ أَرْضِ الشّامِ بعدما دَعَوْهُمْ إلَى الْإِسْلَامِ بعد قتال شديد جرى بينهم، و حدث بعد ذلك بما يزيد عن العام.
- قيام بعض نصارى الشام بزعامة الإمبراطوريّة الرومانيّة بالاعتداءات على من يعتنق الإسلام أو يفكّر بذلك، فقد قتلوا واليَ مَعَانَ حين أسلَم، وقتَل والي الشام من أسلم من عرب الشام.

٢– **السبب المباشر:** لمَّا بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزديّ إلَى مَلِكِ بُصْرَى بِكِتَابٍ ونَزَلَ مُؤْتَةَ عَرَضَ لَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْغَسّانِيّ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الشّامَ. قَالَ: لَعَلّك مِنْ رُسُلِ مُحَمّدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ. فَأَمَرَ بِهِ فَأُوثِقَ رِبَاطًا، ثُمّ قَدّمَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ صَبْرًا. وَلَمْ يُقْتَلْ لِرَسُولِ الله ﷺ رَسُولٌ غَيْرُهُ.

❖ هدف الغزوة:

١– تأديب عرب الشام الغادرين التابعين للدولة الرومانية والقبائل المتاخمة للشام والذين دأبوا على استفزاز المسلمين وتحدِّيهم وارتكاب الجرائم ضدَّ دعاتهم أصبح هدفًا مهمًّا.

٢– فرض هيبة الدولة الإسلاميّة في تلك المناطق بحيث لا تتكرَّر مثل هذه الجرائم في المستقبل، وبحيث يأمن الدعاة المسلمون على أنفسهم ويأمن

التجّار المتردِّدون بين الشام والمدينة من كلِّ أذًى يحول دون وصول السلع الضروريّة إلى المدينة.

٣- استطلاع قوّة وكفاية قبائل الحدود المتاخمة لأرض الشام، وقوّة وكفاية الروم أيضاً، وطبيعة الأرض هناك.

❖ حشد القوّات المقاتلة :

نَدَبَ النبيُّ ﷺ المسلمين وحثَّهم على القتال، وَأثار غضبهم وأَخْبَرَهُمْ بِمَقْتَلِ أخيهم الْحَارِثِ، وَبِمَنْ قَتَلَهُ، فَأَسْرَعَ النّاسُ ولبَّوا نداء رسول الله ﷺ حتّى بلغوا ثلاثة آلاف مقاتل، ثم تجمَّعت القوّات وعسكرت بِالْجَرْفِ.

❖ تنظيم الجيش:

١- **اختيار قائد الغزوة:**

أمر رسول الله ﷺ على هذا البعث زيدَ بنَ حارثةَ، وعقد لهم لواءً أبيضَ ودفعه إليه.

٢- **وضع أمراءَ احتياطيّين:**

وقد وضع النبيُّ ﷺ أمراءَ احتياطيّين تحسُّباً، إن اسْتِشْهَدَ أحَدٌ مِنَ الأمَرَاءِ خِلَالَ المَعْرَكَةِ فإنَّ القيَادَةَ المُؤَهَّلَةَ وَالمُسْتَحَقَّةَ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ أنْ تَجْعَلَ بَدَائِلَ لِلخُطَطِ وَلِلأفْرَادِ عَلَى اخْتِلَافِ تَخَصُّصاتِهِم.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَمَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ».[1]

---

[1]() رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٤٢٦١) كِتَابُ المَغَازِي- بَابُ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ مِنْ أَرْضِ الشَّأْمِ.

وما منع النبيّ ﷺ على وضع أمراءَ احتياطيّين أكثر من ذلك، وعدم تكرار هذا الأمر في غيرها من الغزوات ما رواه البيهقي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَاءَ النُّعْمَانُ بْنُ مَهْصٍ الْيَهُودِيُّ فَوَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ النَّاسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَمِيرُ النَّاسِ، فَإِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَإِنْ قُتِلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلْيَرْتَضِ الْمُسْلِمُونَ بَيْنَهُمْ رَجُلًا فَلْيَجْعَلُوهُ عَلَيْهِمْ» . فَقَالَ النُّعْمَانُ: أَبَا الْقَاسِمِ، إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَسَمَّيْتَ مَنْ سَمَّيْتَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا أُصِيبُوا جَمِيعًا، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا اسْتَعْمَلُوا الرَّجُلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالُوا: إِنْ أُصِيبَ فُلَانٌ فَفُلَانٌ، فَلَوْ سَمَّوْا مِائَةً أُصِيبُوا جَمِيعًا. ثُمَّ جَعَلَ الْيَهُودِيُّ يَقُولُ لِزَيْدٍ: اعْهَدْ فَلَا تَرْجِعْ إِلَى مُحَمَّدٍ أَبَدًا إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا.

٣- الوصايا والتوجيهات النبويّة للقوّات:

عَن سُلَيْمَانَ بن بُرَيْدَةَ عَن أَبِيه قَالَ: كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذا أَمَّر أَمِيراً على جيشٍ أَو سريّةٍ أوصاه فِي خاصّته بتقوى الله، وَمن مَعَه من الْمُسلمين خيراً، ثمَّ قَالَ: " اغزوا باسم الله فِي سَبِيل الله، قَاتلُوا من كفر بِاللَّه، اغزوا فَلَا تغلُّوا وَلَا تغدروا وَلَا تمثِّلوا، وَلَا تقتلُوا وليداً، وَإِذا لقِيت عَدوَّك من الْمُشْركين فادعهم إِلَى ثَلَاث خِصَال - أَو خلال - فأيَّتهنَّ مَا أجابوك فَاقبلْ مِنْهُم وكفَّ عَنْهُم، ثمَّ ادعُهم إِلَى التَّحَوُّل عَن دَارهم إِلَى دَار الْمُهَاجِرين، وَأَخْبِرهمْ أَنّهم إِن فعلوا ذَلِك فَلهم مَا للمهاجرين وَعَلَيْهِم مَا على الْمُهَاجِرين، فَإِن أَبَوا أَن يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبرهُم أَنَّهم يكونُونَ كأعراب الْمُسلمين، يجْرِي عَلَيْهِم حكم الله الَّذِي يجْرِي على الْمُؤمنِينَ، وَلَا يكون لَهُم فِي الْغَنِيمَة والفيء شَيْء، إِلَّا أَن يجاهدوا مَعَ الْمُسلمين، فَإِن هم أَبَوا فسلهم الْجِزْيَة، فَإِن هم أجابوك فاقبل مِنْهُم، وكفَّ عَنْهُم، فَإِن هم أَبَوا فَاسْتَعِنْ بِاللَّه عَلَيْهِم وَقَاتِلهمْ. وَإِذا حاصرت

أهلَ حصنٍ فأرادوك أَن تجْعَل لَهُم ذِمَّة الله وَذمَّة نبيِّه ﷺ، فَلَا تجْعَل لَهُم ذمَّة الله وَلَا ذمَّة نبيِّه، وَلَكِن اجْعَل لَهُم ذِمَّتك وَذمَّة أَصْحَابك، فَإِنَّكُم إِن تخفِروا ذِمَمكم وَذمَّة أصحابكم أَهْون من أَن تخفروا ذمَّة الله وَذمَّة رَسُوله.
وَإِذا حاصرتَ أهل حصن فأرادوك أَن تنزِلَهم على حكم الله فَلَا تنزِلْهم على حكم الله، وَلَكِن أنزلهم على حكمك، فَإنَّك لَا تَدْرِي أتصيب حكم الله فيهم أَو لَا ". رواه مسلم.

خامساً–بدء المسير:

قال ابن إسحاق: فلمّا حضر خروجهم ودّع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه و سلم وسلّموا عليهم، فلما ودّع عبد الله بن رواحة مع من ودع بكى، فقالوا: ما يبكيك يا بن رواحة فقال : أما و الله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم، و لكنّي سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [سُورَةُ مَرْيَمَ :٧١]، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود ؟ ! فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم وردّكم إلينا صالحين

فقال عبد الله بن رواحة:

لكنّني أسأل الرحمنَ مغفرةً *** وضربةً ذاتَ فرغٍ تقذفُ الزبَدا

أو طعنةً بيدَي حرّان مجهزةً*** بحربةٍ تنفذُ الأحشاءَ والكبدا

حتّى يقالَ إذا مرُّوا على جدَثي***أرشدَهُ اللهُ من غازٍ وقد رشَدا

قال ابن إسحاق: ثمَّ إنَّ القوم تهيَّؤوا للخروج، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ فودَّعه ثمَّ قال:

فثبَّتَ اللهُ ما آتاكَ من حسنٍ***تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نصروا

أنتَ الرسولُ، فمن يحرَمْ نوافلَهُ***والوجهُ منه فقد أزرى به القدَرُ

❖ سادساً–سير الأحداث:

١.قبل المعركة:

أ– **قوّات الاستطلاع:** لَمّا فَصلَ الْمُسْلِمُونَ ونَزَلُوا أَرْضَ مَعَانٍ مِنْ أَرْضِ الشّامِ، قَدِمَتْ فِرَقُ الاستطلاع تُفيدُ بِأَنّ هِرَقْلَ قَدْ نَزَلَ مَآبَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ فِي بَهْرَاءَ وَوَائِلٍ وَبَكْرٍ وَلَخْمٍ وَجُذَامَ فِي مِئَةِ أَلْفٍ، عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ بَلِيّ يُقَالُ لَهُ مَالِكٌ.

ب– **الشورى:** بَعْدَمَا بَلَغَ قِيَادَةَ الْمُسْلِمِينَ المعلوماتُ من فرق الاستطلاع، أَقَامُوا لَيْلَتَيْنِ لِيَنْظُرُوا فِي أَمْرِهِمْ وَقَالُوا: نَكْتُبُ إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنُخْبِرُهُ الْخَبَرَ، فَإِمّا يَرُدّنَا وَإِمّا يَزِيدُنَا رِجَالًا. فَبَيْنَا النّاسُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ جَاءَهُمْ ابْنُ رَوَاحَةَ فَشَجّعَهُمْ ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ يَا قَوْمُ، إنَّ الَّذِي تَكْرَهُونَ لَلَّذِي خَرَجْتُمْ لَهُ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ، وَمَا نُقَاتِلُ الْعَدُوَّ بِعُدَّةٍ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ، مَا نُقَاتِلُهُمْ إلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللهُ بِهِ، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ: إمَّا ظُهُورٌ وَإِمَّا شَهَادَةٌ، قَالَ: فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ وَاللهِ صَدَقَ ابْنُ رَوَاحَةَ، فَمَضَى النَّاسُ"[١].

وروى الطبرانيّ في الكبير أنّه قال: يا قومِ! واللهِ إنّ الذي تكرهون لَلّذي خرجتُم له تطلبون الشهادةَ، وما نقاتلُ الناسَ بعددٍ ولا قوّةٍ ولا كثرةٍ، وإنّما نقاتلُهم بهذا الدّينِ الذي أكرمَنا اللهُ به، فانطلِقوا فإنّما هي إحدى الحُسنَيَيْنِ: إمّا ظهورٌ، وإمّا شهادةٌ[٢].

---

[١] رواه أبو نعيم في الحلية.

[٢] ٣٧٧/١٤

٢. القتال:

نزل جيش المسلمين في قرية مشارف[١] ، وكان فيها التماسُّ الأول، وبعد المعاينة والاستطلاع للأرض رأوا أن منطقة قرية (مؤتة) – بين الكرك والطفيلة– متناسبة أكثر مع معطيات المعركة من حيث العدّةُ والعتاد لقوّاتهم، وذلك لوجود العوارض الطبيعية التي يستطيعون التحصُّنَ بها.

واصطفَّ الجيشان، فأخذ الراية زيدُ بنُ حارثة حِبُّ رسول الله ﷺ وجعل يقاتل قتال الأسُود، حتَّى لقيَ الله تعالى، ثمَّ أخذ الرايةَ جعفر بن أبي طالب، وطفق يقاتل قتالاً منقطع النظير، حتَّى إذا أرهقه القتال اقتحمَ عن فرسه الشقراء فعقرَها، فعن عبّاد بن عبد الله بن يزيد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «حدَّثني أحدُ بني مُرَّةَ بنِ عوف – وكان في غزوة مؤتة – قال: لكأنِّي أنظر إلى جعفر حين اقْتَحَمَ عن فرسٍ له شَقْراءَ، فعقرَها، وكان أوَّلَ مَن عقَر في سبيل الله، ثم قاتل القومَ حتى قُتِلَ»[٢].

ثمَّ قاتل ﷺ حتَّى قطعت يمينُه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قطعت شماله، فاحتضنها بعضُدَيه، فلم يزل رافعاً إياها حتّى قتل.

عَن ابْنِ عمرَ قال: كنت مَعَهم فِي تِلْكَ الْغَزْوَة، فالتمسنا جعفراً فوجدناه فِي الْقَتْلَى، وَوجدنَا فِيمَا أقبل من جسده بضعاً وَسبعين: بَين طعنة ورمية[٣].

---

[١] مشارف: قرى قرب حوران منها بصرى من الشام ثم من أعمال دمشق. انظر التفاصيل في معجم البلدان ٨/ ٦٠.

(٢) رواه أبو داود (٣/٢٩) أول كتاب الجهاد، باب في الدابة تعرقب في الحرب، ح(٢٥٧٣)، قال الشيخ الألباني: حسن.

(٣) رواه البخاري (٤/١٥٥٤) كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، ح(٤٠١٣).

ثم تقدَّم بعد مقتل جعفر ﷺ رجلٌ من بني عجلان–اسمه ثابت بن أرقم–فأخذ الراية وقال: يا معشر المسلمين، اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية قاتل قتالاً مريراً.

فعن عبد الله قيس بن أبي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعت خَالِدَ بنَ الْوَلِيد يَقُول: لقد انْقَطَعت فِي يَدي يَوْمَ مُؤْتَة تِسْعَةُ أسيافٍ، فَمَا بَقِي فِي يَدي إِلَّا صفيحةٌ يَمَانِية.

وقد لخَّص لنا ذلك ما رواه البخاريُّ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثمَّ أخذها خالد بن الوليد من غير إمْرَةٍ ففتح الله له».

٣.انسحاب القوّات:

إنَّ التكيُّفاتِ التكتيكيّةَ تتبع حالة المدِّ والجزر في الأحداث والتغيُّرات التي تطرأ على النسبة في القوة، فالانسحاب المحدود ليس بكارثة، فإن الحربَ والقتال لا تجري دائماً وفق الخطط والتصوُّرات المرسومة؛ لذلك فإنَّ الانسحاب المؤقَّت هو أحياناً ضروري وأمر مفروض لا بدَّ منه لحفظ الأرواح والعتاد وكسبيل للإعداد والتحضير، فالظروف تدعو أحياناً إلى التراجع خطوةً لكي أستطيع أن أتقدم مستقبلاً خطوتين، وفنُّ الحرب والقتال لا بدَّ له من معرفة بتكتيكات الانسحاب بجزئياته كافَّةً وهذا ما قام به سيفُ اللهِ المسلولُ سِيدُنا خالد بن الوليد، ولا بدَّ من تعريف موجز بتكتيك الانسحاب والذي يعدُّ من أصعب التكتيكات وأشدِّها تعقيداً .

- **تعريف الانسحاب:**

الانسحاب هو مناورة تراجعيّة اختياريّة، وهو مرحلة من مراحل الحرب الأساسيّة كثير الحدوث في سياق المعارك، ويعتبر من العمليّات الدفاعيّة، ويمكن عدُّه من العمليّات الهجومية إذا كان مصمَّماً لتدمير قوّات العدوّ بوساطة المناورة وقوّة النار، تقوم من خلالها القوّات المنسحبة بتوازن لقوّاتها (قدم واحدة على الأرض) لتتجنّب قتال الهرب والاختراق والاكتساح من جانب العدوّ لقطاعاتها المنسحبة.

- **المفهوم التكتيكي للانسحاب:**

هو تخلُّصُ المجموعةِ المقاتلة وابتعادُها عن منطقة القتال بعد انتهاء مهمَّتها (أو عدم التمكُّن من القيام بالمطلوب من المهمَّة) بشكل مدروس وآمن.

❖ سيف الله المسلول وخطَّة الانسحاب:

بعدما أظهر المسلمون من الشجاعة البالغة والبسالة والضراوة المريرتين أمام أحد أقوى جيوش العالم آنذاك، ونجح المسلمون في الصمود طول النهار، فكان على خالد بن الوليد أن يختار بين ثلاثة أمور:

١- أن ينسحب وينقذ المسلمين من الدمار، ولكن هذا الحلَّ يعَدُّ هزيمةً وسيُلامُ على جلبه العار لجيش المسلمين.

٢- أن يتحوَّل إلى الدفاع ويستمرَّ في القتال، وفي هذه الحالة سيؤدّي التفوقُ في قوّة العدوّ إلى إنهاء المعركة لصالح العدوّ.

٣- أن يهاجم ويقلب توازن العدوّ، وبذلك يكسب خالد مزيداً من الوقت لدارسة الموقف ووضع أفضل خطّة للعمل.

فما كان إلّا أن اختار خالد رضي الله عنه ما يتناسب مع فكرِه وشخصيَّته العسكريّة بخطَّة عسكريّة أصبحت اليوم تُدرَّس في الكلّيّات الحربيّة.

قال الواقدي: " لَمّا قُتِلَ ابْنُ رَوَاحَةَ مَسَاءً بَاتَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَلَمّا أَصْبَحَ غَدَا وَقَدْ جَعَلَ مُقَدّمَتَهُ سَاقَتَهُ، وَسَاقَتَهُ مُقَدّمَتَهُ، وَمَيْمَنَتَهُ مَيْسَرَتَهُ، وَمَيْسَرَتَهُ مَيْمَنَتَهُ، فَأَنْكَرُوا مَا كَانُوا يَعْرِفُونَ مِنْ رَايَاتِهِمْ وَهَيئاتِهِمْ وَقَالُوا: قَدْ جَاءَهُمْ مَدَدٌ! فَرُعِبُوا فَانْكَشَفُوا مُنْهَزِمِينَ، فَقُتِلُوا مَقْتَلَةً لَمْ يُقْتَلْهَا قَوْمٌ".

وقال: "بَلَغَتْ الدّمَاءُ بَيْنَ الْخَيْلِ مَوْضِعَ الْأَشَاعِرِ مِنْ الْحَافِرِ".

وصار خالد –بعد أن تراءى الجيشان، وتناوشا ساعة –يتأخَّر بالمسلمين قليلاً قليلاً، مع حفظِ نظام جيشه، ولم يتبعهم الرومان ظنّاً منهم أن المسلمين يخدعونهم، ويحاولون القيام بمكيدة ترمي بهم في الصحراء.

وهكذا انحاز العدوُّ إلى بلاده، ولم يفكِّر في القيام بمطاردة المسلمين، ونجح المسلمون في الانحياز سالمين، حتَّى عادوا إلى المدينة.

❖ التَّعْبِئَةُ النَّفْسِيَّةُ بَعْدَ القِتَالِ:

قال الواقديّ: " فَلَمّا سَمِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِجَيْشِ مُؤْتَةَ قادمين استقبلوهم بِالْجَرْفِ، فَجَعَلَ النّاسُ يَحْثُونَ فِي وُجُوهِهِمْ التّرَابَ وَيَقُولُونَ: يَا فُرّارُ، أَفَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ ".

وقال: "عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، مَا لَقِيَ جَيْشٌ بُعِثُوا مَعَنَا مَا لَقِيَ أَصْحَابُ مُؤْتَةَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لَقِيَهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِالشّرّ حَتّى إنّ الرّجُلَ لَيَنْصَرِفَ إلَى بَيْتِهِ وَأَهْلِهِ، فَيَدُقّ عَلَيْهِمْ الْبَابَ فَيَأْبَوْنَ أَنْ يَفْتَحُوا لَهُ، يَقُولُونَ: أَلَا تَقَدّمْت مَعَ أَصْحَابِك؟".

فما كان من القائد الأعلى والرسول الأكرم ﷺ إلّا أن قدَّر تلك الجهود المباركة

وهذا الإنجاز العظيم جدّاً والنصر الواضح بالمعايير والقوانين العسكريّة، ورفع المعنويّات وأعاد الثقة في نفوس أولئك الأبطال وسمّاهم بالكُرّار.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ فِي جَيْشٍ، فَحَاصَ النَّاسُ حَيْصَةً، فَكُنْتُ فِيمَنْ حَاصَ، فَقُلْنَا: قَدْ بُؤْنَا مِنَ اللهِ بِغَضَبٍ فَلَوْ تَنَحَّيْنَا فَلَمْ يَرَنَا أَحَدٌ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ أَتَيْنَا الْمَدِينَةَ فَتَزَوَّدْنَا مِنْهَا، فَأَتَيْنَا الْمَدِينَةَ، فَقُلْنَا: لَوْ عَرَضْنَا أَنْفُسَنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَعَلَّ لَنَا تَوْبَةً، فَلَمَّا خَرَجَ إِلَى صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نَحْنُ الْفَرَّارُونَ، قَالَ: «بَلْ أَنْتُمُ الْكَرَّارُونَ، أَنَا فِئَةُ[1] كُلِّ مُسْلِمٍ».[2]

❖ درس في الجنديّة الإسلاميّة (الدِّفَاعُ وَالذَّوْدُ عَنْ الأُمَرَاءِ مِنْ التَّمَادِي عَلَيْهِمْ):

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ، فَرَافَقَنِي مَدَدٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُ سَيْفِهِ، فَنَحَرَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَزُورًا، فَسَأَلَهُ الْمَدَدِيُّ طَائِفَةً مِنْ جِلْدِهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَاتَّخَذَهُ كَهَيْئَةِ الدَّرَقِ، وَمَضَيْنَا فَلَقِينَا جُمُوعَ الرُّومِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَشْقَرَ عَلَيْهِ سَرْجٌ مُذَهَّبٌ وَسِلَاحٌ مُذَهَّبٌ، فَجَعَلَ الرُّومِيُّ يُغْرِي بِالْمُسْلِمِينَ، فَقَعَدَ لَهُ الْمَدَدِيُّ خَلْفَ صَخْرَةٍ، فَمَرَّ بِهِ الرُّومِيُّ فَعَرْقَبَ فَرَسَهُ، فَخَرَّ وَعَلَاهُ فَقَتَلَهُ وَحَازَ فَرَسَهُ وَسِلَاحَهُ، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عز وجل لِلْمُسْلِمِينَ بَعَثَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَخَذَ مِنَ السَّلَبِ. قَالَ عَوْفٌ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا خَالِدُ أَمَا

---

[1] الفِئَةُ: هِيَ الجَمَاعَةُ الَّتِي يُرْجَعُ إِلَيْهَا وَيُحْتَمَى بِهَا فِي حَالِ الحَرْبِ وَالفَزَعِ، أَيْ يَفِيؤُونَ إِلَيْهَا.

[2] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ (١٧١٦) أَبْوَابُ الجِهَادِ–بَابُ مَا جَاءَ فِي الفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وَكَذَا أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ (٢٦٤٧) كِتَابُ الجِهَادِ–بَابٌ فِي التَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، بِلَفْظِ: فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا: نَحْنُ الْفَرَّارُونَ فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «لَا، بَلْ أَنْتُمُ الْعَكَّارُونَ»، قَالَ: فَدَنَوْنَا فَقَبَّلْنَا يَدَهُ، فَقَالَ: «إِنَّا فِئَةُ الْمُسْلِمِينَ». وَالبَيْهَقِيُّ فِي الجَامِعِ لِشُعَبِ الإِيمَانِ وَاللَّفْظُ لَهُ (٤٠٠٢)، وَلَهُ فِي السُّنَنِ الكَبِيرِ (١٨١٣٧) كِتَابُ السِّيَرِ–بَابُ مَنْ تَوَلَّى مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ، بِلَفْظِ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ ڤ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَحَاصَ النَّاسُ حَيْصَةً، فَأَتَيْنَا الْمَدِينَةَ، فَفَتَحْنَا بَابَهَا، وَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَحْنُ الْفَرَّارُونَ. فَقَالَ: «بَلْ أَنْتُمُ الْعَكَّارُونَ وَأَنَا فِئَتُكُمْ»، وَأَوْرَدَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءُ الغَلِيلِ» (١٢٠٣) وَقَالَ: «ضَعِيفٌ».

عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَضَى بِالسَّلَبِ لِلْقَاتِلِ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي اسْتَكْثَرْتُهُ. قُلْتُ: لَتَرُدَّنَّهُ عَلَيْهِ أَوْ لَأُعَرِّفَنَّكَهَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَبَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ. قَالَ عَوْفٌ: فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّةَ الْمَدَدِيِّ وَمَا فَعَلَ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«يَا خَالِدُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدِ اسْتَكْثَرْتُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«يَا خَالِدُ رُدَّ عَلَيْهِ مَا أَخَذْتَ مِنْهُ». قَالَ عَوْفٌ: فَقُلْتُ لَهُ: دُونَكَ يَا خَالِدُ، أَلَمْ أَفِ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«وَمَا ذَلِكَ؟» فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا خَالِدُ لَا تَرُدَّ عَلَيْهِ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي؟ لَكُمْ صَفْوَةُ أَمْرِهِمْ وَعَلَيْهِمْ كَدَرُهُ».[1]

❖ ما حققَّته المعركةُ من نتائجَ:

١- كانت هذه المعركة بدايةَ اللقاء الدامي مع الرومان، فكانت توطئةً وتمهيداً لفتوح البلدان الرومانية، واحتلال المسلمين الأراضي البعيدة النائية.

٢- ألقت هذه المعركة في قلوب العرب كلِّها الدهشةَ والحيرة، فقد كانت الرومان أكبرَ وأعظمَ قوّةٍ على وجه الأرض، حيث واجه ثلاثة آلاف مئتي ألف مقاتل، فقد هزَّ ت هذه المعركة هيبة الروم في قلوب العرب، وأعطت فكرةً عن الروح المعنويّة العالية عند المسلمين، كما أظهرت ضعف الروح المعنويّة في القتال عند الجنديِّ الصليبيّ النصرانيّ.

---

[1] () رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ (٢٧١٩) كِتَابُ الجِهَادِ- بَابٌ فِي الْإِمَامِ يَمْنَعُ الْقَاتِلَ السَّلَبَ إِنْ رَأَى وَالْفَرَسُ وَالسِّلَاحُ مِنَ السَّلَبِ، وَأَصْلُهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي صَحِيحِهِ ٤٣ (١٧٥٣) كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ- بَابُ اسْتِحْقَاقِ الْقَاتِلِ سَلَبَ الْقَتِيلِ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلَبَهُ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لِخَالِدٍ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ؟»، قَالَ: اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «ادْفَعْهُ إِلَيْهِ»، فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ، فَجَرَّ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاسْتُغْضِبَ، فَقَالَ: «لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِبِلًا، أَوْ غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ، وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ».

٣- كانت معركة (مؤتة) معركةً استطلاعيّة أفادت المسلمين كثيراً في معرفة خواصِ قوّات الروم وأساليب قتالها، وخواصِ حلفائها من القبائل وأساليبِ قتالهم وقوَّتِهم، فأفادوا من هذه المعلومات في قتالهم بعد ذلك ضدَّ الروم.



غزوة ذات السلاسل[1]

❖ أسباب الغزوة:

١- تأديب القبائل التي اشتركت في غزوة (مؤتة) وتشتيت قواهم، وهي من لخم وجذام وبلقين وبهراء وطيئ وعذرة.

٢- إعادة فرض هيبة الدولة الإسلامية في المناطق المتاخمة للشام.

٣- ضرب حشود قضاعة وبَلِيّ الذين اعتزموا مهاجمة المسلمين في المدينة، فقد أوصلت الاستخبارات الإسلاميّة للنبيّ ﷺ أَنّ جَمْعًا مِنْ بَلِيّ وَقُضَاعَةَ قَدْ تَجَمّعُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَدْنُوا إلَى أَطْرَافِ مدينة رَسُولِ اللّهِ. ﷺ

---

[1] ذات السلاسل: وراء وادي القرى بينها وبين المدينة عشرة أيام. انظر طبقات ابن سعد ٢/ ١٣١.

البحر المتوسط
القدس
البحر الميت
الأردن
البلقاء
وادي السرحان
مؤتة
صحراء النفود الكبرى
القلزم
البتراء
أيلة
سيناء
ذات أطلاع
دومة الجندل
كلب بن وبرة
عذرة
أسد طي
تبوك
حسمى
تيماء
مويلح
ضبا
ذات السلاسل
غمر مرزوق
تميم
(قطن) فيد
الميقعة
الوجه
وادي القرى
فدك
خضرة
نجد
خيبر
ذو خشب
الخبط
الطرف
الغابة
بطن نخل
(إلى اليمامة) الجموم
رضوى
المدينة المنورة
ذو القصة
بئر معونة
إضم
ينبع
ودان
بنو سليم
السي
اليكرات
العيص
قديد
العيص
ذات عرق
القردة
مصر
بحر القلزم (الأحمر)
رابغ
كديد
الخرار
عسفان
عضل والقارة
بطن نخلة
عرنة
مكة
جدة
هوازن
الرجيع
الطائف
تربة
خثعم
الشعيبة
النوبة
بيشة
عسير
نجران
صعدة
همدان
اليمن
صنعاء

سـرية
عمرو بن العاص
(ذات السَّلاسـل)

جمادى الآخرة ٨ هـ



❖ تجهيز القوّات:

١- اختيار قائد القوّات:

كانت هذه الغزوة على قدر من الأهمِّيّة وشديدة الحساسية، فهي في مناطق بعيدة نسبيّاً عن المدينة المنوَّرة إضافة إلى ذلك أن جيش المسلمين ما لبث أن عاد من غزوة مؤتة، فاختار لهذه الغزوة رجلاً ذكيّاً كان يُعَدُّ من دهاة العرب وصاحب علم بالحرب وهو عمرو بن العاص، إضافة إلى ذلك اعتمد ﷺ على قضيّة العصبيّة القبليّة في ذاك الوقت وما لها من تغيُّر في المعطيات وميزان القوى وَذَلِكَ أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ كَانَ ذَا رَحِمٍ بِهِمْ، فقد كَانَتْ أُمُّ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ بَلَوِيَّةً، فَأَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَأَلَّفُهُمْ بِعَمْرٍو، فأرسل إليه النبي ﷺ يرغِّبه ويحضُّه على ذلك، ثمَّ جعله أميراً لتلك الغزوة.

عن مُوسَى بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، يَقُولُ: بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فقَالَ: " خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ، ثُمَّ ائْتِنِي " فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ فِيَّ النَّظَرَ ثُمَّ طَأْطَأَهُ، فَقَالَ: " إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُسَلِّمَكَ اللهُ وَيُغْنِمَكَ، وَأَرغبُ لَكَ مِنَ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً ". قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقَالَ: " يَا عَمْرُو، نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ "[١].

---

[١] رواه أحمد وأخرجه أبو عبيد في "غريب الحديث" ١/٩٣-٩٤، وابن عبد الحكم في "فتوح مصر" ص٢٥٠، وأبو عوانة في "الزكاة" كما. في "الإتحاف" ٤/ورقة ١٠١، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٦٠٥٦) و (٦٠٥٧)، وابن حبان (٣٢١٠)، والطبراني في "الأوسط" (٣٢١٣)، والحاكم ٢٣٦/٢، والقضاعي في "مسنده" (١٣١٥)، والبغوي (٢٤٩٥) من طرق عن موسى بن عُلَيّ، بهذا الإسناد-وهو عند بعضهم مختصر.
وسيأتي برقم (١٧٧٦٤) و (١٧٨٠٢).

٢- **تجهيز القوّات:** بَعْدَمَا تَمَّ تعيين عَمْرِو بْنَ الْعَاصِ قَائِداً للغزوة دعاه رسول الله ﷺفَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً أَبْيَضَ، وَجَعَلَ مَعَهُ رَايَةً سَوْدَاءَ، على ثَلَاثِمِئَةٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ -مئتان وسبعون مشاة وثَلَاثُونَ فَارِسًا -وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِمِنْ مَرّ بِهِ مِنْ الْعَرَبِ.

❖ مسير القوّات:

سَارَ الْرَكب، وَكَانَ كعادة سرايا المسلمين يأخذون بكلِّ الأسباب لمفاجأة ومباغتة العدوّ فكانوا يَكْمُنُون بالنّهَارَ وَيَسِيرُون في اللّيْلَ، فَلَمّا دَنَوا مِنْ الْقَوْمِ أبلغت فرق الاستطلاع القيادة أَنّ هناك جَمْعًا كَثِيرًا لقوّات معادية، فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْهُمْ عِشَاءً وَبِحَذرٍ شَدِيد، وبَعَثَ رَافِعَ بْنَ مَكِيثٍ الْجُهَنِيّ إلى رسول الله ﷺ يُخْبِرُهُ أَنّ لَهُمْ جَمْعًا كَثِيرًا وَيَسْتَمِدّهُ بِالرّجَالِ.

❖ تجهيز قوّات الإمداد:

لمّا وصل رسول قائد الغزوة عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ إلى النبيّ ﷺ جَهَّزَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرّاحِ فِي مِئَتَي رجلٍ من الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ -ومن بين المهاجرين أبو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما وَعقَدَ لَهُ لِوَاءً، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكُونَا جَمِيعًا وَلَا يَخْتَلِفَا.

❖ وصول قوّات الإمداد (درس عظيم في نبذ الخلاف والنزاع):

لَمّا وَصلت قوّات الإمداد، أَرَادَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ يَؤُمَّ النّاسَ وَيَتَقَدّمَ عمْرًا، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: إنّمَا قَدِمْت عَلَيّ مَدَدًا لِي، وَلَيْسَ لَك أَنْ تَؤُمّنِي، وَأَنَا الْأَمِيرُ، وَإِنّمَا أَرْسَلَك النّبِيّ ﷺ إلَيّ مَدَدًا، فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: كَلّا، بَلْ أَنْتَ أَمِيرُ أَصْحَابِك وَهُوَ أَمِيرُ أَصْحَابِهِ! فَقَالَ عَمْرٌو: لَا، بَلْ أَنْتُمْ مَدَدٌ لَنَا! فَلَمّا رَأَى أَبُو عُبَيْدَةَ الِاخْتِلَافَ -وَكَانَ حَسَنَ الْخُلُقِ لَيّنَ الشّيمَةِ -قَالَ: لِتَطْمَئِنّ يَا عَمْرُو، وَلِتَعْلَمَنّ أَنّ آخِرَ مَا عَهِدَ إلَى رسولُ الله ﷺ أَنْ قَالَ: «إذَا قَدِمْت عَلَى صَاحِبِك فَتَطَاوَعَا وَلَا

تَخْتَلِفَا». وَإِنّك وَاللهِ إنْ عَصَيْتَنِي لَأُطِيعَنّكَ! فَسَلَّمَ أَبُو عُبَيْدَةَ لعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ[١].

❖ المحافظة على عنصر المفاجأة والمباغتة[٢]:

قال الواقديّ" فَجمَعَ أَصْحَابُهُ الْحَطَبَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصْطَلُوا – وَهِيَ أَرْضٌ بَارِدَةٌ – فَمَنَعَهُمْ، فَشَقّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ حَتّى كَلّمَهُ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الْمُهَاجِرِينَ فَغَالَظَهُ، فَقَالَ عَمْرٌو: أُمِرْتَ أَنْ تَسْمَعَ لِي وَتُطِيعَ! قَالَ: فَافْعَلْ!".

عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ: قَالَ عُمَرَ رضي الله عنه لِأَبِي بَكْرٍ لَمَّا مَنَعَ عَمْرُو بنُ الْعَاصِ رضي الله عنه النَّاسَ أَنْ يُوقِدُوا نَارًا: أَمَا تَرَى مَا يَصْنَعُ هذا بالناس يمنع مَنَافِعَهُمْ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «دَعْهُ فَإِنَّمَا وَلَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا لَعَلمِهِ بِالْحَرْبِ» .[٤][٣]

---

[١] أخرج بعضه ابن عساكر (٢ /٢٤).

[٢] وهنا ترى درساً عظيماً في عدم الاستهتار مهما كانت الحاجة لذلك ماسة فقد مُنع الصحابة من اشعال النار رغم برودة الجو والجوع حتى لا ينكشفوا على العدو، فما بال اخواننا المجاهدون اليوم وقد استهتروا بكافة اجراءات السلامة رغم التطور العسكري لأهل الكفر من طائرات الاستطلاع والكاميرات الليلية والحرارية وغير ذلك، فترى الكثير يكشف ثغور بإشعال النار للتدفئة وترى أخر يشعل أنوار السيارات في الليل بمقربة من العدو ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[٣]أَوْرَدَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ ابْنُ حَجَرٍ فِي المَطَالِبِ العَالِيَةِ (٢١٤٨) كِتَابُ الخِلَافَةِ وَالإِمَارَةِ–بَابُ تَوْلِيَةِ الْأَمِيرِ الْعَامِلِ إِذَا كَانَ عَارِفًا بِالْحَرْبِ عَلَى مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ، وَعَزَاهُ إِلَى إِسْحَقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ، وَلَيْسَ فِي المَطْبُوعِ مِنْ مُسْنَدِهِ. وَقَالَ مُحَقِّقُو المَطَالِبِ (٨١/١٠): «الحَدِيثُ بِهَذَا الإِسْنَادِ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ غَيْرَ أَنَّهُ مُنقَطِعٌ... وَلَكِنْ يَشْهَدُ لَهُ وُرُودُهُ مَوْصُولًا كَمَا عِنْدَ الحَاكِمِ... وَعَلَيْهِ فَهُوَ لَا يَنْزِلُ عَنْ دَرَجَةِ الحَسَنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ». وَرَوَاهُ الحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ (٤٣٥٧) كِتَابُ المَغَازِي وَالسَّرَايَا، مَوْصُولًا، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ ڤ، قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ڤ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى مَكَانِ الْحَرْبِ أَمَرَهُمْ عَمْرٌو أَنْ لَا يُنَوِّرُوا نَارًا، فَغَضِبَ عُمَرُ وَهَمَّ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ، فَنَهَاهُ أَبُو بَكْرٍ ڤ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْكَ إِلَّا لِعِلْمِهِ بِالْحَرْبِ، فَهَدَأَ عَنْهُ عُمَرُ ڤ»، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي التَّلْخِيصِ (٤٥/٣): «صَحِيحٌ».

[٤] وَفِي الحَدِيثِ فَوَائِدُ أَرْبَعُ:

- الأُولَى: إنَّ الأُمُورَ العَسْكَرِيَّةَ لَهَا أَهْلُهَا، فَيَجِبُ تَقْدِيمُ أَهْلِ الخِبْرَةِ فِي المَعَارِكَ ضِمْنَ اخْتِصَاصِهِمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ مَكَانَةً.
- الثَّانِيَةُ: انْظُرْ كَيْفَ أَمَرَ صَاحِبُ العِلْمِ بِالأُمُورِ العَسْكَرِيَّةِ بِإِطْفَاءِ النَّارِ؛ لِما لَهَا مِنْ خُطُورَةٍ فِي كَشْفِ مَكَانِكَ لِلأَعْدَاءِ فِي حِينَ أَنَّ سَيِّدَنَا عُمَرَ ڤ قَدْ غَفَلَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ.

وعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ فِي ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَسَأَلَهُ أَصْحَابُهُ أَنْ يُوقِدُوا نَارًا، فَمَنَعَهُمْ، فَكَلَّمُوا أَبَا بَكْرٍ، فَكَلَّمَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: لَا يُوقِدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَارًا إِلَّا قَذَفْتُهُ فِيهَا، قَالَ: فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَهَزَمُوهُمْ، فَأَرَادُوا أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ، فَمَنَعَهُمْ، فَلَمَّا انْصَرَفَ ذَلِكَ الْجَيْشُ ذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَشَكَوْهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ آذَنَ لَهُمْ أَنْ يُوقِدُوا نَارًا فَيَرَى عَدُوُّهُمْ قِلَّتَهُمْ، وَكَرِهْتُ أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ فَيَكُونُ لَهُمْ مَدَدٌ فَيُعْطِفُوا عَلَيْهِمْ، فَحَمِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «لِمَ؟» قَالَ: لِأُحِبَّ مَنْ تُحِبُّ، قَالَ: «عَائِشَةُ»، قَالَ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ».[1]

❖ تنفيذ المهمَّة وتحقيق مآرب الغزوة:

حِينَ بَلغ جَمعُ الْمُسلمين خَمْسَمِئَةٍ وارتصَّتِ الصفوفُ قاموا بالتسلُّل[2] فِي اللَّيْلِ حَتَّى وَطِئُوا بِلَادَ بَلِيٍّ فَهَزَموهم، وَكُلّمَا سَمِعُوا بِجمعٍ للعَرب لَحِقوا بِهِم حتى تَفَرّقُوا، حَتَّى انْتَهَوا إِلَى أَقْصَى بِلَادِ بَلِيٍّ وَعُذْرَةَ وَبَلْقَيْن، وَلَقُوا فِي آخِرِ ذَلِكَ جَمْعًا لَيْسَ بِالْكَثِيرِ، فَقَاتَلُوهم سَاعَةً وَتَرَامَوْا بِالنّبْلِ، ثُمَّ حَمَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ فَهَرَبُوا، وَأَعْجَزُوا هَرَبًا فِي الْبِلَادِ وَتَفَرّقُوا.

- الثَّالِثَةُ: مَا وَرَدَ فِي كَلَامِ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ لِسَيِّدِنَا عُمَرَ ، فِي وُجُوبِ السَّمْعِ والطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ ظَنَّ المُقَاتِلُ فِي رَأْيِهِ الصَّوَابَ وَالمَنْفَعَةَ.
- الرَّابِعَةُ: لَا بُدَّ لِلأَفْرَادِ أَنْ يَتَنَاصَحُوا فِي اللهِ، وَأَنْ يَرُدَّ الأَخُ أَخَاهُ عَنْ الخَطَإِ إِنْ صَدَرَ.

[1] رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ (٤٥٤٠) كِتَابُ السِّيَرِ–بَابُ الخِلَافَةِ وَالإِمَارَةِ، وَقَالَ شُعَيْبُ الأَرْنَاؤُوط: «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، رِجَالُهُ ثِقَاتٌ رِجَالُ الشَّيْخَيْنِ؛ غَيْرَ الحَسَنِ بْنِ حَمَّادٍ الحَضْرَمِيِّ، وَهُوَ ثِقَةٌ، رَوَى لَهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ غَيْرَ التِّرْمِذِيِّ».

[2] التسلل: هو عملية الاقتراب من العدو بخطى وتحركات مخفية بحث لا يسمعني ولا يراني. وتكمن أهمية التسلل أنه عنصر رئيسي للمباغتة.

❖من نتائج تلك الغزوة:

١- إسلام بعض القبائل اللدودة بعد هذه المعركة، فأسلمت بنو سليم وعلى رأسهم العبّاس بن مرداس وأشجعُ وغطفانُ وذبيانُ وفزارةُ وسيِّدها عيينة بن حصن وبنو مُرّة وغيرها، وأصبح المسلمون هم الأقوى في شمال بلاد العرب، وإن لم يكن في بلاد العرب جميعهًا.

٢- تمَّ تأمين حماية الدين الإسلامي في الداخل.

٣- وكذلك حماية الدين الإسلامي من الخارج.

غزوة تبوك (١)

(العسرة والفاضحة)

سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ



❖ المطلب الأول–أسباب غزوة تبوك(٢):

أولاً–أسباب مباشرة:

وصول خبرٍ للنبيّ ﷺ بحشد الروم لجيش عظيم إضافة لقبائل لخم وجذام وعاملة وغسّان وبتحريضٍ من نصارى العرب لغزو المسلمين.

---

(١) تقسيم هذه الغزوة يختلف عما قبلها لحاجة المبحث لذلك.

(٢) منطقة تبوك هي واحدة من مناطق السعودية وتقع المنطقة في شمال غرب المملكة العربية السعودية وتحدها المملكة الأردنية الهاشمية من الشمال ومن الشرق منطقة الجوف ومنطقة حائل ومن الجنوب منطقة المدينة المنورة ومن الغرب خليج العقبة والبحر الأحمر.

-عن عمران بن حصين أنّه شهد عثمان بن عفان رضي الله عنه أيّام غزوة تبوك في جيشِ العُسرة فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بالصدقة والقوَّة والتأسِّي، وكانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: إنَّ هذا الذي خرج ينتحل النبوَّة قد هلك وأصابته سنون فهلكت أموالهم فإن كنت تريد أن تلحق دينك فالآن، فبعث رجلاً من عظمائهم يقال له: الضناد وجهَّز معه أربعين ألفاً [(١)].

-وروى الواقديُّ قال: حدَّثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد رضي الله عنهم قالوا: كانت الساقطة – وهم الأنباط – يقدمون المدينة بالدرمك[(٢)]، والزيت في الجاهليّة وبعد أن دخل الإسلام، فإنّما كانت أخبار الشام عند المسلمين كلَّ يوم، لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط، فقدمت قادمة فذكروا أنَّ الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة، وأجلبت معه لخم، وجذام، وغسّان، وعاملة، وزحفوا وقدَّموا مقدِّماتِهم إلى البلقاء وعسكروا بها، وتخلَّف هرقل بحمص[(٣)].

ثانياً-أسباب غير مباشرة:

تنفيذاً لأمر الله في جهاد الكفّار:

يقول ابن كثير في البداية والنهاية: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨﴾ [سُورَةُ التَّوۡبَةِ: ٢٨].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٩١: رواه الطبراني وفيه العباس بن الفضل الأنصاري وهو ضعيف

(٢) نوع من أنواع الدقيق.

(٣) مغازي الواقدي (٢/٩٩٠).

رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةَ وَالضَّحَّاكِ وَغَيْرِهِمْ: أَنَّهُ لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُمْنَعَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرْبَانِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي الْحَجِّ وَغَيْرِهِ. قَالَتْ قُرَيْشٌ: لَيَنْقَطِعَنَّ عَنَّا الْمَتَاجِرُ وَالْأَسْوَاقُ أَيَّامَ الْحَجِّ وَلَيَذْهَبَنَّ مَا كُنَّا نُصِيبُ مِنْهَا، فَعَوَّضَهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِالْأَمْرِ بِقِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ حَتَّى يُسْلِمُوا أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ.

قُلْتُ: فَعَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قِتَالِ الرُّومِ لِأَنَّهُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَوْلَى النَّاسِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ لِقُرْبِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)[١].

حماية الدعوة في المناطق المتاخمة لجزيرة العرب، كخطوة أولى لامتداد الدعوة العالميّة، وهذا يتطلّب أمرين:

الأوّل: لزوم محو آثار انسحاب المسلمين من (مؤتة) من النفوس وكسر أسطورة الجيش الذي لا يقهر (الروم) عند المسلمين والعرب.

الثاني: تهيئة القوّات الإسلامية لبدء مرحلة جديدة في الحروب لتشمل أعداءً جدداً أشد بأساً وأكثر تنظيماً وأوسع شهرة وسمعة.

❖ المطلب الثاني –الإجراءات العسكرية النبويّة:

أولاً–مرحلة صناعة القرار:

إنَّ القائد العسكريَّ الناجح لا بدَّ أن يضع بين عينيه قبيلَ رسمِ مخطَّطاته واتّخاذ قرارته المعادلة التالية: **(الأرض+ المناخ+ الوقت+ إمكاناتنا المتاحة + إمكانات**

---

(١) البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، ن: دار الفكر، ت ن: ١٤٠٧ هـ –١٩٨٦ م، (٥/٢).

العدو ÷ أهمية العمل وجوباً أو تأجيلاً أو إلغاءً) = التخطيط الناجح)[١]**، وكانت المعطيات لغزوة تبوك:**

---

(١) مقال جميل يوضح لنا هذه المعادلة وأهم نقطة نود التركيز عليها والتي قسمت ظهر البعير هي المناخ، هذا المقال لأيمن قطوش: بعنوان: خمسة قرارات مصيرية اتخذها هتلر تسببت في خسارته للحرب العالمية الثانية! حيث قال:
نستعرض في المقال التالي عددا من أهم هذه القرارات التي ساهمت بشكل كبير في خسارة ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية.

١-خلال معركة بريطانيا (Battle of the britain) أمر بتغيير هدف المعركة في وقت حساس جداً عندما استمات الطيارون البريطانيون في المقاومة، حيث تحولت المقاتلات الألمانية من مهاجمة المقاتلات البريطانية الى القاء القنابل على المدن البريطانية مثل لندن وكونفانتري.. ذلك أنه كان يظن أن تشير تشيل سوف يستسلم عندما تُدمر مدنه، لكن التغيير في الهدف كان خطأ قاتلاً لأن سلاح الجو الملكي كان على وشك الانهيار، وبالتالي أعطاه الوقت لإعادة تنظيم صفوفه واستعادة أنفاسه واصلاح العديد من المنشآت الضرورية مثل المطارات والرادارات؛ هذه المعركة كان من شأنها السيطرة على المجال الجوي لبريطانيا وإعطاء غطاء جوي يمهد للقوات البرية السيطرة على بريطانيا وتغيير مسار الحرب بشكل كلي.

٢-خلال غزوه للاتحاد السوفييتي (operation barbarossa) وخلافاً للخطة الأساسية وآراء جنرالاته، أمر هتلر بتحويل مسار الجيش بعد أن كان على بعد حوالي ٣٥٠ كم فقط من موسكو وأمر باتجاهه نحو كييف معللاً ذلك بضرورة الحصول على القمح الأوكراني كي لا يجوع الجيش مثل ما حصل في الحرب العالمية الأولى. هذا القرار أدى الى خسارة أسابيع حاسمة أخرى من فصل الصيف لأنّ هذه العملية تأخرت من قبل أن تبدأ عندما تدخل هتلر في اليونان من أجل مساعدة موسوليني، هذا التأخر أعطى الوقت الكافي للجيش الأحمر من أجل التأهب لمعركة موسكو واستدعاء الوحدات الخاصة للجيش المتمركزة في سيبيريا بعد تأكيد الجاسوس السوفييتي المشهور سورغو أن اليابان لن تهاجم من الشرق، لأنّ عدوها الأساسي كان الولايات المتحدة الأمريكية.

هذا التأخير أدى الى حلول فصل الشتاء قبل المعركة الحاسمة حيث وصلت درجة الحرارة في نوفمبر ١٩٤١ الى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر، فالجيش الألماني المعتاد على الحرب الخاطفة blitzkrieg وجد نفسه في مواجهة حرب استنزاف طويلة وظروف قاسية لم يكفه الوقت للاستعداد الجيد لها.

٣-إصداره لأوامر بالتعامل مع سكان الاتحاد السوفييتي بأقصى درجات القسوة، يمكن أن نذكر في هذا السياق تصريح للمارشال "قورينق" (Goering) بعد احتلال أوكرانيا" لن نقدم الطعام لأفواه غير مفيدة، أي فرد يستطيع أن يعمل سوف يعمل للرأي الباقي يموتون، الذين يعملون يقدمون كل ما لديهم حتى الموت هذه المعاملة أدت الى خسارة حليف مهم يتمثل في السكان حيث كان الكثير منهم غير موالي لستالين بسبب جرائمه ومستعد لمساعدة الألمان، لكن بعد عوملوا بهذه القسوة، تحولوا الى مقاتلين شرسين في صفوف الجيش الأحمر.

٤-خلال احتلاله لفرنسا، أمر بعدم القضاء على الجنود الفرنسيين والبريطانيين المحاصرين في دنكيرك، لأنه كان يظن أن الجيش الألماني بحاجة الى الراحة والمؤونة، وأنه يستطيع القضاء على سلاح الجو البريطاني خلال أيام. لكن بريطانيا قامت بعملية إجلاء ناجحة لحوالي ٤٠٠,٠٠٠ جندي، الكثير منهم سيعود الى فرنسا بعد أربع سنوات خلال عملية إنزال الحلفاء في شواطئ النورماندي.

١- **الأرض:** صحراويّة ممتدّة قليلة الماء والنبات.

٢- **المناخ:** حرٌّ شديد.

٣- **الوقت:** ويشمل ثلاثةَ أمور:

أ-الوقت المقرَّر لتجهيز الجيش والتعبئة العامّة: وتحدِّده نوع المعركة دفاعاً أو هجوماً؛ ففي المعارك الهجوميّة تكون الرويّة أكبر وفيها متَّسع من الوقت لتحديد ما يتناسب مع الخطَّة والإمكانات والظروف، أمّا في المعركة الدفاعيّة فالأمر مغاير كلِّيّاً، فالأمر يحتاج إلى السرعة القصوى في رفع الجاهزيّة والتحضيرات للمعركة مهما كانت الظروف غير مواتية، لأنَّ الضرر حينها سيكون أبلغَ وأعظمَ، وسيزداد سوءاً في كل تأخير في التصدِّي والدفاع، وهذا ما تطلَّبه الموقف من النبيّ.

ب-والوقت المطلوب نقل القوّات المقاتلة إلى المعترَك: والمقصود بذلك هو مقدار الوقت الذي نحتاجه لتحرُّك الأفراد والآليّات والوصول بهم إلى مكان معيَّن لتنفيذ مهمَّة معيَّنة ضمن مسار مدروس ومخطط له سواءٌ أكان: (اشتباك، كمين إغارة، زرع عبوات....) أو بهدف نقل مكان تموضع الوحدة من مكان إلى مكان آخر، بحيث تضبط أوقات الحركة والتوقف زماناً ومكاناً ومدّة، ويكون ليلاً أو نهاراً. والوقت المتاح لدى القيادة النبويّة هي المدّةُ قبلَ وصول قوّات الروم من بلقاء[١]

٥-إعلانه الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية رغم محاولة العديد من مقربيه إقناعه بعدم فعل ذلك، ذلك أنه كان يظن أن إعلان الحرب هذا وانضمامه لصف اليابان سوف يؤدي الى مساعدة هذا الأخير له في روسيا. لكن ذلك لم يحدث وأدى الى إيقاظ العملاق الأمريكي وتركيز الحلفاء على ألمانيا قبل باقي دول المحور مع شعار "ألمانيا أولاً" (Germany first)، حيث تعرضت لقصف عنيف بقيادة الجنرال الأمريكي هاريس ساهم بدون شك في خسارة الحرب.

[١] محافظة البلقاء، إحدى أقدم محافظات الأردن. في العصر العثماني، امتدت البلقاء لتضم عمّان، الزرقاء، مأدبا، والسلط. أما مدينة السلط فهي حاضرة البلقاء وعاصمتها التي أنجبت الكثير من الكتاب والساسة والعلماء عبر التاريخ منهم قاضي دمشق السلطي. تبعد محافظة البلقاء عن العاصمة عمان ٤٧ كم.

إلى مشارف جزيرة العرب تبوك والتي تبلغ (٤٨٠ كم تقريباً) فقط، بينما المسافة بين المدينة المنورة وتبوك (٥٣٠ كم)، ممّا يتطلَّب السرعة في التنفيذ والتحرُّك.

<u>**ت- ملائمة الوقت الحالي للقيام بعمل عسكري:**</u> حيث كان التوقيت لهذه الغزوة هو موعد اقتراب موسم قطاف الثمر في المدينة المنورة، إضافة لإنهاك القوات الإسلامية بعد معارك الفتح، وحنين والطائف، فهو وقت غير مناسب للقيام بغزوةٍ، ولكن الغزوة ذات طابع هجومي لا دفاعي، وهذا الأمر بيناه في الفقرة ما قبل السالفة.

عن مجاهد، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [سُورَةُ التَّوۡبَةِ: ٣٨]، قال: هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح، وحنين، وبعد الطائف، أمرهم بالنفير في الصيف، حين اخترفت النخل، وطابت الثمار، واشتهوا الظلال، وشق عليهم الخرج، قال: قالوا منا الثقيل، وذو الحاجة، والضيعة، والشغل، والمنتشر به أمره في ذلك كله، فأنزل الله ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ [سُورَةُ التَّوۡبَةِ: ٤١].[1]

٤-الإمكانات المتاحة: ويتمُّ دراستها من خلال المعادلة التالية: (الوضع الاقتصادي العام + الوضع الاقتصادي الخاص للقوّات المسلَّحة + الحال النفسيّة العامّة للجمهور أو الشعب).

---

[1] تفسير ابن جرير (١٠/ ١٣٤). قلت انظر الدر المنثور (٣/ ٢٣٧)، وفتح القدير (٣/ ٣٤٦- ٣٤٧) وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٣) فإنهم أوردوا هذا الأثر، ونسبوا اخراجه الى سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وأبي الشيخ.

والوضع الاقتصاديُّ العامُّ والخاصُّ في الدولة الإسلاميّة في عسرٍ شديد بسبب الجدب والقحل.

٥-**إمكانات العدوّ**: وتشمل العُدّة والعدد والعتاد، وكانت إمكانات الروم آنذاك ضخمةً من حيث العدد فقد بلغ عدد قوّات العدوِّ أربعين ألفاً إضافة إلى قبائل لخم وجذام وعاملة وغسّان، ومن حيث العتاد فأسلحتهم كثيرة، ودرايتهم بالحرب كبيرة، وقدرتهم القتاليّة فائقة، وهو عدوٌّ يختلف في طبيعته عن الأعداء الذين واجههم النبيُّ ﷺ من قبل، عدا ما خبرهم به المسلمون في مؤتة الأولى.

ثانياً-مرحلة إصدار القرار:

١. الإعلان عن الغزوة ووجهتها:

وتعدُّ هذه الغزوة الأولى التي لم يورِّ بها النبي حيث أفصح بها على خلاف نهجه الملتزم بالسرِّيَّة والكتمان في أعلى وأقوى صوره، كما مرَّ معنا في غزواته – فداه أمي وأبي والناس أجمعين – وذلك لأمور لخَّصها الواقديّ: (وكان رسول الله ﷺ لا يغزو غزوة إلا ورّى بغيرها، لئلا تذهب الأخبار بأنَّه يريد كذا وكذا، حتى كانت غزوة تبوك، فغزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً، واستقبل غزًّى وعدداً كثيراً، فجلَّى للناس أمرَهم؛ ليتأهَّبوا لذلك أُهْبَةَ غزوهم، وأخبر بالوجه الذي يريد)[١] ، **وسنستعرضها بنوع من الإيضاح:**

- **بعد المسافة وشدَّة المناخ (الحرّ) وطبيعة الأرض:**

على خلاف ما سبق من معارك المسلمين، فقد كانت المسافات فيها صغيرة جدّاً إذا ما قورنت بهذه الغزوة، إضافة إلى حرِّ الجوِّ الشديد جدّاً، وطبيعة الأرض الصحراويّة الممتدَّة قليلةِ الماء والنبات، وهذه المعطيات توجب على

---

(١) مغازي الواقدي (٣/٩٩٠).

القائد إعلامُ الأفراد، ليزيدوا ويُكثِروا من المُؤَن من طعام وماء وكلأ، فإنّ الجيوش تزحف على بطونها، حتى تستطيع القوّات متابعة المسير وملاقاة العدوّ بكامل طاقاتهم وقوّتهم.

ولم يغفِلْ أدقَّ التفاصيل المهمّة بسبب طبيعة المعركة وبعد المسافة، فحثَّ على الانتعال وذكَّر به لأهمِّيَّتِه الكبرى للمقاتل رغم بساطته، فعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي غَزْوَةٍ غَزَوْنَاهَا: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ النِّعَالِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا مَا انْتَعَلَ»[١].

- **اقتراب موعد جني الثمار:**

إنَّ ارتباط الطبقة الغالبة من الشعب بوقتٍ معيَّن في معاشها، كموسم حصاد أو سياحة أو غير ذلك من الأمور، يتوجَّب فيها على القيادة أمران:

الأوّل: عدم اتّخاذ قرارات فيما يخصُّ أيَّ حرب هجوميّة إلّا في التمكُّن الكامل والعدَّة المسبقة.

الثاني: رفع المستوى الأمنيّ والتأهُّب العسكريّ للتصديّ لأيِّ عدوان يستغلُّ وينظر هذه الفرصة؛ لينقضَّ على الدولة، ويسبِّب لها ضربتَين موجعتَين بنفس الوقت اقتصاديّة وعسكريّة.

ولكنَّ الأمر في الحرب الدفاعيّة مختلف، فيتحتَّم على القيادة إبلاغُ الأفراد؛ ليتدبَّر كلُّ امرئٍ أمره، ويضع الحلول والبدائل؛ لتجنُّب أيِّ خسارة يسبِّبها غيابه في هذه الفترة، وليُعِدَّ النفقة اللازمة لمن يعول وراءه، وهكذا تكون القيادة جنَّبتِ الأفراد حرجاً كبيراً وخسارة عظيمة بإبلاغهم لا كتمانهم.

---

[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ٦٦ (٢٠٩٦) كِتَابُ اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ–بَابُ مَا جَاءَ فِي الانْتِعَالِ وَالاسْتِكْثَارِ مِنَ النِّعَالِ.

- **طبيعة العدوِّ الجديد:**

في الحياة العسكريّة عندما تفرض ظروف الحرب مقابلةَ عدوٍّ جديد ذي قوّة وخبرة وسمعة طويلة في الحرب والوغى، يجعل عند الأفراد هالة من الخوف والتحسُّب والتردُّد، وهذه الآثار تتلاشى وتزول (ولكنها تحتاج إلى زمن ووقت كافيَين) إن عرفت القيادة العسكريّة التعامل معها والتصرُّف حيالَها، وذلك من خلال أمورٍ أهمُّها:

* الإعلام وعدم الكتمان، فإنَّ الكتمان عن طبيعة ونوع العدوِّ الجديد ومن دون إنذار مسبق سيجعل عند الأفراد دهشةً وذعراً عند اللقاء والمواجهة[١].

* التعبئة النفسيّة والمعنويّة والشحن الإيمانيّ.

* تدريب القوّات على ما يتناسب ويصلح مع طبيعة العدوّ.

* استخدام ما يناسب تلك الحرب من أسلحة.

إنَّ فقدان القيادة العسكريّة للمرونة والميزان في المصالح والمفاسد بين تطبيق القواعد العسكريّة، أو الشذوذ عنها في وقت الضرورة، وفي وقت تباين وانقلاب المعادلة بين التطبيق أو التعديل أو الإلغاء يسبِّب للجيش والأفراد الحرجَ والضيق، حتَّى تكون تلك العقليّةُ الجامدة عديمةُ الفهم سبباً أساسيّاً ورئيساً؛ للهزيمة في المعركة.

٢-رفع الجاهزيّة والتعبئة العامّة:

بعث رسول الله ﷺ إلى قوّاته المنتشرة على امتداد الدولة الإسلاميّة في جزيرة العرب، فأرسل إلى مكّة، وإلى أسلم وسليم وفَرع وغفار وجهينة وأشجع وبني كعب، كما بعث أبو الجعد الضمريّ في قومه بالساحل.

٣-التعبئة الماليّة والحثُّ على النفقة (عصب الحروب):

---

(١) ونؤكد على أن يكون الإعلام قبل وقت كافٍ لتزول تلك الدهشة بعامل الزمن.

لم يجلس النبيُّ مكتوفَ الأيدي، مضطربَ الجوانب، شارد الفؤاد، في ساعة العسرة واقتراب ساعة الصفر لمقارعة أحد أقطاب القوى العالميّة آنذاك، ولكنَّه بدأ مستعيناً بالله ومنطلقاً من القاعدة الصلبة التي بناها طيلة الفترة الماضية فاستنهض الهمم وحرَّك الأشجان، بكلمات هي قليلة، ولكن قد سبقت تلك الكلمات مسيرة طويلة من التضحية والعطاء أورثت الثقة بين القائد وجنده، ناهيك عن ذلك أنَّه رسول الله ﷺ، حيث قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ»[1]، فزلزلت تلك الكلمات المشتاقين إلى جنان الرحمن، رجالاً قد علت شرفاتها بالإيمان، وقاماتها بالتوحيد، ليضربوا لك أمثلة تعي بكامل الفهم قول النبيّ ﷺ: «فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ»، ومن تلك الأمثلة:

- عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، يَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺأَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَسَلَّمَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا[2].

- عَنْ عَبدِ الرَّحمَنِ بْنِ خَبَّابٍ، قَالَ: شَهِدْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَحُثُّ عَلَى جَيْشِ العُسْرَةِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَيَّ مِئَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الجَيْشِ، فَقَامَ عُثْمَانُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ : عَلَيَّ مِئَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الجَيْشِ، فَقَامَ عُثْمَانُ

[1] رواه البخاري برقم (٢٦٢٦)، كِتَابُ المَنَاقِبِ، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي ﵁، (١٣/٥).

[2] سنن أبي داود (رقم ١٦٧٨)، وسنن الترمذي (رقم ٣٦٧٥)، مستدرك الحاكم (١/ ٤١٤)، مسند البزار (رقم ٢٧٠)، قال ابن حجر في التلخيص الحبير (١٤٩٥/٥): صحّحه الترمذي والحاكم، وقوّاه البزّار، وضعّفه ابن حزم بهشام بن سعد، وهو صدوق.

بْنُ عَفَّانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلَيَّ ثَلَاثُ مِئَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَنْزِلُ عَنِ المِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: «مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ»[1].

- عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: «تَصَدَّقُوا فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَ بَعْثًا» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، إِنَّ عِنْدِي أَرْبَعَةَ آلَافٍ: أَلْفَيْنِ أُقْرِضُهُمَا اللَّهَ، وَأَلْفَيْنِ لِعِيَالِي. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَبَارَكَ لَكَ فِيمَا أَمْسَكْتَ»[2].

كما كانت لبعض الصحابة نفقات عظيمة، كالعبّاس بن عبد المطلب، وطلحة بن عبيد الله، ومحمّد بن مسلمة، وعاصم بن عديّ رضي الله عنهم ، حتّى إنَّ النساء ليُعِنَّ بكل ما قدرنَ عليه، ولقد قالت أمُّ سنان الأسلميّة: لقد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدي النبيّ في بيت عائشة فيه مسك ومعاضد وخلاخل وأقرطة وخواتيم وخدمات ممّا يبعث به النساء يُعِنَّ به المسلمين في جَهازهم[3]، ولم تقتصر النفقات على الأغنياء فقط، فشارك فقراء المسلمين كلٌّ بقدر سعته، ومنهم من لم يجد إلّا أن يجعل مقابل تجهيزه سهمه في الغنيمة.

---

[1] رواه الترمذي برقم (٣٧٠٠) في المناقب من حديث طلحة بن عبيد الله، وقال: حديث غريب ليس إسناده بالقوي، وهو منقطع.

[2] تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠ هـ)، الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، ن: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: الأولى، ت ن: ١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م، (٥٨٨/١١).

[3] مغازي الواقدي (٩٩٢/٣).

- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ لَمَّا أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ كُنَّا نَتَحَامَلُ فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ[1].

- عن عمرو بن عبد الله رضي الله عنه أنَّه حدَّث عن واثِلةَ بنِ الأسْقَع، قال: نادَى رسولُ الله ﷺ في غزوةِ تَبُوكَ، فخرجتُ إلى أهلي، فأقبلتُ وقد خرجَ أوّلُ صحابةِ رسولِ الله ﷺ فطفِقْتُ في المدينة أُنادي: ألا مَن يَحمِلُ رجلاً له سهمُه، فنادى شيخٌ من الأنصارِ، قال: لنا سهمُه على أن نحمِلَه عُقْبةً وطعامُه معنا؟ قلتُ: نعم، قال: فَسِرْ على بركةِ الله، قال: فخرجتُ مع خيرِ صاحبٍ حتَّى أفاءَ اللهُ علينا، فأصابني قَلائِصُ فسُقْتُهن حتى أتيتُه، فخرجَ فقعد على حقيبةٍ من حقائبِ إبله، ثمَّ قال: سُقْهنَّ مُدبراتٍ، ثم قال: سُقْهُن مُقبلاتٍ، فقال: ما أرى قلائصَك إلا كِراماً، قال: إنَّما هي غنيمتُك التي شرطتُ لك، قال: خُذْ قلائِصَك يا بنَ أخي، فغيرَ سَهْمِك أرَدنا[2].

٤-إستراتيجيّة نقل الحرب لأرض الخصم:

إنَّ من أهمِّ الاستراتيجيات والتي فشلت بها للأسف التيّارات الجهاديّة الحديثة، وكان آخرها الجهاد الشاميّ، هو نقل المعركة لأرض الخصم، فوقعت في فخٍّ خطِرٍ تسبَّب في دمار أراضيها وبنيتها التحتيّة في وقت سلمت به أراضي الخصم من كلِّ أذًى.

إنَّ الفكر العسكريَّ الجامد الذي لم يقرأ التاريخ أو فنَّ الحرب ولا استراتيجياته، والذي يحصر نفسَه وإمكاناتِه في مقابلة عدوٍّ أقوى منه أو يماثله بالقوّة بالشكل

---

[1] رواه البخاري، برقم (٤٦٦٨)، كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَاب قَوْلِهِ {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ} {يَلْمِزُونَ} يَعِيبُونَ وَ {جُهْدَهُمْ} وَجَهْدَهُمْ طَاقَتَهُمْ (٥٧٠/١٠)

[2] رواه أبو داوود في سننه، كتاب الجهاد-باب في الرَّجُلِ يُكْرِي دَابَّتَهُ عَلَى النِّصْفِ أَوِ السَّهْمِ، برقم (٢٦٧٨)، (٨/٣).

التقليديّ البائس (الدفاع فقط)، إضافة لفقدان الموازنة وفقه التطبيق بين استراتيجية الدفاع وهذه الاستراتيجية، رغم تكرار قاعدة(أفضلُ وسيلةٍ للدفاعِ الهجومُ) على أسماع القاصي والداني والصغير والكبير حتّى في ميادين غير عسكريّة، إنَّ هذا الجمود قد أوقع المسلمين في حرج كبير و بلاء عظيم لا يعلمه إلّا الله كما كانتِ الحالُ في حربنا في شام رسول الله مع النصيريّة والشيعة والشيوعيّين، فكانت كلُّ معاركنا ضمن أراضي أهل السنّة بعيداً بشكل كامل عن أراضي الخصم النصيريِّين، فهلك الحرث والنسل وانهارت البنية التحتيّة، بينما ينعم أبناء تلك الطوائف الخبيثة بالهدوء والاستقرار وكأنَّ حرباً لم تكن، رغم صغر بقعة سوريا نسبيّاً وسهولة نقل المعركة لأراضي الخصم.

❖ وقفة مع التاريخ المعاصر:

لو عدنا إلى التاريخ المعاصر القريب لوجدنا أهمِّيَّة هذه الاستراتيجية:
حيث أنَّ أكثر البلدان التي كانت تنعم بالسلام رغم اتّساع مستعمراتها نجد النموذجين الفرنسيّ والبريطانيّ، حيث نجحوا بنقل المعركة إلى الخارج وتهديد العالم الخارجيّ وامتصاص قدراته، وكان ذلك السبب الرئيسيّ في ارتفاع المستوى المعيشيّ لتلك الدول، ولم يكتفوا بذلك بل نجحوا في نقل صراعاتهم الداخليّة إلى مستعمراتهم في الخارج، حيث نقل الصراع الفرنسي الفرنسي إلى الجزائر و الصراع البريطاني البريطاني إلى الهند والخليج، وعلى النقيضِ تماماً في الجانب الآخر سادت في كلٍّ من إسبانيا واليونان حالةٌ من البؤس الاقتصاديّ وعدم الاستقرار لفترة طويلة من الزمن، ويعود ذلك لفشلهما في نقل المعركة إلى الخارج، ولقد أدركت ووعت الولايات الأمريكيّة هذه الاستراتيجية بعد نهاية الحرب العالميّة الأولى، واستمرّت على هذه السياسة إلى الآن، حيث أنّها أدركت أنَّ اعتزالها في الحرب العالمية الثانية وخروجها من عصبة الأمم

لم يحميا حدودها وشواطئها وطريق تجارتها من الغوّاصات الألمانيّة، حيث سبَّب هذا الأمر مشكلة جوهريّة لأمريكا، إنّ هذه التجارب الصارخة من المعطيات والنتائج أوصلت الساسة الأمريكان لخلاصة مفادها ضرورة نقل المعركة إلى الخارج للحفاظ على الأمن القوميّ، وكان ذلك هو السببَ لدخولها الحرب العالميّة الثانية إلى جانب بريطانيا والاتحاد السوفييتيّ ضدَّ ألمانيا، حيث نجحت بنقل المعركة المستقبليّة من القارّة الأمريكيّة إلى القارّة الأوربِّيّة، فكانت النتيجة أن تهدّمت أوربّا وهزمت ألمانيا، وضعفت كلٌّ من فرنسا وبريطانيا وروسيا، وأصبحت السيادة لأمريكا إلى وقتنا الحاضر، وما زالت هذه الاستراتيجية سائدة عند العدوِ الأمريكي، وقد طوّرتها ودعمتها إلى استراتيجية الضربة الاستباقيّة، والتي تكلَّمنا عليها في باب منفصل، كما أنّ هذه الاستراتيجية من أهمِ استراتيجيات العدوِ الإسرائيليّ حيث تميَّز في سرعة نقل المعركة إلى أرض العدوّ، ولم تقتصر هذه الاستراتيجية على أمريكا وإسرائيل بل عمَّت لتشمل أوربّا وروسيا وبلداناً أُخَرَ، ولم تكتفِ تلك البلدان بذلك حيث انتقلت إلى حرب توافقيّة بينها، بنقل الصراع إلى بلد ثالث ليكون بمثابة حلبة للمصارعة وتصفية الحسابات.

❖ تبوك واستراتيجية نقل المعركة لأرض الخصم:

فقد أعلن الرسول ﷺ عن هذه الاستراتيجية بنقل المعركة على وجه السرعة إلى أرض العدوّ، فإن انتصروا فتحوا بلاداً جديدة، وإن خسروا المعركة لم يخسروا جزءاً من بلادهم فعادوا يستعدّون ويتجهَّزون، لقد عوَّدنا النبيُّ في سيرته العسكريّة التألُّق والإبداع العسكريَّ المتناهي بكلِّ ما للكلمة من معنًى.

١- الميزان بين استراتيجية الدفاع واستراتيجية نقل الحرب إلى أرض الخصم:

قد يُشْكِل على البعض اختيارُ النبيِّ ﷺ لتكتيك التخندق -الدفاع -يوم الأحزاب، كما كان رأيه يوم أحد الدفاع والتحصُّن بالمدينة المنوَّرة قبل المضيِّ للرأي الثاني، ولإزالة هذا الإشكال لا بدَّ من فهم أسس هذه الاستراتيجية، لنفهم غيضاً من فيض العقليّة العسكريّة الفذَّة لرسول الله.

٢- أسس هذه الاستراتيجية:

أ- **بناء قاعدة دفاعيّة صُلبة:** فلا بدَّ أن يسبق هذه الاستراتيجية بناء قاعدة دفاعيّة صلبة وقويّة، وبعدّة خطوط دفاعيّة لا خطٍّ دفاعيٍّ واحد.

ب- **السرعة في التطبيق:** السرعة المدروسة والمنضبطة والمخطَّط لها أساسُ في الحرب، وعاملٌ من عوامل النصر، وقد راعى النبي عامل السرعة في معركة تبوك، وممّا يدلُّ على ذلك انطلاق الجيش دون تمهُّل أو انتظار لمن تأخَّر، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى تَبُوكَ ولا يَزَالُ يَتَخَلَّفُ الرَّجُلُ فيَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخَلَّفَ فُلَانٌ، فيَقُولُ: «دَعُوهُ، إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللَّهُ مِنْهُ» حَتَّى قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍّ، وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُ، إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللَّهُ مِنْهُ» فَتَلَوَّمَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه عَلَى بَعِيرِهِ فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ فَجَعَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاشِيًا، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ، وَنَظَرَ نَاظِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا ذَرٍّ» فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ» فَضَرَبَ الدَّهْرُ مِنْ ضَرْبَتِهِ، وَسُيِّرَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى امْرَأَتَهُ وَغُلَامَهُ إِذَا متُّ فَاغْسِلَانِي وَكَفِّنَانِي، ثُمَّ احْمِلانِي فَضَعَانِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، فَأَوَّلُ رَكْبٍ يَمُرُّونَ بِكُمْ فَقُولُوا: هَذَا أَبُو ذَرٍّ، فَلَمَّا مَاتَ فَعَلُوا بِهِ كَذَلِكَ فَاطَّلَعَ رَكْبٌ، فَمَا عَلِمُوا بِهِ حَتَّى كَادَتْ رَكَائِبُهُمْ تَطَأُ سَرِيرَهُ، فَإِذَا ابْنُ مَسْعُودٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقَالُوا: مَا هَذا؟ فَقِيلَ: جِنَازَةُ أَبِي ذَرٍّ، فَاسْتَهَلَّ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يَبْكِي، فَقَالَ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ»، فَنَزَلَ فَوَلِيَهُ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَجَنَّهُ، فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ذُكِرَ لِعُثْمَانَ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ وَمَا وَلِيَ مِنْهُ «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»[١].

ت- **الوقت الكافي:**

يحتاج تطبيق هذه الاستراتيجية إلى وقت كافٍ لنقل قوّاتنا ونيراننا إلى أرض العدوّ، ولكن إن ضاق الوقت والمسافة بيننا وبين العدوّ في أثناء هجومه، وخاصّةً إن كان يفوق قوّاتنا في العدّة والعتاد، فالخيار الأمثل الاعتماد على الدفاعات في التصدّي وإلّا سيُعَدُّ تطبيق هذه الاستراتيجية مهلكة للجيش بالطريق.

---

[١] رواه الحاكم، [التعليق – من تلخيص الذهبي] ٤٣٧٣ – فيه إرسال.

ث- **إضافة بعض التكتيكات عند مقابلة خصمٍ أشدَّ قوّة:**

*تجزئة الهدف بالتوغُّل باتجاه مناطق العدوّ أو ما يسمَّى (دبيب النملة) وباتجاه المناطق الاستراتيجية، وليس حرق المسافات والتوغّل السريع فهو فخٌّ من الطرف الثاني ويسمَّى بتكتيك (امتصاص الصدمة وإغراق الخصم)[١].

*الاعتماد على التمدُّد من الخواصر وعدم المجابهة والمصادمة المباشرة ما أمكن.

*الاعتماد وبقوّة على ضربات الإشغال والتمويه والتشتيت.

ج- **تأجيل هذه الاستراتيجية مع العدوِّ القويِّ يكون بشرطين:**

الأوّل دفاعات قويّة والثاني إمكانيّة قطع طرق الإمداد عنه، ويساعد على ذلك المناخ القاسي من حرٍّ أو قرٍّ شديدين، حيث كان من أسباب خسارة الجيش النازيّ مقابل الجيش الأحمر في ستالين غراد انقطاع الإمدادات وقساوة المناخ إضافة إلى الدفاعات القويّة للجيش الأحمر واستبساله في الدفاع.

٣- خطأ عسكريّ جسيم:

من أكبر الأخطاء التي يقع فيها رجال العصابات في التيّارات الجهاديّة، إضافةً إلى عدم تطبيق الاستراتيجية السابقةِ تركيزُ حروبهم على السيطرة على المدن

---

(١) استراتيجية امتصاص الصدمة واغراق الخصم: هي السماح للعدو المقابل بالتمدد في مساحات غير هامة واستراتيجية وبعيدة عن مراكز الثقل وذلك لامتصاص قوة هجومه ولإغراقه قواته وانهاكه في شسع المساحات ومن ثم القيام بهجوم خاطف ومضاد يشتتهم ويقضي عليهم.

الهامّة والاستراتيجية، ولا جدال في أنّ هذا الأمر مهمٌّ في قواعد السيطرة والانتصار، **ولكن <u>بمراعاة أمرين وعدم إغفالهما</u>:**

الأوّل: السعي وبكافة الطرق والأساليب إلى تطبيق استراتيجية نقل المعركة إلى أرض العدوّ.

الثاني: التطهير عسكريّاً يكون من الخارج إلى الداخل لا العكس، فلا بدّ قبل احتلال المدن من تطهير محيطها وأريافها من القوى العسكريّة المعادية بشكل تامّ، ثمَّ الانتقال لتطهير واحتلال المدن، حينها سيكون الأمر أسهل، ولن يكون له تبعات وخيمة كحصار المدن وتدميرها من قبل الأعداء الموجودين في محيط تلك المناطق[١].

٥-الحرب الإجماعيّة[٢]:

الحرب الإجماعيّة أو الحرب الاعتصابيّة أو الحرب المطلقة أو الحرب الشاملة، معناها: حشد كل قوى الأمّة -لا الجيش وحده -المادِّيّة والمعنويّة والعقليّة للأغراض الحربيّة.

وقد نشر لودندروف آراءه عن الحرب الإجماعيّة في كتابه: (الأمّة في الحرب)، ومجمل آراء هذا القائد: أنّ الحرب الحديثة ليست حرب جيوشٍ وقوًى عسكريّة فقط، وإنّما هي حرب إجماعية تقوم على حرب الأمم ضدّ الأمم؛ ولهذا يجب أن تضع الأمّة كلَّ قواها العقليّة والأدبيّة والمادِّيَّة في خدمة الحرب، وأن تكون هذه القوّة مخصَّصة للحرب التالية).

---

[١] كما حدث مع المجاهدين في أغلب المناطق في سوريا.

[٢] هذه الفقرة منقولة بالكامل من كتاب الرسول القائد، محمود شيت خطاب (المتوفى: ١٤١٩ هـ)، ن: دار الفكر – بيروت، ط٦: -١٤٢٢ هـ.

ويرى لودندروف –إضافة الى ذلك –أنّ الحرب وسيلة لا غاية، ولهذا يجب أن تُعِدَّ الأمّةُ كلُّها للحرب، وأن تكون دائماً على قدم الاستعداد:
(واجب النساء ينحصر في إنتاج أبناء أقوياء للأمّة يحملون أعباء الحرب الإجماعيّة، وواجب الرجال ينحصر في حشد كلِّ قواهم لهذه الغاية).
هذه مجمل آراء لودندروف في الحرب الإجماعيّة التي اعتبرها العسكريّون آراء جديدة، وراحوا يفسّرونها وينشرون مبادئها ويحثّون على الأخذ بها.
وليس في ذلك غرابة، ولكنَّ الغريب أن يعُدَّها العسكريّون المحدثون آراءً جديدة في الحرب الحديثة لم يسبِقْ إليها الألمانَ أحدٌ من الناس! ...إنّ الحرب الإجماعيّة التي طبّقتها ألمانيا وإيطاليا وروسيا في الحرب العالميّة الثانية، ليست جديدة ... فقد طبّقها المسلمون قبل أربعةَ عشرَ قرناً خلت.

❖ المطلب الرابع–المسير إلى تبوك:

أولاً–انطلاق المسير:

قَالَ ابْنُ إِسْحَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: أَتَى سَبْعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ – وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ – فَاسْتَحْمَلُوهُ وَهُمْ: سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَعُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو لَيْلَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَعْبٍ، وَعَمْرُو بْنُ الْحُمَامِ بْنِ الْجَمُوحِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُغَفَّلِ، وَهَرِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَالْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ الْفَزَارِيُّ، وَكَانُوا أهلَ حَاجَةٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴿٩٢﴾، فَ ﴿ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾" فَلَقِيَ يَامِينُ بْنُ عَمْرٍو أبَا لَيْلَى، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ وَهُمَا يَبْكِيَانِ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمَا؟ فَقَالا: جِئْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيَحْمِلَنَا، فَلَمْ نَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُنَا، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نَتَقَوَّى بِهِ عَلَى الْخُرُوجِ، فَأَعْطَاهُمَا نَاضِحًا لَهُ، فَارْتَحَلاهُ، وَزَوَّدَهُمَا شَيْئًا مِنْ لَبَنٍ، وَأَمَّا عُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَخَرَجَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى مِنْ

لَيْلَتِهِ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ بَكَى وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِالْجِهَادِ وَرَغَّبْتَ فِيهِ، ثُمَّ لَمْ تَجْعَلْ عِنْدِي مَا أَتَقَوَّى بِهِ، وَلَمْ تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِكَ مَا يَحْمِلُنِي عَلَيْهِ، وَإِنِّي أَتَصَدَّقُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِكُلِّ مَظْلِمَةٍ أَصَابَنِي بِهَا فِي مَالٍ، أَوْ جَسَدٍ، أَوْ عِرْضٍ، ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ النَّاسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟ "، فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: " أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ فَلْيَقُمْ "، فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَبْشِرْ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ كُتِبَتْ فِي الزَّكَاةِ الْمُتَقَبَّلَةِ "[1].

واستعمل على المدينة محمَّد بنَ مسلمة، وقيل: سباع بن عرفطة، واستخلف ﷺ على أهله عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه .

❖ وقفة عسكريّة:

من الأخطاء العسكريّة السائدة (عدم المراعاة والموازنة بين إمكانات الحمل والنقل وعدد الجند)، وهي من الأمور المعوِّقة والمعرقلة لتحرُّك الجيش والتي تزيد من أعبائه ومهامِّه، فترى بعض القادة يتجاوزون هذا الأمر بسبب إلحاح بعض الجنود وتحمُّسهم، ومن السذاجة أن يعُدَّه البعض طيبة قلب، فالعسكريّة لا مكان فيها لمثل هذه العواطف التي تسبِّب حرجاً وضيقاً وتبعاتٍ كُثراً، وإلّا فالنبيُّ هو أولى الناس بذلك.

تأكيد: إنَّ جبر الخواطرِ وإنفاذ الرغبة العارمة لأهل الحماسة والنفع في المعركة، يكون فيما لا ضرر فيه ولا إثقال، كما فعل النبيُّ عندما سمح لمن صغر سنُّه بالخروج معه بعد امتحان القدرة، بخلاف الموقف السالف.

---

[1] صححه الألباني في فقه السيرة ص٤٠٥.

❖ ثانياً–المتخلّفون عن الركب:

في حروب الحقِّ والباطل، وعند اختلاف موازين القوى، لا بدَّ من أن ترى طائفتين تتخلَّفان عن ركب الجهاد، وكأنَّ قرع طبول الحرب هو غربال يفرز وينخب تلك الأصناف، ويميز أصحاب القول من أصحاب الفعل وأصحاب الهمم الثابتة من أصحاب الهمم المتأرجحة المتقلِّبة وأصحاب الهمَّة الحاضرة من أصحاب الهمَّة المسوِّفة.

نعم إنَّ هذه الطبول هي امتحان صعب عظيم تهابه الأنفس، وتُظهر عورها وخورها، فيقف المرء مذهولاً وجلاً مشدوهاً لجهله –لضعف نفسه –بأمورٍ كان يحسبها سهلة، وهي في حقيقتها مركبٌ يغشاه موج من الضعف، من فوقه موج من الخوف، يغشاه سحاب من حبِّ الدنيا ومتعلِّقاتها.

١.المعذَّرون من الأعراب:

وهي الطائفة اللائذة المنسحبة، صاحبة القرار المسبق، والحجج الجاهزة، والأعذار التي حيكت في أقبية قلوبهم المظلمة، الخاوية من أنوار البذل والعطاء، والهمِّ والهمَّة والصدق واليقين بموعود إحدى الحسنيين، ولقد فضح الله خبيئتهم الخبيثة وطويَّتهم الفاسدة وردَّ أعذارهم.

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٤٢-٤٤].

يقول سيِّد قطب رحمه الله: (لو كان الأمر أمر عرض قريب من أعراض هذه الأرض، وأمر سفر قصير الأمد مأمون العاقبة لاتَّبعوك! ولكنَّها الشقَّة البعيدة التي تتقاصر دونها الهمم الساقطة والعزائم الضعيفة، ولكنَّه الجهد الخطِر الذي تجزع منه الأرواح الهزيلة والقلوب المنخوبة، ولكنَّه الأفق العالي الذي تتخاذل دونه النفوس الصغيرة والبنية المهزولة، وإنّه لنموذج مكرور في البشرية ذلك الذي ترسمه تلك الكلمات الخالدة:قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾

.. فكثيرون هم أولئك الذين يتهاوَون في الطريق الصاعد إلى الآفاق الكريمة، كثيرون أولئك الذين يجهدون لطول الطريق فيتخلَّفون عن الركب ويميلون إلى عرَضٍ تافه أو مطلب رخيص، كثيرون تعرفهم البشريّة في كلِّ زمان ومكان، فما هي قلَّة عارضة، إنّما هي النموذج المكرَّر، وإنَّهم ليعيشون على حاشية الحياة، وإن خيِّل إليهم أنَّهم بلغوا منافع ونالوا مطالب، واجتنبوا أداء الثمن الغالي، فالثمن القليل لا يشتري سوى التافه الرخيص!

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾.. فهو الكذب المصاحب للضعف أبداً، وما يكذِبُ إلّا الضعفاء.

أجل ما يكذب إلّا ضعيف ولو بدا في صورة الأقوياء الجبّارين في بعض الأحايين، فالقويُّ يواجِه والضعيف يداور، وما تتخلَّف هذه القاعدة في موقف من المواقف ولا في يوم من الأيّام ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ}. بهذا الحلف وبهذا الكذب، الذي يخيَّل إليهم أنَّه سبيل النجاة عند الناس واللهُ يعلم الحقَّ، ويكشفه

للناس، فيهلك الكاذب في الدنيا بكذبه، ويهلك في الآخرة يوم لا يجدي النكران)[١].

- **ومضة قيادية:**

قال تعالى: قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣﴾ [سُورَةُ التَّوۡبَةِ: ٤٣].

قال الرازيُّ رحمه الله تعالى: (دلَّت هذه الآية على وجوب الاحتراز عن العجلة ووجوب التثبُّت والتأنّي وترك الاغترار بظواهر الأمور والمبالغة في التفحُّص حتّى يمكنه أن يعامل كلَّ فريق بما يستحقُّه من التقريب أو الإبعاد)[٢].

قال الشوكانيُّ في الفتح: (دَلَالَةٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الِاحْتِرَازِ عَنِ الْعَجَلَةِ وَالِاغْتِرَارِ بِظَوَاهِرِ الْأُمُورِ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا للغاية، كأنّه قيل: لِمَ سَارَعْتَ إِلَى الْإِذْنِ لَهُمْ؟ وَهَلَّا تَأَنَّيْتَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ صِدْقُ مَنْ هُوَ صَادِقٌ مِنْهُمْ فِي الْعُذْرِ الَّذِي أَبْدَاهُ، وَكَذِبُ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ! ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَأْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْقُعُودِ عَنِ الْجِهَادِ، بَلْ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّهُ ﷺ إِذَا أَذِنَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ بِالْقُعُودِ شَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ)[٣].

٢. تخلُّف من غير شكٍّ:

قد يتكرَّر المشهد في ميادين الجهاد لأُناس من أهل التقى والإيمان، بتخلُّف أو تأخُّر عن هذا الفرض المبارك، أهلكهم؛ التسويف أو أثقلهم المال والولد، ولكن سرعان ما يؤوبون ويتوبون ويصحِّحون المسار ويشحذون الهمّة من جديد، وإنَّنا

---

[١] في ظلال القرآن.

[٢] تفسير الرازي (٦١/٥٩).

[٣] فتح القدير (٤١٧/٢).

لنرى في غزوة تبوك نموذجين طيّبين مباركين في هذا الميدان، الأوّل تدارك الركب قبل فوات الآوان، والثاني عوّضَ ما فاته بخير.

- **قصّة أبي خيثمة:**

عَنْ عَمِّهِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ قَالَ: " ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَجَهَّزَ غَازِيًا يُرِيدُ الشَّامَ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْخُرُوجِ، وَأَمَرَهُمْ بِهِ، وَكَانَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَلَيَالِي الْخَرِيفِ، وَالنَّاسُ خَارِفُونَ فِي نَخِيلِهِمْ، فَأَبْطَأَ عَنْهُ نَاسٌ كَثِيرٌ، وَقَالُوا: الرُّومُ، وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ، فَتَخَلَّفَ الْمُنَافِقُونَ، وَحَدَّثُوا أَنْفُسَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا، فَاعْتَلُّوا وَثَبَّطُوا مَنْ أَطَاعَهُ، وَتَخَلَّفَ عَنْهُ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِأَمْرٍ كَانَ لَهُمْ فِيهِ عُذْرٌ، مِنْهُمُ السَّقِيمُ وَالْمُعْسِرُ، وَجَاءَهُ سِتَّةُ نَفَرٍ كُلُّهُمْ مُعْسِرٌ يَسْتَحْمِلُونَهُ لَا يُحِبُّونَ التَّخَلُّفَ عَنْهُ............ وَتَخَلَّفَ أَبُو خَيْثَمَةَ وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، فَدَخَلَ حَائِطَهُ وَالنَّخْلَةُ مُدَلَّلَةٌ بِثَمَرِهَا، وَالْعَرِيشُ مَرْشُوشٌ، وَامْرَأَتُهُ مُخْتَضِبَةٌ مُتَزَيِّنَةٌ، قَالَ: فَنَظَرَ أَبُو خَيْثَمَةَ إِلَى امْرَأَتِهِ فَأَعْجَبَتْهُ، فَقَالَ: هَلَكْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، لَئِنْ لَمْ يُدْرِكْنِي اللهُ بِتَوْبَةٍ، أَصْبَحْتُ فِي ظِلَالِ النَّخْلِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْحَرِّ وَالسَّمُومِ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، ثُمَّ خَرَجَ يَبْتَغِي وَجْهَ اللهِ تَعَالَى وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، فَاخْتَطَمَ أَبُو خَيْثَمَةَ نَاضِحَهُ فِي الْمَنْخِرِ، وَتَزَوَّدَ تَمَرَاتٍ فِي ظَبْيَةٍ وَإِدَاوَةَ مَاءٍ، فَنَادَتْهُ امْرَأَتُهُ وَهُوَ يَرْتَحِلُ: يَا أَبَا خَيْثَمَةَ، هَلُمَّ أُكَلِّمْكَ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَلْتَفِتُ إِلَى أَهْلِي، وَلَا مَالِي حَتَّى آتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لِي وَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ: " كَانَ فِيمَا قِيلَ لَهُ هَلَكَ الْوَدِيُّ، لِوَدِيٍّ كَانَ غَرَسَهُ، فَقَالَ: الْغَزْوُ خَيْرٌ مِنَ الْوَدِيِّ، فَقَعَدَ عَلَى نَاضِحِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ وَأَدْرَكَهُ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ الْجُمَحِيُّ قَادِمًا مِنْ مَكَّةَ يُرِيدُ الْغَزْوَ، فَاصْطَحَبَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى تَبُوكَ قَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ لِعُمَيْرٍ: إِنَّ لِي ذَنْبًا وَإِنِّي تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ خَرَجَ، فَتَخَلَّفْ عَنِّي فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، فَتَخَلَّفَ عُمَيْرٌ، وَمَضَى أَبُو خَيْثَمَةَ،

فَلَمَّا طَلَعَ أَبُو خَيْثَمَةَ لِتَبُوكَ، أَشْرَفَ الْمُسْلِمُونَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَاكِبٌ مِنْ قِبَلِ الْمَدِينَةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ» فَأَتَاهُ أَبُو خَيْثَمَةَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا خَلَّفَكَ يَا أَبَا خَيْثَمَةَ، أَوْلَى لَكَ» ، قَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ: كِدْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ أَنْ أَهْلِكَ بِتَخَلُّفِي عَنْكَ، وَتَزَيَّنَتْ لِيَ الدُّنْيَا، وَتَزَيَّنَ لِي مَالِي فِي عَيْنِي، وَكِدْتُ أَنْ أَخْتَارَهُ عَلَى الْجِهَادِ، فَعَزَمَ اللهُ عَلَيَّ بِالْخُرُوجِ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ خَرَجَ يُرِيدُ الشَّامَ وَكُفَّارَ الْعَرَبِ، فَكَانَ أَقْصَى أَثَرِهِ مَنْزِلَهُ مِنْ تَبُوكَ " لَفْظُ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، وَحَدِيثِ عُرْوَةَ بِمَعْنَاهُ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ قَوْلُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، زَادَ فِي رِوَايَةِ عُرْوَةَ فِي آخِرِهَا: وَكَانَ ذَلِكَ وَفِي زَمَانٍ قَلَّ مَاؤُهَا فِيهِ، فَاغْتَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَرْفَةً بِيَدِهِ مِنْ مَاءٍ فَمَضْمَضَ بِهِ فَاهُ، ثُمَّ بَصَقَهُ فِيهَا فَفَارَتْ عَنْهَا حَتَّى امْتَلَأَتْ فَهِيَ كَذَلِكَ حَتَّى السَّاعَةِ "[١].

ومضة قياديّة:

في تربية الأفراد والجند وإن تدارك الفرد ما فاته من أمر، لا بدَّ من عتاب مبطَّن يحمل في طيّاته أموراً ثلاثة يفهما الفرد؛ الأوّل: الثناء والتحفيز على تصحيح المسار، والثاني: التأنيب والتهديد على مخالفة الأوامر، والثالث: التأنيب على التأخُّر في ساعة النفير، وهذا ما يشمله قوله: «أولى لك يا أبا خيثمة» فهي كلمة فيها معنى التهديد، ومعناها: دنوت من الهلكة.

إنَّ التربية في الحياة العسكريّة لا تحتمل السكوت والتغافل عن أخطاء الجنود كما الحال في الحياة المدنيّة، فالأخطاء في العسكريّة إن لم تقوَّم تفاقمت وصارت كالعدوى بين الجنود، وإن لم تعالَج بأسلوب حكيم رصين جعلت فراغاً بين القيادة والجند.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢٢١/٥).

- **قِصَّة كعبِ بنِ مالك:**

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ، قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ العَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلاَمِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، كَانَ مِنْ خَبَرِي: أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ، فِي تِلْكَ الغَزَاةِ، وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ، يُرِيدُ الدِّيوَانَ، قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللَّهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ

رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعْبٌ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ». فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لا وَاللَّهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ

أَقْوَى، وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ». فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَلَّا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ المُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ، فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلاَنِ، قَالا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ العَمْرِيُّ، وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا، فَكُنْتُ أَشَبَّ القَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ المُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلامِ عَلَيَّ أَمْ لا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ

المَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلا مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ البَلاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لاَ، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلاَ تَقْرَبْهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الأَمْرِ، قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لا، وَلَكِنْ لا يَقْرَبْكِ». قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلاَمِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاَةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ

الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنِّئُونَنِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَلَّا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا، مَا بَقِيتُ. فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلاَهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧] إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ

نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلامِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَلّا أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا – حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ – شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ [التوبة: ٩٥] إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦] ، قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ [التوبة: ١١٨]. وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ[1].

ومضات قياديّة:

***الهجر التربويُّ وأثره في الجنديّة**: إنَّ الهجر التربويَّ له منافعه العظيمة في التربية العسكريّة لنوعيّة معيَّنة من الجند المنضبطين المرجوّ فيهم الخيرُ، الذي يربطهم بقيادتهم الحبُّ والطاعة، فهي تجعل الأثر العميق في نفسه، والوقت الكبير لمراجعة خطئه، والدرس البليغ الذي لا ينسى، يمنعه من العودة لمثله.

***التربية لمن يرجى خيره**: تأكيداً لبعض ما سبق، فلم يتخلَّف عن رسول اللهﷺ إلّا أحد ثلاثة؛ إمّا مغموص عليه في النفاق أو رجل من أهل الأعذار أو من خلَّفه رسول الله ﷺ واستعمله على المدينة أو خلَّفه لمصلحة، فلم يذكر النبي عامَّة من تخلَّف وإنّما ذكر من رُجِيَ خيرُه، وظهر

---

[1] رقم (٤٤١٨) كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ ﷻ: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} [التوبة: ١١٨]، (٣/٦).

صلاحه، فقال في تبوك: ما فعل كعب؟ ولم يذكر سواه من المخلَّفين استصلاحاً له ومراعاة، وإهمالاً للجند العاطلين (المنافقين).

* **التأديب بالابتسامة:** «فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ»، إنَّ ابتسامة الغضب المنبعثة من ثغر القائد المربِّي ذي الوقار والهيبة، والتي ترسم صورة الأسد الهصور، لها أثرٌ هو أشدُّ من ضرب السيف السليط والسهم الثاقب، تجعل الجنديَّ الطائع يذوب خجلاً ويتمنَّى لو أن الأرض انشقَّت وابتلعته ولم يرَ تلك النظرات وتلك الابتسامة، وتبثّ الخوف والهلع والوعيد للجنديِّ العاصي المتفلِّت.

* **الحذر من اغتنام العدو الفرصة:** في العقوبات النفسيّة القويّة التي تنزلها القيادة على الجند يجب الحذر من تسلُّل الخبر إلى القوّات المعادية، واستغلالها لشقِّ الصفِّ أو لزرع العيون والتجنيد الخارجيّ؛ كاستغلال ملك غسان فرصة هجران المسلمين لكعب بن مالك رضي الله عنه وعقوبة رسول الله له، فقد أرسل سفيره لكعب برسالة خاصَّة منه إليه يغريه فيها.

❖ ثالثاً–في الطريق إلى تبوك:

انطلقت قوّات المسلمين في زهاء ثلاثين ألفاً، ومن الخيل عشرة آلاف فرس، عند ميل الشمس، وأمر رسول الله ﷺ كلَّ بطن من الأنصار أن يتَّخذوا لواءً وراية، والقبائل من العرب فيها الرايات والألوية، فصبح بذي خشب، فنزل تحت الدومة، وكان دليله إلى تبوك علقمة بن الفغواء الخزاعي، وبقي في الدومة حتى إذا أمسى وأبرد الجوُّ تابع المسير، وكان يجمع من يوم نزل ذا خشب بين الظهر والعصر

في منزله، يؤخِّر الظهر حتى يبرد، ويعجل العصر، ثم يجمع بينهما، فكل ذلك فعله حتى رجع من تبوك.

درس في السمع والطاعة:

١- عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺحِينَ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ: لاَ يَخْرُجْ مَعَنَا إِلاَّ مُقْوٍ فَخَرَجَ رَجُلٌ عَلَى بَكْرٍ لَهُ صَعْبٍ، فَوَقَصَ بِهِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: الشَّهِيدُ الشَّهِيدُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِلاَلاً يُنَادِي: أَلاَ لا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ، وَلا يَدْخُلُهَا عَاصٍ قَالَ مُجَاهِدٌ: لَمْ أَسْمَعْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا أَشَدَّ مِنْ هَذَا[١].

٢- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، الشَّكُّ مِنِّي " أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ مَرَّ بِالْحِجْرِ وَنَزَلَهَا اسْتَقَى النَّاسُ مِنْ بِئْرِهَا، فَلَمَّا رَاحُوا مِنْهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلنَّاسِ: «لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا، وَلَا تَتَوَضَّؤوا مِنْهُ لِلصَّلَاةِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ عَجَنْتُمُوهُ فَاعْلِفُوهُ الْإِبِلَ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ» ، فَفَعَلَ النَّاسُ مَا أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي سَاعِدَةَ، خَرَجَ أَحَدُهُمَا لِحَاجَةٍ وَخَرَجَ الْآخَرُ فِي طَلَبِ بَعِيرٍ لَهُ، فَأَمَّا الَّذِي ذَهَبَ لِحَاجَتِهِ فَإِنَّهُ خُنِقَ عَلَى مَذْهَبِهِ، وَأَمَّا الَّذِي ذَهَبَ فِي طَلَبِ بَعِيرِهِ فاحتَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى طَرَحَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْكُمْ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ

---

[١] روى سعيد بن منصور في سننه برقم (٢٤٩٤)، (١٩٥/٢)، ورواه الطبراني في الكبير بطريق أخر بقم (٤٢١٨) عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في مسير له : إنا مدلجون فلا يدلجن مصعب ولا مضعف فأدلج رجل على ناقة له صعبة فسقط فاندقت فخذه فمات فأمر النبي صلى الله عليه و سلم بالصلاة عليه ثم أمر مناديا ينادي في الناس : " إن الجنة لا تحل لعاص " ثلاث مرات، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٥/٢)، كتاب الجنائز– باب الصلاة على أهل المعاصي: رواه أحمد والطبراني في الكبير وإسناد أحمد حسن.

لَهُ» ثُمَّ دَعَا لِلَّذِي أُصِيبَ عَلَى مَذْهَبِهِ فَشُفِيَ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَإِنَّهُ وَصَلَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ قَدِمَ مِنْ تَبُوكَ "[1].

تجنُّب ديار الذين ظلموا:

عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِ الْحِجْرِ: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُعَذَّبِينَ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ»[2].

❖ الأخذ بالمشورة:

١- مشورة الصدِّيق رضي الله عنه:

وفي الطريق أصاب الجيش عطشٌ شديد، فأشار سيّدنا أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله بالدعاء، فعَن عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حَدِّثْنَا مِنْ شَأْنِ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ، فَقَالَ عُمَرُ: خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً أَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَذْهَبُ يَلْتَمِسُ الْمَاءَ فَلا يَرْجِعُ حَتَّى يَظُنَّ أَنَّ رَقَبَتَهُ سَتَنْقَطِعُ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرَبُهُ وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَوَّدَكَ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا، فَادْعُ لَنَا! قَالَ أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ قَالَ:

---

[1] رواه البيهقي في دلائل النبوة، جُمَّاعُ أَبْوَابِ غَزْوَةِ تَبُوكَ، بَابُ خَرْصِ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرِهِ وَإِخْبَارِهِ عَنِ الرِّيحِ الَّتِي تَهُبُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَدُعَائِهِ لِلَّذِي خُنِقَ، وَمَا ظَهَرَ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مِنْ آثَارِ النُّبُوَّةِ، (٥/٢٤٠).

[2] رواه مسلم، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، برقم (٢٩٨٠)، (٤/٢٢٨٥).

نَعَمْ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى قَالَت السَّمَاء فأطلت ثمَّ سكبت فملؤوا مَا مَعَهُمْ ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَجِدْهَا جَاوَزَتِ الْعَسْكَرَ[(١)].

٢- **مشورة الفاروق رضي الله عنه :**

أصابت جيشَ العسرة مجاعةٌ أثناء سيرهم إلى تبوك فاستأذنوا النبي ﷺ في نحر إبلهم حتى يسدُّوا جوعتهم، فلمّا أذِن لهم النبي ﷺ في ذلك جاءه عمر رضي الله عنه فأبدى مشورته في هذه المسألة؛ وهي أنَّ الجند إن فعلوا ذلك نفدت رواحلهم وهم أحوج ما يكونون إليها في هذا الطريق الطويل، ثمَّ ذكر رضي الله عنه حلّاً لهذه المعضلة وهو: جمع أزواد القوم ثمَّ الدعاء لهم بالبركة فيها، فعمل ﷺ بهذه المشورة حتى صدر القوم عن بقية من هذا الطعام بعد أن ملؤوا أوعيتهم منه وأكلوا حتّى شبعوا[(٢)].

❖ التعبئة النفسيّة والشحن الإيمانيّ:

عَنْ أَبِى هَمَّامٍ الشَّعْبَانِيّ، قَالَ حدثني رَجُلٌ مِنْ خَثْعَم، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَوَقَفَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي اللَّيْلَةَ الْكَنْزَيْنِ، كَنْزَ فَارِسَ وَالرُّومِ، وَأَمَدَّنِي بِالْمُلُوكِ مُلُوكِ حِمْيَرَ إِلاَّ الأَحْمَرَيْنِ، وَلاَ مُلْكَ إِلاَّ لِلَّهِ يَأْتُونَ يَأْخُذُونَ مِنْ مَالِ اللَّهِ، وَيُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ قَالَهَا ثَلاثًا[(٣)].

[(١)] رواه الضياء في الأحاديث المختارة برقم(١٦٨)، ورواه الطبراني في الأوسط والبزار في مسنده، رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار ثقات(٦/٢٨٩).

[(٢)] هذه الفقرة بالكامل من كتاب السِّيرةُ النّبوية -عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، ن: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٧: ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م، (٨٤٨).

[(٣)] رواه أحمد من حَدِيثُ رَجُلٍ مِنْ خَثْعَمَ، برقم (٢٢٣٣٥)، قال الهيثمي: في مجمع الزائد: رواه أحمد وفيه أبو همام الشعباني ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح (٦/٣١٤).

❖ رابعاً–الوصول لتبوك:

قبل وصول القوّات الإسلاميّة إلى تبوك قامت قوّات العدوِّ الروميّ بالانسحاب حين وصل لها أخبار جيش المسلمين وعددهم ومعنويّاتهم التي تعانق كبد السماء، ولما وصل إلى تبوك أقام بها بضعاً وعشرين ليلة، لم يجاوزها، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة.

❖ الطابور الخامس من جديد:

عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ؛ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَامَ تَبُوكَ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، قَالَ: فَأَخَّرَ الصَّلاَةَ يَوْماً. فَخَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعاً، ثُمَّ دَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعاً، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَداً، إِنْ شَاءَ اللهُ، عَيْنَ تَبُوكٍ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحَى النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا فَلا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئاً». حَتَّى آتِي، فَجِئْنَاهَا، وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلانِ[1]، وَالْعَيْنُ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ مسستُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئاً؟»، فَقَالا: نَعَمْ. فَسَبَّهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ لَهُمَا: «مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ». ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ، قَلِيلاً قَلِيلاً. حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ. ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا. فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ كَثِيرٍ، فَاسْتَقَى النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ ، يَا مُعَاذُ، إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَى مَا هَهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَاناً»[2].

---

[1] وقد ذكر أهل السير أن الرجلان كانا من المنافقين.

[2] رواه مالك في الموطأ برقم (٤٧٨/ ١٤٩)، الْجَمْعُ بَيْنَ الصَّلاَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ (٢/١٩٧).

❖ معركة معنويّات لا معركة ميدان:

إنَّ المتمرِّس في الحرب والمتقلِّب في الساحات الحربيّة، يعلم الدور الكبير للنصر المعنويّ لدى الشعوب عامّة، وهو أكبر أثراً لدى الشعوب العربيّة.

إنَّ ما حقَّقته معركة تبوك هو انتصار معنويّ صارخ بتدمير أسطورة الجيش الذي لا يُقهَر، هذا الانتصار الذي كان بعيداً عن تفكير ومخيِّلة العرب، وكان له الأثرُ البليغ لإعادة تفكير القبائل التي كانت تحت حماية الروم ومسارعتها للتحالف مع المسلمين؛ القوّةِ الفتيّةِ الجديدةِ التي يلوح تعاظمُها وتمكُّنها لكلِّ بصير عاقل، فازداد انتشارُ الإسلام فيها عمّا كان عليه بعد غزوة (مؤتة).

لقد استطاعتِ القيادةُ النبويّة تثبيتَ وتنظيمَ نقاطِ ارتكازٍ على الحدود الشماليّة لجزيرة العرب (الدولة الإسلاميّة) لترسمَ امتداداً لحدودها الجديدة على أطراف الشام، ومتّن النبيُّ تلك المرتكزاتِ بعقدِ التحالفاتِ مع العشائر في تلك المِنطَقةِ، لتمهّدَ لفتوحاتِ الشامِ التي بشَّر بها النبيُّ المسلمين.



المراجع والمصادر

١) القرآن الكريم.

٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣) صحيح مسلم، (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، الناشر: دار الجيل -بيروت (مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ هـ).

٤) السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة -بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١م.

٥) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط -محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١: ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩م.

٦) الجامع الكبير (سنن الترمذي)، وفي آخره كتاب العلل، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩ هـ)، (٢٠٩، ٢٧٩ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط -عبد اللطيف حرز الله، الناشر: الرسالة العالمية — بيروت، سنة النشر: ١٤٣٠ هـ -٢٠٠٩ هـ.

٧) المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م.

٨) الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية -أبو ظبي -الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤ م.

٩) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ — ١٩٩٠.

١٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط –عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١م

١١) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

١٢) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

١٣) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية –القاهرة، الطبعة: الثانية.

١٤) السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م.

١٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة –بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

١٦) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد –السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١٧) شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم، العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي (ت: ٥٤٤ هـ)، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٨) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، الناشر: مطبعة السعادة -بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ، (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة -الطبعة: الثانية، بدون تاريخ)، الموطأ بأعلى الصفحة، يليه -مفصولا بفاصل -شرح الباجي.

١٩) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت -لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م.

٢٠) التفسير الكبير، = مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

٢١) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية -القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٢٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.

٢٣) تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م.

٢٤) تفسير القرآن العظيم، (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون -بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٩هـ.

٢٥) تفسير القرآن، (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم -بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م.

٢٧) مفاتيح الغيب، = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٢٨) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٢٩) في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥ هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: علي بن نايف الشحود، المصدر: الشاملة الذهبية.

٣٠) الرسول القائد، محمود شيت خطاب (المتوفى: ١٤١٩هـ)، الناشر: دار الفكر –بيروت، الطبعة: السادسة –١٤٢٢هـ.

٣١) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، الناشر: دار الهلال –بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة: الأولى.

٣٢) السير، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (المتوفى: ١٨٩هـ)، المحقق: مجيد خدوري، الناشر: الدار المتحدة للنشر –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٥.

٣٣) السير، لأبي إسحاق الفزاري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري (المتوفى: ١٨٨هـ)، تحقيق: فاروق حمادة، الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧.

٣٤) السيرة الحلبية، = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: ١٠٤٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة: الثانية –١٤٢٧هـ.

٣٥) السيرة النبوية، (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت –لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ-١٩٧٦م.

٣٦) السيرة النبوية، لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

٣٧) السيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير -دمشق، الطبعة: الثانية عشرة -١٤٢٥هـ.

٣٨) السيرة النبوية -عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد محمد الصلابي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م.

٣٩) السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م.

٤٠) سيرة ابن إسحاق، =كتاب السير والمغازي، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر -بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٤١) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٤٢) دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م

٤٣) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥هـ.

٤٤) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢ هـ)، ن: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٧ هـ-١٩٩٦م.

٤٥) فقه السيرة، محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ)، الناشر: دار القلم -دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ.

٤٦) الجهاد، لابن أبي عاصم، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: مساعد بن سليمان الراشد الحميد، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩

٤٧) الجهاد، لابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي (المتوفى: ١٨١هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: د. نزيه حماد، الناشر: الدار التونسية -تونس، تاريخ النشر: ١٩٧٢م.

٤٨) تاريخ الرسل والملوك، =تاريخ الطبري وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ).

٤٩) تاريخ الطبري، =تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، الناشر: دار التراث -بيروت، الطبعة: الثانية -١٣٨٧هـ.

٥٠) تاريخ المدينة، لابن شبة، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد -جدة، عام النشر: ١٣٩٩هـ.

٥١) أسد الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر -بيروت، عام النشر: ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٥٢) الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ

٥٣) الطبقات الكبرى، = لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، الشعراني، أبو محمد (المتوفى: ٩٧٣هـ)، الناشر: مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر، عام النشر: ١٣١٥هـ.

٥٤) الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة

٥٥) الأدب، لابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: د. محمد رضا القهوجي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م

٥٦) الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، ن: دار الكتب العلمية، ط١: ١٤١١ هـ -١٩٩٠م.

٥٧) الأصل، المعروف بالمبسوط، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (المتوفى: ١٨٩هـ)، المحقق: أبو الوفا الأفغاني، الناشر: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية –كراتشي.

٥٨) الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م.

٥٩) تحقيق: أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، الناشر: دار طيبة - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م.

٦٠) البلدان، أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (المتوفى: بعد ٢٩٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٦١) الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٦٢) الرد على سير الأوزاعي، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (المتوفى: ١٨٢هـ)، عني بتصحيحه والتعليق عليه: أبو الوفا الأفغاني - المدرس بالمدرسة النظامية بالهند، عني بنشره: لجنة إحياء المعارف النعمانية، بحيدر آباد الدكن، بالهند، أشرف على طبعه: رضوان محمد رضوان وكيل لجنة إحياء المعارف النعمانية بمصر، الطبعة: الأولى

٦٣) الرسالة، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ-١٩٤٠م.

٦٤) الأم، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٦٥) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ).

٦٦) الزهد، أبو السري هناد بن السري بن مصعب بن أبي بكر بن شبر بن صعفوق بن عمرو بن زرارة بن عدس بن زيد التميمي الدارمي الكوفي (المتوفى: ٢٤٣هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي –الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦.

٦٧) السلاح، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م.

٦٨) السياسة الشرعية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٦٩) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٧٠) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ) ، ن: دار الفكر – بيروت ، ط١: ١٤٠٥ .

٧١) روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٧٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٧٣) شرح مختصر خليل، للخرشي، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (المتوفى: ١١٠١هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة -بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٧٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م

٧٥) غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق [١٩٨ -٢٨٥]، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى -مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥.

٧٦) مختصر خليل، خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (المتوفى: ٧٧٦هـ)، المحقق: أحمد جاد، الناشر: دار الحديث/القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

٧٧) فيض القدير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٧٨) القواعد الفقهية، محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، ن: مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط: الأولى ، ١٤٢٤ هـ –٢٠٠٣ م .

٧٩) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير.

٨٠) نيل الأوطار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٨١) الإبل، الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (المتوفى: ٢١٦هـ)، المحقق: أ. د. حاتم صالح الضامن، الناشر: دار البشائر، دمشق، سورية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م.

٨٢) لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١ هـ)، المحقق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار النشر: دار المعارف، القاهرة.

٨٣) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م.

٨٤) معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

٨٥) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٨٦) معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.

الفهرس